

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف

الخطب العصرية لوزارة الأوقاف المصرية

الجزء الرابع

إشراف وتقديم

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك

وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

١٤٣٨هـ /٢٠١٦م



بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{إِنْ أُرِيـــدُ إِلَّا الْإِصْــلاَحَ مَا اسْتَطَعْـتُ

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}

[هود: ٨٨]

مقـــــــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد :

فيسرنا أن نقدم للسادة الأئمة والخطباء والمثقفين والمعنيين بالشأن الدعوي في مصر والعالم العربي والإسلامي الجزء الرابع من الخطب العصرية التي أعدتها الإدارة العامة لبحوث الدعوة بوزارة الأوقاف تحت إشرافنا ومراجعتنا.

هذا ، وقد راعينا أن يكون الخطاب الديني في إطار سماحة الإسلام ووسطيته ، بعيدًا كل البعد عن جميع ألوان التشدد والغلو والإفراط أو التفريط ، محققاً لرسالة المسجد ، يجمع ولا يفرق ، ويهدف إلى تحقيق مصالح البلاد والعباد ، من منطلق أن شرع الله (عز وجل) قائم على مراعاة هذه المصالح ، فحيث تكون المصلحة فثمة شرع الله وبما يؤدي إلى تشكيل وعي ديني صحيح ورشيد ، وحس وطني صادق ونبيل.

وقد تنوعت موضوعات هذا الجزء من موسوعة الخطب العصرية شأن ما سبقه من أجزاء ما بين قضايا إيمانية وتربوية وأخلاقية ، تهدف إلى إيقاظ الضمائر وتهذيب الأخلاق ، وقضايا اجتماعية تسهم في دعم وتقوية أواصر المودة والرحمة بين أبناء المجتمع ، وتسهم في حفظ تماسكه وتلاحم نسيجه ، وأخرى تتصل بالمعاملات التي تعد جزءًا لا

يتجزأ من السلوك القويم للمسلم ، وقضايا وطنية تهدف إلى تقوية الانتماء الوطني والحفاظ على أمن الوطن واستقراره ، إضافة إلى ما لا غنى عنه من بعض خطب المناسبات ، مع مراعاة السهولة واليسر ، والبعد عن التقعر والتكلف ، سائلين الله (عز وجل) أن يكتب له القبول ، وأن يكون زادًا علميًّا وفكريًّا ومعرفيًّا في مجال الثقافة الإسلامية الرصينة ، وأن يكون إضافة متميزة للمكتبة الدعوية في مصر والعالم كله ، إنه سبحانه وتعالى وليّ ذلك والقادر عليه ، {وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ}[إبراهيم:٢٠] ، {إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}[هود: ٨٨] .

والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف

واجبنا نحو القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ }، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فإن القرآن الكريم هو معجزة الإسلام الكبرى في كل زمان عجِز الإنسُ والجنُّ عن أن يأتُوا بمثلِه، قال سبحانه:{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}، بل عجِزوا أن يأتوا بعشر سُورٍ مثلِه، أو بسورةٍ من مثلِه ، قال سبحانه :{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}، وقال سبحانه: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.

ولقد أنزله الله تعالى على قلب النبي (صلى الله عليه وسلم) هداية للناس إلى الطريق المستقيم ، ينير به الحياة ، ويهدي به الحيارى فهو دستور المسلمين ، به تحيا القلوب ، وبه تَزْكُو النفوس ، وبه تتهذب الأخلاق ، يقول سبحانه :{الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}، ويقول

عز وجل : {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} ، من تمسك به نجا من الفتن.

إنه روح المؤمن ونور هدايته ، قال تعالى:{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ}

ومن جمال نوره سمعه فريق من الجن فآمنوا به وعظموه فاهتدوا به إلى الصراط المستقيم ، ثم ولوا إلى قومهم منذرين ، كما حكى القرآن الكريم ، يقول سبحانه:{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}.

وإذا كان هذا حال الجن مع القرآن الكريم فإن للملائكة أيضًا حالاً معه ، فعَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ البَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتِ الفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ فَانْصَرَفَ وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

فَقَالَ: اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ المَصَابِيحِ ، فَخَرَجَتْ حَتَّى لاَ أَرَاهَا، قَالَ: (وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟)، قَالَ: لاَ، قَالَ: (تِلْكَ المَلاَئِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا ، لاَ تَتَوَارَى مِنْهُمْ). هكذا يكون أثر القرآن حين يتلى.

إنه كلام الله (عز وجل) الذي لا تنقضي عجائبه ، تكفل الله تعالى بحفظه من التحريف والتبديل ، فقال :{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}، من قال به صدق ، ومن عمِل به أُجِر ، ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم ، جعله الله – عز وجل– رحمة وشفاء ، فقال سبحانه :{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّهِ فَاقْبَلُوا مِنْ مَأْدُبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللَّهِ ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ تَبِعَهُ، لَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، وَلَا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلَقُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، اتْلُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ كُلَّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ وَلَامٌ وَمِيمٌ) .

رفع الله منزلته فوصفه بأجل الصفات ، وذكره بأعظم الأسماء ؛ ليعلم الناس قدره وعظمته، فوصفه الله تعالى بقوله:{كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}، وقوله :{وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ

مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) ، إلى غير ذلك من الصفات التي تدل على عظمته ومنزلته وقدره.

ولقد أخبرنا النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بفضائل كثيرة للقرآن الكريم تعود بالنفع على الإنسان في الدنيا والآخرة ، من هذه الفضائل:

الخيرية لأهله ، لحديث عُثْمَان بن عفان (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)

الرفعة لصاحبه ، لحديث عبد الله بن عمرو (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما) قال: قال رسولُ الله (صلَّى الله عليه وسلم) : (يقالُ لصاحبِ القرآن: اقرَأ وارتَقِ ورتِّل كما كُنْتَ ترتِّل في الدُنيا، فإن منزِلَكَ عندَ آخرِ آية تقرؤها) (سنن أبي داود).

الشفاعة لصاحبه ، لحديث أَبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيّ (رضي الله عنه) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ) (صحيح مسلم).

الأجر العظيم لقارئه ، لحديث عَبْد اللهِ بْن مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ الْم حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ) (سنن الترمذي).

الحفظ للبيوت العامرة بقراءته ، لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ

الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ) (صحيح مسلم)، إلى غير ذلك من الفضائل التي لا تنتهي، فعَنِ ابْنِ سِيرِينَ ، قَالَ : " الْبَيْتُ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ تَحْضُرُهُ الْمَلائِكَةُ ، وَتَخْرُجُ مِنْهُ الشَّيَاطِينُ ، وَيَتَّسِعُ بِأَهْلِهِ وَيَكْثُرُ خَيْرُهُ ، وَالْبَيْتُ الَّذِي لاَ يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ تَحْضُرُهُ الشَّيَاطِينُ وَتَخْرُجُ مِنْهُ الْمَلائِكَةُ ، وَيَضِيقُ بِأَهْلِهِ وَيَقِلُّ خَيْرُهُ " (مصنف ابن أبي شيبة).

ولو تأملنا حال الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) مع القرآن الكريم لوجدنا أنهم لم يكتفوا بالقراءة أو الاستماع فقط ، بل قرأوا وتدبروا ، فتعلقت به قلوبهم ، وارتبطت به نفوسهم ، فكانوا يطبقونه قولاً وعملاً، يأتمرون بأوامره ، ويبتعدون عن نواهيه ، لذلك ما بلغوا ما بلغوه من الفضائل والرفعة إلا بفضل العمل بالقرآن الكريم ، واستجابة لأوامره لقد حفظ سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سورة البقرة في ثماني سنوات ليس لبطء في حفظه ولكن لأنه كان يحرص على العلم والعمل معًا ، يقول أبو عبد الرحمن السلمي (رضي الله عنه): «كُنَّا إِذَا تَعَلَّمْنَا الْعَشْرَ مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ نَتَعَلَّمِ الْعَشْرَ الَّتِي بَعْدَهَا حَتَّى نَتَعَلَّمَ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا وَأَمْرَهَا وَنَهْيَهَا».

ولأن الصحابة الكرام (رضي الله عنهم أجمعين) كانوا يفقهون آيات القرآن الكريم ويتعايشون معها وجدناهم يسارعون إلى طاعة أوامر الله (عز وجل) واجتناب نواهيه ، فحين نزلت آيات النهي عن شرب الخمر ونادى منادٍ : " ألا إن الخمر قد حُرِّمَت" تجاوبوا جميعًا مع القرآن

فالذي كان في يده شيء من الخمر رماه ، والذي كان في فمه شربة مجَّها ، والذي كان عنده في أوان أراقها، استجابة لأوامر القرآن الكريم حتى امتلأت بها سكك المدينة وقالوا انتهينا يا ربنا ، وكذلك حين نزل قول الله تعالى:{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}قام سيدنا أبو الدحداح إلى أجمل حديقة عنده وأحبها إليه وتصدق بها، ومن هنا استطاع الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) حفظ كتاب الله لأنه لم يكن بالنسبة لهم مجرد كلمات ؛ بل كان منهجًا تربويًّا سلوكيًّا إيمانيًّا ظهر في تعاملاتهم فيما بينهم؛ بل ومع غيرهم.

ومن ثمَّ فإن المنزلة التي جعلها الله (عزّ وجلّ) لأهل القرآن الذين يشتغلون به من أرقى وأعلى المنازل، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) : (إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ ، أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ) ، فقارئ القرآن منتسب إلى الله- تعالى- ، فما أعظمه من شرف، وبقدر ما يحفظ الإنسان من القرآن يكون الشرف والمنزلة، فأهل القرآن يرفع الله قدرهم بين العباد .

أما واجبنا نحو القرآن الكريم فيتمثل فيما يلي:

تعلمه وتعليمه ، والمداومة على قراءته ومدارسته ، فإن أفضل الناس من يتعلم القرآن ويعلمه ، ففي الحديث (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ) وقد أمرنا النبي (صلى الله عليه وسلم) بقراءته وتعاهده ، فعن أَبِي مُوسَى

(رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (تَعَاهَدُوا القُرْآنَ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا) فالقرآن الكريم مُكَوِّنٌ أساسيٌّ من مكونات الشخصية المسلمة، فمنه يستمد المسلم تعاليم دينه وآدابه، فعلى المسلم أن يسعى إلى تعلم قراءته جيدًا ، وهذا الأمر ليس عسيرًا، فإننا نجد من الناس من يلجأ إلى تعلم اللغات الأجنبية وتكبد المشاقّ في سبيل تحصيل ألوان من العلوم للحصول على وظيفة تدر عليه دخلًا وفيرًا ، فكيف بمثل هذا أن يتكاسل عن تعلم كلام الله تعالى متعللًا بصعوبة قراءته، فعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (الَّذِى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالَّذِى يَقْرَؤُهُ وَهُوَ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ فَلَهُ أَجْرَانِ). ولقد وعدنا الحق سبحانه وتعالى أن ييسر كتابه علينا قراءةً وتعبدًا ، قال تعالى:{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}.

تدبر آياته وكأنه يتنزل على قارئه ، فإن واجبنا نحو القرآن الكريم لا يتوقف عند حد التلاوة فحسب ، بل علينا أن نتدبره حتى نتذوق حلاوته ونستشعر عظمته ، قال تعالى:{أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} وقال عز وجل :{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}، فإن أعلى أهل القرآن أجرًا هم الذين يقرؤون بألسنتهم ويتدبرون بعقولهم وقلوبهم، قال تعالى:{كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}، ولقد أثنى الله على من تلا آياته فازداد إيمانًا بتدبرها، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ

اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}، قال ابن عباس (رضي الله عنهما) : (تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ودليل ذلك قوله تعالى:{ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى}.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

لقد ضرب لنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المثل في التأثر بالقرآن والتجاوب مع آياته الكريمة حيث قال يومًا لعبد الله بن مسعود (رضي الله عنه): (اقْرَأْ عَلَيَّ)، قَالَ : قُلْتُ : أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: (إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي) ، قَالَ: فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ:{فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا}قَالَ لِي: (كُفَّ – أَوْ أَمْسِكْ– فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَذْرِفَانِ) ، إن شأن المؤمن أن يتفاعل كيانه كله مع كلام الله (عز وجل)، يقول الله تعالى:{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ

الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}.

الأدب مع القرآن الكريم والتخلق بأخلاقه ، فإن من الواجب على قارئ القرآن الكريم أن يتأدب بآدابه ، ويتخلق بأخلاقه ، ويتمسك بتعاليمه فبأخلاقه يتحرر الإنسان من أهوائه وشهواته ، وتتقوى نفسه بالأخلاق القويمة ، قال تعالى:{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}، وأسوتنا في ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد كان قرآنا يمشي على الأرض ، يتخلق بخلقه ، يرضى برضاه ، ويسخط لسخطه ، وقد سئلت السيدة عائشة (رضي الله عنها) عن أخلاقه (صلى الله عليه وسلم) فقالت: (كَانَ خلقه الْقُرْآن)

ولقد دعانا القرآن الكريم في معظم آياته البينات إلى مكارم الأخلاق ومحاسن العادات ، فمنه نتعلم الرحمة ، والصدق ، والعدل والسماحة ، والأمانة ، والوفاء بالعهد ، وغير ذلك من الأخلاق التي يجب على المسلم أن يتحلى بها ، ففي ذلك سعادته في الدنيا والآخرة.

التزام أوامره ونواهيه ، فإن واجبنا نحو القرآن الكريم لا يقف عند تلاوته أو جمعه في الصدور أو حتى تدبره ، إنما يتم بالتزام أوامره ونواهيه ، بحيث يظهر هذا جليًا في أفعالنا وأخلاقنا كما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ، فعلى المسلم أن يأتمر بأوامر القرآن الكريم وينتهي عن نواهيه ، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (وَالْقُرْآنُ

حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ) ، يكون حجة عليك حين تقرؤه فلا يتجاوز آذانك ولا ينعكس على سلوكياتك وتصرفاتك ، فرب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه.

ومن واجبنا نحو القرآن الكريم أن نواجه تحريف الغالين وتأويل المبطلين الذين يحاولون توظيف القرآن الكريم سياسيًا أو أيديولوجيًا للحصول على مأرب أو مغنم ، فيجب أن يُتَلقى القرآن الكريم لفظًا ومعنى من أهل الذكر المتخصصين من علماء الأمة الموثوق بعلمهم الذين يعلمون الناس صحيح الدين ومنهج الإسلام القويم ، والذين لا يوظفونه لمصالحهم أو يفسرونه وفق أهوائهم.

فما أشد حاجة العالم اليوم إلى هداية القرآن الكريم ، فإن أزمة العالم الآن أزمة أخلاقية ، وما من كتاب دعا إلى مكارم الأخلاق مع كل الناس مثل القرآن ، وإذا كان خطأ المسلمين في هذا الزمان بعدهم عن أخلاق القرآن فإن من أوجب الواجبات عليهم العودة إلى أخلاقه متمثلين النموذج العملي الأكمل في امتثال الأخلاق القرآنية وهو من تنزل عليه القرآن (صلى الله عليه وسلم) وهو الذي وصفه ربه بأنه على خلق عظيم لامتثاله الأخلاق القرآنية المبثوثة في طول القرآن وعرضه فقد كان أجمع الخَلْق خُلُقا، لأنه كان أجمعهم للقرآن تطبيقا وامتثالا يقول تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}، كما هو منطوق حديث عائشة (رضي الله عنها) حين سئلت عن أخلاقه (صلى الله عليه وسلم) قالت: (كَانَ خلقه الْقُرْآن).

وإننا إذ نذود عن القرآن الكريم الآن لنرجو أن يكون القرآن خير من يدافع عنا يوم لا نجد نصيرًا ولا مدافعًا، فعن أبي أمامة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ). وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) ثَلاَثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: (كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا) فإذا داوَم المُسلمون على تلاوتِه، وتدبّر معانِيه، وعمِلوا به، وتعلَّموه وعلَّموه أبناءَهم كان له أعظم النفع، فبه صلاح المجتمع، حيث تنتشر الرحمة والعدل وتنصلِح القلوب ، وتكثر الخيرات ، وتندفعُ الشُّرور والمُهلِكات.

* * *

صفات المؤمنين في القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فمن رحمة الله (عز وجل) ولطفه بعباده أن أرسل إليهم رسلاً لهدايتهم إلى طريق الحق، وإلى الصراط المستقيم ، حتى لا يكون لأحد من الخلق حجة أمام الله عز وجل، قال تعالى:{رُسُلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} .

والإيمان بالله – تعالى– هو أسمى علاقة جاء بها الرسل (عليهم السلام) ومعناه : استقرار العقيدة في القلب بالإيمان بالله وبملائكته، وكتبه ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وعلى المؤمنين أن يؤدوا مطلوب الإيمان، وهو تنفيذ التكاليف التي يأتي بها المنهج الإلهي والمبلِّغ عنه سيدنا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في الأوامر والنواهي.

ومعرفة الله (عز وجل) هي أول طريق الإيمان، قال تعالى:{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ}.

ومن المعلوم أن الإيمان بالله (عز وجل) مرتبط بالعمل الصالح لا ينفك أحدهما عن الآخر، كما جاء في القرآن الكريم في آيات كثيرة

ومنها: قوله سبحانه:{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}، وقوله عز وجل:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}، وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا} إلى غير ذلك من الآيات الكريمة ، والإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية وله شعب متعددة تتفاوت من مؤمن لآخر حسب درجة إيمانه بالله تعالى فعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّه، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ) والأعمال الصالحة من جملة شعب الإيمان.

وقد جاء في حديث جبريل(عليه السلام) المشهور بيان لحقيقة الإيمان الّذي ينبغي أن يتحقق في قلب المؤمن ، يقول الفاروق عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه): بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، قَالَ: صَدَقْتَ ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ

وَيُصَدِّقُهُ ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، قَالَ: صَدَقْتَ ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ قَالَ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ ، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ لِي يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ) .

ولقد ذكر الحق سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم صفات كثيرة لعباده المؤمنين، **منها: كمال الخشية لله تعالى**، إذ إن الخشية من الله تعالى من أعلى المقامات وأجلها ، يقول الله تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}. والوجل هو كمال الخشية لله تعالى، قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ}، وقال تعالى:{إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ}.

ولقد ضرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أروع الأمثلة في

كمال الخشية من الله تعالى ، فعَنْ مُطَرِّفٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُصَلِّي وَلِصَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ) (رواه ابن خزيمة). وكان (صلى الله عليه وسلم) يسأل الله تعالى الخشية ، فعَنْ أَبِي مِجْلَزٍ (رضي الله عنه) قَالَ : صَلَّى بِنَا عَمَّارٌ صَلَاةً، فَأَوْجَزَ فِيهَا ، فَأَنْكَرُوا ذَلِكَ، فَقَالَ: أَلَمْ أُتِمَّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ؟ قَالُوا: بَلَى ، قَالَ: أَمَا إِنِّي قَدْ دَعَوْتُ فِيهِمَا بِدُعَاءٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَدْعُو بِهِ: (اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي، أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَكَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَالْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَمِنْ فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مَهْدِيِّينَ).

يقول الشاعر:

خف الله وارجوه لكلِّ عظيمةٍ * * * ولا تطع النَّفس اللّجوج فتندما

وكن بين هاتين من الخوف والرَّجا * * * وأبشر بعفو الله إن كنت مسلما

ومن صفات المؤمنين كذلك: **التوكل على الله** (عز وجل) ومعناه: صدق اعتماد القلب على الله (عزّ وجلّ) في استجلاب المصالح ودفع المضارّ ، وتفويض الأمور كلّها إليه، مع اعتقاد أنّه لا يعطي ولا يمنع ولا يضرّ ولا ينفع سواه سبحانه وتعالى ، فالمؤمن يتوكل على الله (عز وجل) ويأخذ بالأسباب المؤدية لإتمام الأعمال دون الاعتماد عليها ، فالأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل، فعن عُمَر (رضي الله عنه) قَالَ : سمعتُ رَسُول

الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَاناً).

أمّا من يدعي التوكل على الله (عز وجل) دون السعي والعمل فليس من التّوكّل في شيء ، وإنّما هو اتّكال أو تواكل حذّرنا منه رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) ، ونهى عن الأسباب المؤدّية إليه ، فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رضي الله عنه) قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ: عُفَيْرٌ ، قَالَ: فَقَالَ: (يَا مُعَاذُ تَدْرِى مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ) قَالَ: قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: (فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ : (لاَ تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا) ، فحسن التوكل على الله (عز وجل) مرتبط ارتباطًا وثيقًا بحياة المؤمن ، لا يتحقق جلب النفع أو دفع الضر إلا بحسن التوكل.

ومن صفات المؤمنين – أيضًا –: المحافظة على الصلاة والخشوع فيها ، وفي ذلك يقول الله تعالى:{ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}، فالصلاة هي شعار الإسلام جاء الأمر بها في آيات عديدة منها، قوله تعالى:{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ}، وجعلها النبي (صلى الله عليه وسلم) أحد أركان الإسلام الخمسة ، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قَال: قال رَسُول اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : (بُنِيَ الإسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَأنَّ

مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ).

والناس متفاوتون في أحوالهم مع الخشوع في الصلاة ، فمنهم من يحظى بأجر الصلاة كاملا، ومنهم من ليس له من صلاته إلا النصَب والتعَب ، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: (رُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ ، وَرُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ) فالصلاة سببٌ في تهذيب السلوك والأخلاق والبعد عن المنكرات، فمن أقامها كانت سبباً في بعده عن المعاصي والفواحش، قال تعالى:{... وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}. ومما يدل على وجوب الخشوع في الصلاة ما رواه أنس بن مالك (رضي اللّه عنه) قال: قال رسول اللّه (صلى الله عليه وسلم) : (مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلاَتِهِمْ ، فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ : لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ ، أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ).

أقول قولي هذا وأستغفر اللّه لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

ومن صفات المؤمنين كذلك: **الإنفاق في سبيل اللّه تعالى** بمفهومه الشامل المتضمن الزكاة المفروضة وصدقات التطوع ، فعن ابن

عمر (رضي الله عنهما) عن النَّبيّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنىً وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ) ، وعن أَبي مسعود البدري (رضي الله عنه)عن النَّبيّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً يَحْتَسِبُهَا فَهِيَ لَهُ صَدَقَةٌ).

فالمؤمن يعلم أنه مستخلف في المال، وأن الفضل بيد الله فَيُنفق لينفق الله عليه، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِفَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتاً في سَحَابَةٍ، اسقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءهُ في حَرَّةٍ، فإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَت ذَلِكَ الماءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ المَاءَ، فإذَا رَجُلٌ قَائمٌ في حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الماءَ بِمسحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، ما اسمُكَ؟ قال: فُلانٌ للاسم الذي سَمِعَ في السَّحابةِ، فقال له: يا عبدَ الله، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إنِّي سَمِعْتُ صَوتاً في السَّحابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ، يقولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لاسمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا، فَقَالَ: أَمَا إذ قلتَ هَذَا، فَإنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أنَا وَعِيَالِي ثُلُثاً، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ) .

وقد أشار القرآن الكريم إلى صفات أخرى للمؤمنين إضافةً إلى ما ذكر، ومنها : أنهم عن اللغو معرضون ، وللأمانات والعهود راعون ، وفي ذلك يقول تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ

هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}، فبينت الآيات أن الفلاح والفوز لمن اتصف بهذه الصفات من خشوع في الصلاة وإعراض عن اللغو، وإيتاء للزكاة ، وحفظ للفروج عن الحرام ، والحفاظ على الأمانات وتأديتها لأصحابها ، والوفاء بالعهود ، كل ذلك عده القرآن من صفات المؤمنين وأخلاقهم.

فحري بكل مسلم أن يتخلق بهذه الأخلاق الواردة في القرآن الكريم بحق أهل الإيمان ليضمن لنفسه النجاة في الدنيا والآخرة. فالإيمان إذا تحقق في قلب العبد كما ينبغي صانه عن كل صور الانحراف والتشدد والتعصب ، وجعله محبًّا للخير لنفسه ولغيره، ويتجنب شهادة الزور والكذب ومجالس اللغو، ويسعى لتحقيق الخير والصلاح لمجتمعه ووطنه، أما من ادعى الإيمان وانحرف بأخلاقه وتصرفاته عن الوجهة الشرعية الصحيحة فلم يكتمل إيمانه، لأن الإيمان لابد له من حقيقة تدل عليه، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خَرَجَ يَوْمًا فَاسْتَقْبَلَهُ شَابٌّ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، فَقَالَ لَهُ: " كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثَةُ؟" قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):" انْظُرْ مَا تَقُولُ فَإِنَّ لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟" قَالَ: فَقَالَ: عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ

الدُّنْيَا، فَأَسْهَرْتُ لِيَلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ كَيْفَ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ كَيْفَ يَتَعَاوَوْنَ فِيهَا، فَقَالَ: فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "أَبْصَرْتَ فَالْزَمْ، مَرَّتَيْنِ، عَبْدٌ نَوَّرَ اللهُ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ).

على أن المؤمن إنما يتصف بكل الصفات الكريمة من الصدق والأمانة، والوفاء بالعهد، والكرم والحياء، والاستقامة، والرحمة والسماحة والتواضع، والعدل، والإحسان، والإيثار، وسائر مكارم الأخلاق التي حث عليها القرآن الكريم، قال تعالى:{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}، وقال سبحانه:{وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ}وقال في علامات الصادقين المتَّقين:{ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}

وقد أعد الله تعالى للمؤمنين المتصفين بكريم الأخلاق نعم الجزاء وحسن الثواب، قال سبحانه:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا}.

* * *

الإيثار .. خلق إسلامي وقيمة إنسانية

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، القائل في كتابه العزيز: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إِلَى يوم الدِّين ، وبعد :

فإن من مكارم الأخلاق التي دعا إليها ديننا الإسلامي الحنيف وأمر بها أتباعه: خلق الإيثار ، ومعناه : تقديم الإنسان غيرَهُ على نفسه فيما هو في حاجة إليه من أمور الدنيا راجيًا ثواب الآخرة ، وهو خلق كريم وسلوك قويم، وقيمة إنسانية راقية ، وصفة يتميَّزُ بها المؤمن عن غيره، وهو خلق يجمع صاحبه عددًا مِن الأخلاق الحسنة والخِلال الحميدة كالرَّحمة وحبِّ الخير للغير والسَّعي لنفع النَّاس ، بعيدًا عن الأنانية وحب الذات وغير ذلك من الأخلاق السَّيِّئة والخِلال الذَّميمة.

إضافة إلى أن خلق الإيثار من أسمى صور الرُّقِيِّ الأخلاقِيِّ ، فمِنْ خلالِهِ يستطيعُ المؤمنُ أَنْ ينتصر على نفسه ويتغلَّب عَلَى هواهُ طاعةً للهِ (عز وجل)، وهو مرتبة عالية مِن مراتب البذل والسخاء ، ومنزلة عظيمة من منازل الإنفاق.

ولقد أثنى الله (عز وجل) على أصحاب هذا الخلق النبيل ، ومدَح المتحلِّين به وبيَّن أنَّهم أهل الفلاح في الدُّنْيا والآخرة ، فقال سبحانه : {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا

يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

إن الإيثار في الإسلام خُلقٌ يجعل المؤمن يحب الخير لغيره ، فيجودُ بنفسه وماله لإسعاد الآخرين ، ومن ثمَّ تقوَى الروابط ، وتتوثَّق العلاقات وتسود المودة والمحبة بين المسلمين ، فهو شعار وضعه النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله : (لا يؤمنُ أَحدُكم حتَّى يحبَّ لأَخيهِ ما يحبُّ لنفسهِ).

وإذا نظرنا إلى هذا الخلق النبيل وجدنا أنه خلق من أخلاق سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، حيث قالت السيدة عائشة (رضي الله عنها) : (لَوْ شِئْنَا أَنْ نَشْبَعَ شَبِعْنَا ، وَلَكِنَّ مُحَمَّدًا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَانَ يُؤْثِرُ عَلَى نَفْسِهِ)، فكان (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُؤثِرُ غيره علَى نفسِهِ وعلَى أهْل بيتِهِ معَ شدةِ حاجتِهِمْ .

وها هو (صلى الله عليه وسلم) تأتيه امرأة بِبُرْدَةٍ ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْسُوكَ هَذِهِ. فَأَخَذَهَا النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَلَبِسَهَا فَرَآهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَحْسَنَ هَذِهِ فَأَكْسُنِيهَا ، فَقَالَ: (نَعَمْ)، فَلَمَّا قَامَ النبي (صلى الله عليه وسلم)لاَمَهُ أَصْحَابُهُ قَالُوا : مَا أَحْسَنْتَ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) أَخَذَهَا مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ، ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا ، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لاَ يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعَهُ ، فَقَالَ: رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حِينَ لَبِسَهَا النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) لَعَلِّي أُكَفَّنُ فِيهَا).
فكان (صلى الله عليه وسلم) يؤثر غيره على نفسه في كل الأحوال .

ثم دعا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أصحابه إلى التحلي بخلق الإيثار ليكون واقعًا سلوكيًّا وعمليًّا في حياتهم ، وذلك بمخالفة النفس ومقاومة الأنانية وحب الذات ، حيث قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ) .

ولقد ضرب الصحابة (رضوان الله تعالى عليهم) أروع الأمثلة في تحقيق هذا الخلق العظيم وبذل الخير للغير رغم الحاجة إليه ، فصار هذا الخلق سجية لهم ، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: (مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ؟)، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ : هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِ السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَقَالَ: (قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ).

فقمة الإيثار أن يحب الإنسان لأخيه أكثر مما يحب لنفسه ، وأن يفضل منافع الغير ويقدمها على منافعه رغبة في إرضاء الله (عز وجل) وطمعًا في

ثوابه ، عَن ابْن عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: (أُهْدِيَ لِرَجُل مِنْ أَصْحَابِ رَسُول الله(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رَأْسُ شَاةٍ ، فَقَالَ: إنَّ أَخِي فُلَانًا وَعِيَالَهُ أَحْوَجُ إِلَى هَذَا مِنَّا، قَالَ: فَبَعَثَه إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَبْعَثُ بِهِ وَاحِدٌ إِلَى آخَرَ حَتَّى تَدَاوَلَتْهَا سَبْعَةُ أَبْيَاتٍ حَتَّى رَجَعَتْ إِلَى الْأَوَّل.

ولقد سجل التاريخ مواقف خالدة بأحرف من نور ، لأناس آثروا غيرهم على أنفسهم ، وزينوا صفحات حياتهم بزينة الإيثار وحب الخير للغير ، حتى كان خلق الإيثار شعارًا لهم ، ورمزًا لإيمانهم ، ومن ذلك ما حدث مع سيدنا عبد الرحمن بن عوف ، وسيدنا سعد بن الربيع (رضي الله عنهما) حين آخى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بينهما ، فقال سيدنا سعد لسيدنا عبد الرحمن: (إنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَار مَالًا فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْن ، وَلِي امْرَأَتَان فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا ، قَالَ له سيدنا عبد الرحمن : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ) .

وهذه صورة مشرقة من قيمة الإيثار بلغت غايتها ونهايتها ، حين يؤثر الأخُ أخاه على نفسه بشربة ماء هو أحوج ما يكون إليها في لحظاته الأخيرة ، فعَنْ أَبِي جَهْمِ بْن حُذَيْفَةَ الْعَدَوِيِّ ، قَالَ: " انْطَلَقْتُ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ أَطْلُبُ ابْنَ عَمِّي ، وَمَعِي شَنَّةٌ مِنْ مَاءٍ ، أَوْ إِنَاءٍ ، فَقُلْتُ: إنْ كَانَ بِهِ رَمَقٌ سَقَيْتُهُ مِنَ الْمَاءِ ، وَمَسَحْتُ بِهِ وَجْهَهُ ، فَإِذَا أَنَا بِهِ يَنْشَغُ، فَقُلْتُ: أَسْقِيكَ؟ فَأَشَارَ: أَيْ نَعَمْ ، فَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ: آهٍ، فَأَشَارَ ابْنُ عَمِي أَنْ أَنْطَلِقَ بِهِ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ هِشَامُ بْنُ الْعَاصِ أَخُو عَمْرٍو، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَسْقِيكَ؟ فَسَمِعَ

آخَرَ فَقَالَ: آهٍ ، فَأَشَارَ هِشَامٌ : أَنْ أَنْطَلِقَ بِهِ إِلَيْهِ، فَجِئْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ، فَرَجَعْتُ إِلَى هِشَام فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ ، فَرَجَعْتُ إِلَى ابْن عَمِيَ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ". فقد فضَّل كلٌّ واحد منهم أخاه على نفسه ، وآثره بشربة ماء حتى مات الثلاثة على خُلُق الإيثار.

إن الإيثار خلق عظيم القدر ، عالي المكانة ، رفيع المنزلة، لا يتخلَّق به إلاَّ أصحاب القلوب العامرة بالإيمان ، والتي عرفت ربها تمام المعرفة وفَهمت دينها حق الفهم ، واحترمت إنسانيتها فتحقَّق لها القرب من الله (عز وجل).

جدير بالذكر أن خُلُقَ الإيثار من أهم أسباب التراحم بين المسلمين ولنتذكر جميعًا قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ شَيْءٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى). فوجود الإيثار في المجتمع دليلٌ على وجود حس التَّعاون والتَّكافل والمودَّة.

وللإيثار ثمرات عظيمة تعود بالخير والنفع على الفرد والمجتمع منها : أنه يجلب لصاحبه محبّة الناس ، ويُذهبُ عنه حقدهم وحسدهم ويزيده رفعة ومنزلة في الدنيا والآخرة ، فإن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها وتعظيم من يؤثرها ، مع ما يجلبه الإيثار من البركة في المال والولد ، فضلاً عما يجده صاحبه من الثواب الكبير والأجر العظيم والخير العَمِيم في الآخرة ، قال تعالى: {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ

الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا}، ويقول سبحانه:{وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْرًا}.

ومن ثمرات الإيثار : أنه يسهم في تحسين العلاقات والروابط الإنسانية.

ويحافظ على تماسك الأفراد والمجتمعات ، فيتحقق التواد والتراحم والتآلف وغيرها من المعاني النبيلة التي تسهم في تقدم الشعوب وتحضرها.

وللإيثار درجات ومراتب : **أولها** ، وهي أعلاها وأفضلها : إيثار مرضات الله تعالى على مرضات العباد، وهذا ما كان عليه الأنبياء والمرسلون والمخلصون في كل زمان ومكان ، لأنهم علموا وأيقنوا أنه لا صلاح للنفس إلا بإيثار رضا الله تعالى على رضا غيره ، عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (مَنِ التَمَسَ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ).

المرتبة الثانية: إيثار الخلق على النفس فيما يرضي الله (عز وجل) وهذه هي درجات المؤمنين المخلصين ، وأسمى صور هذه المرتبة أن نقدم المصلحة العامة على المصالح الخاصة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

كما دعا الإسلام إلى التخلق بخلق الإيثار فقد حذَّر أشد التحذير من حب الذات والأنانية وإيثار الفانية على الباقية حيث يقول سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}.

وإذا كنا نحث على الإيثار والتكافل والتراحم ولا سيما في وقت الشدائد والأزمات ، فإننا بالقدر نفسه وزيادة نحذر من الشح والبخل والاحتكار والغش والتلاعب بأقوات الناس وحاجاتهم الضرورية والأساسية ، فقد نهى الإسلام عن كل ألوان الغش والاحتكار ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (... مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) ، وقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (مَنِ احْتَكَرَ حُكْرَةً يُرِيدُ أَنْ يُغْلِيَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ خَاطِئٌ) وفي رواية : (مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الله ، وَالله بَرِئٌ مِنْهُ ، وَأَيُّمَا أَهْلِ عَرْصَةٍ ظَلَّ فِيهِمُ امْرُؤٌ جَائِعًا ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ الله).

فما أحوجنا إلى التخلي عن هذه الآفات ، والتخلق بخلق الإيثار والحرص على تغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة حتى نرتقي بمجتمعنا وأمتنا .

* * *

حماية الأوطان وسبل بنائها

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز على لسان يوسف عليه السلام:{وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فإن من أعظم نعم الله (عز وجل) علينا أن جعل لنا وطنًا نعيش فيه آمنين مطمئنين ، ومن حق هذا الوطن وواجبه علينا أن نحافظ على أمنه وأمانه واستقراره ، وأن نعمل على حمايته ، والدفاع عنه بكل ما أوتينا من قوة ، حتى نترجم حبنا له إلى واقع معيش وعمل ملموس.

وإذا كان الوطن هو مهد الإنسان ، ومَرتع صباه ، فلا بد أن يشعر الإنسان الصادق بحبه لهذا الوطن ، اعترافًا بجميله ، فيجتهد في حمايته ورفع شأنه ، ويعمل جاهدًا على رفعته ورقيه ، ويردّ عنه كيد الكائدين.

وقد علّمنا النبي (صلى الله عليه وسلم) حب الوطن في أرقى صوره في مواقف كثيرة ، منها ما كان منه (صلى الله عليه وسلم) حين أخرجه قومه من بلده مكة التي وُلد فيها ونشأ وترعرع بين جنباتها ، وهاجر إلى المدينة المنورة ، فخاطب مكة متأثّرًا لفراقها - وكأنها عاقل يسمع ويجيب : (عَلِمْتُ أَنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ ، وَأَحَبُّ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ)، وفي رواية : (مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ ، وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ).

ومن هنا نؤكد أن حماية الأوطان والمحافظة على أمنها وسلامتها والدفاع عنها واجب على كل إنسان ينعم بالعيش فيها.

وجدير بالذكر أن حماية الأوطان ليست قاصرة على حمل السلاح ومواجهة العدوان والأخطار الخارجية فحسب ، بل هناك وسائل أخرى لحماية الأوطان ، تتمثل في عدم السماح لأحد بالمساس بها أو النيل منها أو العبث بها ، أو الإفساد فيها ، أو الكيد لأهلها ، أو ترويع أبنائها ، بل على العكس من ذلك فإنه ينبغي العمل على النهوض بها ، وبنائها في كافة المجالات والقطاعات ، ومن ذلك:

البناء الاقتصاديّ : فلا شك أننا في حاجة إلى أن نتعاون جميعًا من أجل بناء الوطن اقتصاديًّا ، ولا يتحقق ذلك إلا بالعمل الجاد المثمر ، وزيادة الإنتاج حتى يكون الإنسان في حياته عاملاً معطاء ومعمِّرًا في الأرض حتى يدركه الموت أو تأتيه الساعة ، وقد حثَّ على ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث قال: (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا).

ولن تتحقق حماية الوطن اقتصاديًّا إلا بتضافر الجهود للعمل والإنتاج وتهيئة المناخ المناسب للاستثمار ، ومنع كل صور الغش والاحتكار ، واستغلال حاجة الفقراء ، فهذه كلها أمور تتنافى مع الدين والخلق والوطنية التي تقتضي أن يرعى الناس حقوق بعضهم البعض وأن لا يكون كل منهم سببًا في تضييق العيش على الآخر والإضرار بمصالحه فهذا أمر محرم في كل الشرائع والأديان ، لما يسببه من نشر للبغض والكراهية بين الناس .

كما أن بناء الوطن اقتصاديًّا يتطلب ترشيد الإنفاق والاستهلاك وعدم الإسراف والتبذير ، فقد أرشدنا القرآن الكريم والسنة النبوية إلى كل ذلك ، قال تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} وقال عز وجل : {وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا}، وعن المقدام بن معد يكرب قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ).

ومنها: **البناء الاجتماعي**: الذي يقوم على التعاون المثمر بين جميع أفراده بالمحبة والمودة والاحترام الكامل ، بحيث يتمكن الشباب من الاستفادة من حكمة الشيوخ ، ويستفيد الشيوخ من طاقة الشباب فيوجه كل واحد منهما طاقاته إلى ما يعود نفعه بالخير على البلاد والعباد وهذا التعاون أحرى ما يكون بين كافة أطياف المجتمع وفئاته وطبقاته.

ويتحقق أيضًا بالمساواة بين جميع أفراده في الحقوق والواجبات ، إذ لا مجال للمجاملة أو المحسوبية ، أو أكل المال بالباطل ، فلا يجوز لأحد أن يأخذ مال غيره بدون حق ، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ}، كما يتطلب البناء الاجتماعي التراحم والتعاون ، بحيث يرحم الكبير الصغير ، والغني الفقير، فيعود الغني بفضله على أخيه الفقير ممتثلاً لقول نبينا (صلى الله

عليه وسلم) : (مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ).

ولكي يتحقق الحفاظ على الوطن اجتماعيًّا لابد من أن يتحلى كل أبنائه بالمشاركة الإيجابية في إصلاحه ، والإسهام في النُّهُوضِ به ، فإن الإسلام دعا إلى الإيجابية في كل ما من شأنه خدمة الوطن ورفعته طوال حياة الفرد منذ نعومة أظفاره حتى نهاية حياته، فالمسلم لا يقف من الأحداث موقف المشاهد فحسب ، بل يجب أن يكون إيجابيًّا ، يسعى إلى محاربة الفساد والإفساد والتخريب ، ممتثلاً لقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ)،فاليد للسلطان ، واللسان للعلماء والقلب لعامة الناس ، وحيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: تَحْجُزُهُ ، أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ).

فما استحق المسلمون الخيرية إلا بإسهامهم الإيجابي في بناء أوطانهم وابتغاء النفع للإنسانية جمعاء ، يقول تعالى:{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} .

إن المسلم الحق لا ينبغي أن يكون سلبيًّا متكاسلا أو متقاعسًا عن الإسهام في بناء وطنه وحمايته ، بل يجب أن يكون إيجابيًّا متحملا مسئوليته تجاه مجتمعه ، حتى يسهم في رقيه ورفعته ، فالإسلام لم يعف أحدًا من المسئولية حتى الخادم جعله مسئولاً في مال سيده ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ).

ومنها: البناء السلوكي: ولا يكون ذلك إلا بنشر القيم الخلقية والإنسانية بين جميع أفراد المجتمع ،كالصبر ، والحلم ، والرفق ، والرحمة والوفاء، والصدق والأمانة ، وغيرها من مكارم الأخلاق التي هي جوهر رسالة الإسلام ، فقد سُئل (صلى الله عليه وسلم) ما الدين؟ قال : (حسن الخلق)، بل إن النبي (صلى الله عليه وسلم) أولاها عناية فائقة ، حين أعلن أن الغاية من بعثته إنما هي إتمام مكارم الاخلاق، حيث قال (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مكارم الأَخْلاقِ).

ومن البناء السلوكي الذي يحمي الأوطان : عدم السخرية والاستهزاء بالآخرين، أو التقليل من شأنهم غمزًا أو لمزًا أو بث الشائعات الكاذبة بين الناس ، قال تعالي:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ

فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}، ويقول سبحانه : (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) فبهذه القيم الخلقية تُحمى الأوطان وتعصم من كل مظاهر الفوضى والانحلال وتصان من الضياع ، فسلامة الوطن وقوة بنيانه، وسمو مكانته وعزة أبنائه بتمسكهم بالقيم الفاضلة والأفعال الحميدة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام : **إن من وسائل حماية وبناء الأوطان** : البناء العلميّ والفكريّ ، فلا شك أن ذلك من أهم سبل البناء وتحقيق التقدم لأي مجتمع ، لذلك حرص الإسلام على نشر العلم بين أبناء الأمة فكانت أول آيات القرآن الكريم نزولاً: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}، وبعدها نزلت سورة القلم الذي هو أول أداة من أدوات تحصيل العلم ، قال تعالى: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ }، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أن مكانة العلم في الإسلام لا تدانيها مكانة، كما قال ربنا في كتابه:{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}.

فالعِلم هو أحد أهم أعمدة بناء الأوطان وحمايتها والنهوض بها ، فبه يُقضى على التخلّف والفقر والجهل والأمية وغيرها من الأمور الّتي تؤخّر الوطن ، ولا ينكر أحد أن النمو الاجتماعي والاقتصادي في أي دولة من الدول مرهون بالعلم.

كما أن البناء الفكري يسهم في تنمية العقول وتصحيح المفاهيم الخاطئة ويعمل على حماية المجتمع من أصحاب الدعوات الهدامة والأفكار المتطرفة التي تصدر من مرضى القلوب وضعفاء النفوس ، الذين لا يحبون وطنهم ، بل يعملون على زعزعة أمنه ، وهدم بنيانه وتمزيق أوصاله وتفريق كلمته، وليس لهم هدف سوى نشر الفوضى التي تؤدي إلى فتن عظيمة تعصف بالبلاد والعباد من قتل وتدمير وتخريب ، وزعزعة لأمن الفرد والمجتمع.

فالإنسانُ إذَا أحبَّ وطنَهُ استشعَرَ مسئوليةَ المحافظةِ علَى أمنِه واستقرارِه، ولاَ يستجيبُ لِمَنْ يَسْعَى لِتخريبه مِنَ الأدعياء ، فكم يحتاجُ وطنُنا اليوم إلى قلوبٍ سليمةٍ منفتحة على كلِّ أبوابِ الخير ، وكم يحتاجُ وطنُنا إلى جموعٍ متآلفة متعاونة تقية ، تتعاملُ فيما بينها بإحسانٍ وأمانٍ واطمئنان.

نسأل الله العظيم أن يحفظ بلادنا من كل سوء ، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا.

* * *

مكانة مصر في القرآن والسنة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، القائلِ في كتابه العزيز على لِسَانِ يوسف (عليه السلام) :{ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، وبعد :

فقد اقتضت حكمة الله (عز وجل) تفضيل بعض الأماكن والبلدان على بعض ، ومن الأماكن والبلاد التي منَّ الله عليها بمزيدِ فضلٍ وتكريمٍ: بلدنا الغالية مصر ، فهي الأرض الطيبة ، أرض الأنبياء والعلماء ، والأولياء والشهداء ، أرضٌ شهد لها ربنا (سبحانه وتعالى) في كتابه الكريم بالكرم وعِظَمِ المنزلة ، وعُلُوِّ المكانة ، وخلَّد اسمها في القرآن الكريم ، فذُكرت صراحة في مواضع عديدة ، منها : قوله تعالى:{وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}، ومنها قوله عز وجل: {وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}، وقوله سبحانه:{وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللهُ آمِنِينَ}، ومنها قوله تعالى على لسان فرعون:{ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ}.

وكما ذكرها القرآن صراحة أشار إليها ضمنًا في كثير من الآيات منها: قوله تعالى:{وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ}والمقصود هنا بالمبوأ : مصر والشام، وقوله تعالى:{كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ} يعني قوم فرعون الذين سكنوا مصر ثم تركوها بعد هلاكهم ، كما ذكرها في كثير من المواضع صراحة أو ضمنًا ، كقوله تعالى: {وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ}، وقوله:{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا}، وقوله:{فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}، وقوله تعالى: {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ}، وغير ذلك من الآيات القرآنية المتعددة التي أشار الله (عز وجل) فيها إلى مصر .

وأما عن مكانة مصر في السنة النبوية الشريفة فقد ذكرها النبي (صلى الله عليه وسلم) في كثير من أحاديثه ، منها قوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا ، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا، أَوْ قَالَ: ذِمَّةً وَصِهْرًا) ، والرحم هنا هي أمُّنَا هاجر زوج أبي الأنبياء إبراهيم (عليه السلام)، وأم نبي الله إسماعيل (عليه السلام)، أما الصهر فهي السيدة مارية القبطية التي أهداها المقوقس حاكم مصر إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأنجبت له ابنه إبراهيم الذي سماه على اسم الخليل إبراهيم (عليه السلام)،

ولذلك قال عبدالله بن عمرو بن العاص (رضي الله تعالى عنهما): قبط مصر هم أخوال قريش مرتين.

فهي وصية نبوية للأمة كلها، يخاطب بها (صلى الله عليه وسلم) أصحاب العقول أن يحسنوا إلى مصر ، وأن يعرفوا قدْرَها ، وأن يحسنوا إلى أهلها، وأن يكرموهم دون منٍّ عليهم ، فقد اختص الله (عز وجل) مصر بخصائص كثيرة ، ففيها تجلى الله دون غيرها من بقاع الأرض وأوى إليها الأنبياء والرسل ، قال تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ}.

وقد عاش على أرضها سيدنا إدريس (عليه السلام)، وكان وجوده في مدينة (إدفو) بصعيد مصر ، والذي علَّم الناس علوم المدنية والتمدن منذ فجر الإنسانية ، كذلك زارها الخليل إبراهيم (عليه السلام) وتزوج منها بهاجر أم سيدنا إسماعيل (عليه السلام) ، ودخلها نبي الله يعقوب (عليه السلام) ، وعلى أرضها ولد موسى (عليه السلام)، وكلَّمه ربه تكليمًا بالوادي المقدس طوى.

وكان بها من الصِّدِّيقين والصِّدِّيقات كثير ، منهم: مؤمن آل فرعون الذي ذكره الله (عز وجل) في القرآن في مواضع كثيرة منها قوله سبحانه: {وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ}، وآسية امرأة فرعون التي

قال الله (عز وجل) في حقها :{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}، وماشطة بنت فرعون، وقَدِمَت إليها الصديقة مريم (عليها السلام) مع ابنها نبي الله عيسى (عليه السلام) ، قال تعالى: {وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ}، قال ابن عباس (رضي الله عنهما) : هي مصر ، وانتقلا منها إلى مدينة القدس.

لذلك كان الكثير من العلماء والعباد يثنون على مصر ويتمنون الإقامة بها ، قال عبد الله بن سلام (رضي الله عنه) : (إن مصر بلد معافاة وأهلها أهل عافية ، وهي آمنة ممن يقصدها بسوء ، من أرادها بسوء كبَّه الله على وجهه) .

جدير بالذكر أننا إذا ذكرنا مصر ذكرنا الكعبة المشرفة، فإن الفاروق عمر (رضي الله عنه) قد أرسل إلى عامله بمصر أن يصنع كسوة للكعبة المشرفة ، فصنعت الكسوة من عهد الفاروق عمر (رضي الله عنه) وظلت هكذا تصنع بمصر أكثر من ألف عام.

إذا ذُكرت مصر ذُكر الأزهر الشريف حصن الإسلام الوسطي بسماحته واعتداله، على أرضها ظهرت أعلام كثيرة نشروا العلم في ربوع الأرض حتى في الأرض التي نزل بها الإسلام وتنزل الوحي بين جنباتها منهم : اللَّيث بن سعد ، والعزُّ بن عبد السلام ، والإمام الشافعي ، وابن حجر العسقلاني ، والإمام الشَّاطبي ، والسيوطي ، وغيرهم كثير.

إذا ذُكرت مصر ذُكر نيلها المبارك الذي هو أحد أنهار الجنة حيث قال(صلى الله عليه وسلم) : (رُفِعْتُ إِلَيَّ السِّدْرَةِ فَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهَرَانِ ظَاهِرَانِ وَنَهَرَانِ بَاطِنَانِ ، فَأَمَّا الظَّاهِرَانِ : النِّيلُ وَالْفُرَاتُ ، وَأَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهَرَانِ فِي الْجَنَّةِ) ، كما أنه لم يشر إلى نهر في القرآن الكريم كما أشير إلى نهر النيل، فقال تعالى :{وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} ، وقد اتفق المفسرون على أن المراد باليمّ: نهر النيل.

إذا ذُكرت مصر ذُكر حُبُّها لأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ونُصرتُها لآل بيته (صلى الله عليه وسلم)، لذلك استحق أهلها دعوة السيدة زينب (رضي الله عنها) حيث قالت: (يا أهل مصر نصرتمونا نصركم الله ، وآويتمونا آواكم الله ، وأعنتمونا أعانكم الله ، وجعل لكم من كل مصيبة فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا)، وكانت ولا زالت وستظل هذه الدعوات المباركات حصنًا وملاذًا لكل المصريين ببركة حبهم لآل بيت الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) وصحابته الكرام وتابعيهم وتابعي التابعين إلى يوم الحشر والزحام.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين. إخوة الإسلام:

بلدٌ بهذه المنزلة ولها من المكانة مالها يجبُ على جميع أبنائها وأحبابها الحفاظ على أمْنها وإيمانها، وسلامتها من كلِّ مخرِّب ومفسد وأصحاب الدعوات الهدامة ، خاصة في هذه الظُّروف الصعبة ، فالحِفاظ على أمن مصر من دعوات الفَوضَى ورياح التخريب من أهم المهمَّات ولنعلم جميعًا أن لبلدنا حُقوقًا وواجبات يجب الوفاء بها ، منها :

نشْر قيمة الأمن والاستقرار ، فبالأمن ترتقي الأوطان وتتقدم الأمم والمجتمعات ويستقر الناس في حياتهم ومعاشهم ، وهذا ما بينه القرآن الكريم حين امتن الله (تعالى) على أهل سبأ بنعمة الأمن والاستقرار فقال تعالى: {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ}، فما تقدمت أمة من الأمم ، وما ارتقى مجتمع من المجتمعات إلا إذا ساد الأمن وعم الاستقرار بين أفراده ، وأَمِنَ كل فرد فيه على نفسه وماله وعرضه، ومن ثمَّ يجب على كل مصري أصيل يحب بلده أن يسعى إلى الحفاظ عليه وتحقيق أمنه واستقراره .

كذلك من حق مصر على أبنائها : إخماد الفتن التي يشعلها أعداؤها، فإشعالها يؤدي إلى زوال النعم، وحلول النقم ، وقطع التواصل بين الشعوب والأمم ، وانتشار الرذيلة وطرد الفضيلة ، وبث روح العداوة والبغضاء ، والقضاء على روح المودة والإخاء ، فالفتن نار تأكل اليابس والأخضر ، وتفرق بين المرء وأخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، موقظها ملعون ، وناشرها مفتون ، يقول الحق سبحانه وتعالى: {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ

الْقَتْلِ}، ويقول سبحانه : {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ}.

واعلموا أن النهوض بوطننا والسعي إلى رقيه إنما يكون بِالجِدِّ وَالاجتِهَاد ، والعمل والإنتاج ، والحفاظ على ممتلكاته ، والتقيد بأخلاقه وقيمه ، وأنظمته وقوانينه، حتى نرقى بأنفسنا ونحافظ على أمننا واستقرارنا ، فالمواطن الصالح هو من يبني وطنه ويعمل على استقراره ويحافظ عليه ، ولا يسير خلف أصحاب الهوى والدعوات الهدامة الذين يسعون في الأرض فسادًا {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ}، وقد قال أحد الوطنيين الحكماء: إن كل شيء على هذه الأرض يُشْرَى مرة واحدة ، إلا الأوطان ، فإن كل جيل من أجيال الأمة لابد أن يؤدى ثمن وطنه ، لابد أن يضحي ويستهدف للموت ليثبت حقه في أرضه ، فإذا أهمل أمر هذا الدفاع جيل من الأجيال ضاع الوطن.

مع تأكيدنا أن مصرنا الغالية ستظل مرفوعة الهامة عالية القدر بحفظ الله لها، ولن تركع إلا للواحد الأحد ، غير أن ذلك كله يحتاج منا جميعًا إلى جهد وعمل دءوب .

وفي هذا نختم بقول القائل (*) :

(*) الأبيات المذكورة للدكتور/ محمد مختار جمعة.

مصـــــر الأبيـــــة لـــن تنحنـــــي

ولـــن تُحنـــــي هامـــًا لغير العلـــيّ

فهـــو الحفيظ وهـــــو القديـــــــــر

وهو العــــــــليم وهو الـــــــغني

ولـن يستطيـــــع العـــــدا قهرنــــــا

ولن نحـــني هــــاما ولن ننثنـــــي

لكــــــــنّ هذا وذا بالــــــــــعمل

وبـــذل الجـــــــــهود بعزمٍ قـــــويّ

اللهم احفظ مصرنا ، واحمِ بلادَنا وبلادَ المسلمين من كلِّ شرّ وسُوء وأدِمْ علينا الأمنَ والإيمانَ، والسلامة والإسلام.

* * *

نحو علاقات أسرية ومجتمعية سوية
تكفل اليتيم وترعى المحتاج

الحمـد لله رب العـالمين ، القائـل في كتابـه العزيـز : { وَعَاشِـرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا } ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فلقد عُني الإسلام بالأسرة واهتم بها اهتمامًا بالغًا ، لأنها اللبنة الأولى في بنيان المجتمع ، فبصلاحها يصلح المجتمع ، وبفسادها يفسد المجتمع ، لذلك وضع الإسلام للأسرة ضوابط ومعايير تنظم قيامها وتحرص على سلامتها واستقرارها ، حفاظاً على الفرد والمجتمع ، لأن استقرار الأسرة هو استقرار للمجتمع .

وقد امتدتْ عناية الإسلام بالأسرة إلى مرحلة ما قبل تأسيسها بما يحقّق التلاؤُم والانسجام، والتوادّ والتراحم بين جميع أفرادها ، ويُقَلِّل من دوافع الهدم والانهيار لبنيانها ، فقد حَثَّ الإسلام أتباعه على تكوين الأسرة بوسيلة مشروعة تتماشى مع الحفاظ على كرامة الإنسان وحفظ آدميته وتتوافق مع فطرته السوية، ألا وهي الزواج، إحدى سُنَن الله (عز وجل) في الخلق كله، قال تعالى:{وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} ، ويقول سبحانه:{سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} ، فالزواج سُنَّة كونيَّة ، جعله ربنا سبحانه دليلا على عظيم قدرته ، وآية باهرة من آياته في خلقه ، فقال

تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}.

كما رغب الإسلام في تكوين الأسرة واستقرارها إعمارًا للأرض وتحقيقًا لمصلحة المجتمع وبناء الوطن ، ووصولاً إلى الغايات السامية المتمثلة في : نشر العفة والفضيلة ، وحماية المجتمع من كل مظاهر الفسق والرزيلة ، وترابط الأسر فيما بينها بالمصاهرة ، وغير ذلك من الحكم والغايات النبيلة ، يقول الحق سبحانه:{وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ }. بل إن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حثَّ الشبابَ على تحقيق سنة الزواج مبينًا منافعه وفوائده ، حيث قال(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ) .

وفي المقابل نهى الإسلام عن كل الأمور التي تتعارض مع عمارة الكون ، ومنها التبتل والانقطاع عن النساء ، فقد منعه الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ونهى عنه ، قال سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): (رَدَّ

رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ ، وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لاَخْتَصَيْنَا) ، وعن أَنَس بن مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال : جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: (أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي) .

ولمَّا كان الاستقرار الأسري- بكل ما تحمله الكلمة من معنى للهدوء والسكون والطمأنينة – مطلبًا شرعيًّا ودنيويًّا منشودًا وضع الإسلام أسسًا شرعية سليمة ومنهجاً قويمًا ، حتى تدوم العشرة والألفة بين الزوجين ، ويتحقق الاستقرار ، من أهم هذه الأسس:

الاختيار الصحيح لكل من الزوجين للآخر ، فقد أوصى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عند اختيار الزوج لزوجه بحسن الاختيار ، لأنها المربية الصالحة ، المحافظة على ماله وعرضه ، وهي خير متاع الدنيا فعن عبد اللهِ بن عمرٍو (رضي الله عنهما) قال: قال رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): (الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ) ، فعندما تُبنى

الأسر على حسن الاختيار يتحقق السكن والاستقرار ، والودّ المتصل والتراحم المتبادل ، حينئذ يكون الزواج أشرف النعم، وأبركها أثرًا.

ولابد وأن يكون ذلك الاختيار على أساس من الدين والخلق فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا ، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ). وفي رواية عند الإمام أحمد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى إِحْدَى خِصَالٍ ثَلَاثٍ: تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى مَالِهَا، وَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى جَمَالِهَا، وَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى دِينِهَا، فَخُذْ ذَاتَ الدِّينِ وَالْخُلُقِ تَرِبَتْ يَمِينُكَ) .

فالزوجة لها دور عظيم في رعاية الأسرة ، فبصلاحها تستقر الأسرة بل يستقر المجتمع كله، وبفسادها تنهار الأسرة.

يقول الشاعر :

الأمُّ مدرسةٌ إذا أعدَدْتَها *** أعددْتَ شعباً طيبَ الأعراق

كذلك أوصى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عند اختيار الزوجة لزوجها بأن يكون الاختيار على أساس الدين والخلق ، فعَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ؟ قَالَ: (إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ) . فجعل النبي (صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الدين والخلق أهم صفات الزوج الصالح ، ومن ثم فالاختيار الصحيح على أساس الدين يحقق للأسرة الاستقرار الذي يؤدي إلى تقدم المجتمع.

وكذلك من أسس استقرار الأسرة : أن يراعي كل فرد من أفرادها ما له من حقوق وما عليه من واجبات ، فقد جعل الإسلام لكل من الزوجين على الآخر حقوقًا تتساوى مع ما عليه من واجبات ، قال تعالى: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} ، فلا يطلب أي فرد من أفراد الأسرة بحقٍّ قبل أن يؤدي ما عليه من واجب ، حتى تتحقق المودة والرحمة والسكينة التي تجعل الأسرة مستقرة.

ولقد وضح الإسلام هذه الحقوق والواجبات ، وقسمها بين جميع أفراد الأسرة ، وألزم جميع أفرادها بضرورة المحافظة عليها ، فمنها الحقوق المادية ، ومنها الحقوق المعنوية والتربوية ، ومنها المشاركة البناءة في أداء المسئوليات ، وضرورة التعاون المشترك بين جميع أفراد الأسرة في أعباء الحياة ومتطلباتها ، ففي الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّهُ: سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)، قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلاَءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ:كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ.

ولقد سأل أحد الصحابة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟، قَالَ: (أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، أَوِ اكْتَسَبْتَ ، وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ) .

وها هي أَسْمَاءُ بِنْت يَزِيد الْأَنْصَارِيَّةُ تسأل الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فتقول : (... إِنَّا مَعْشَرَ النِّسَاءِ مَحْصُورَاتٌ مَقْصُورَاتٌ ، قَوَاعِدُ بُيُوتِكُمْ وَمَقْضَى شَهَوَاتِكُمْ ، وَحَامِلَاتُ أَوْلَادِكُمْ ، وَإِنَّكُمْ مَعَاشِرَ الرِّجَالِ فُضِّلْتُمْ عَلَيْنَا بِالْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ ، وَعِيَادَةِ الْمَرْضَى ، وَشُهُودِ الْجَنَائِزِ، وَالْحَجِّ بَعْدَ الْحَجِّ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا أُخْرِجَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا وَمُرَابِطًا حَفِظْنَا لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ ، وَغَزَلْنَا لَكُمْ أَثْوَابًا، وَرَبَّيْنَا لَكُمْ أَوْلَادَكُمْ، فَمَا نُشَارِكُكُمْ فِي الْأَجْرِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَى أَصْحَابِهِ بِوَجْهِهِ كُلِّهِ، ثُمَّ قَالَ:" هَلْ سَمِعْتُمْ مَقَالَةَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْ مَسْأَلَتِهَا فِي أَمْرِ دِينِهَا مِنْ هَذِهِ؟ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا ظَنَنَّا أَنَّ امْرَأَةً تَهْتَدِي إِلَى مِثْلِ هَذَا، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ لَهَا: (انْصَرِفِي أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ ، وَأَعْلِمِي مَنْ خَلْفَكِ مِنَ النِّسَاءِ أَنَّ حُسْنَ تَبَعُّلِ إِحْدَاكُنَّ لِزَوْجِهَا، وَطَلَبَهَا مَرْضَاتِهِ

وَاتِّبَاعَهَا مُوَافَقَتَهُ تَعْدِلُ ذَلِكَ كُلَّهُ) ، قَالَ: فَأَدْبَرَتِ الْمَرْأَةُ وَهِيَ تُهَلِّلُ وَتُكَبِّرُ اسْتِبْشَارًا) .

ومن ثمّ فإن نجاح الأسرة المسلمة واستقرارها مرهون بالمحافظة على الحقوق والواجبات بين جميع أفرادها ، وتجنب تجاهلها أو التفريط فيها.

ومن الأمور التي تساعد على استقرار الأسرة : انتشار الرحمة بين أفرادها ، فإن الرحمة من أهم دعائم البيت السعيد ، وأساس متين لأي أسرة ناجحة ، وهي من القيم التي ينبغي لكلا الزوجين أن يتحلى بها في علاقته مع الآخر حتى تنعم الأسرة بالسكينة والمودة والاستقرار قال سبحانه : {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُم أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} . فالتراحم بين جميع أفراد المجتمع مرهون بتحقيقه في الأسرة. ولنا في رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الأسوة الحسنة ، فقد كان (صلى الله عليه وسلم) أنموذجًا في الرحمة بأهل بيته كلهم على السواء ، أزواجه وأولاده وحتى أحفاده وخادمه ، فكان (صلى الله عليه وسلم) خير الناس لأهله.

فالرحمة إذا نُزعت من البيت كانت الحياة الأسرية شقاء ودمارًا فينبغي على كل أفراد الأسرة العمل بجدية على تحقيق الرحمة.

وكذلك من أسس استقرار الأسرة : **المعاشرة بالمعروف** ، وهذا ما أمرنا به ربنا سبحانه وتعالى ، وأوصانا به نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فقال تعالى:

{وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} ، فكل من الزوجين مطالب بإحسان الصلة بالآخر حتى يسود الأسرة جو من المودَّةِ والتعاون يتحقق معه مقصد هذه العلاقة ، قال تعالى: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ}، وقال سبحانه: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً ورَحْمَةً}، وقال سبحانه: {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا}.

ومما تتم به المعاشرة الحسنة: الكلمة الطيبة ، والفعل المحمود والتسامح ، والتعاون ، والاحترام ، والتشاور ، وحفظ الأسرار ، واجتناب دواعي النزاع والشقاق ، وسائر الخصال الحميدة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

لقد ضرب لنا النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وأصحابه الكرام (رضوان الله عليهم) أعظم الأمثلة في حسن العشرة ، ففي حديث الأَسْوَدِ ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) مَا كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: (كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ – تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ – فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ) ، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَتَزَيَّنَ لِلْمَرْأَةِ ، كَمَا أُحِبُّ أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي

الْمَرْأَةُ ، لأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ}، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَنْظِفَ جَمِيعَ حَقِّي عَلَيْهَا ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ:{وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ}.

ومن معاني حسن العشرة بين الزوجين: عدم إثقال أحد الزوجين كاهل شريكه بالمشاكل التي يعاني منها الآخر ، فحسن العشرة كلمة جامعة تضم كل معاني الخير للحياة الزوجية الطيبة .

والإسلام يحرص كل الحرص على أن تقوم الرابطة الزوجية على المحبة ، والتفاهم والانسجام ، وهذه هي أهم خطوة في إصلاح المجتمع.

ومن الأمور التي تساعد على استقرار الأسرة : **مشاورة كل من الزوجين للآخر** ، فالتشاور بين الزوجين يزيد الألفة والمحبة بينهما حتى في مسألة قد تبدو أمام البعض صغيرة وهي مسألة فطام الرضيع قبل عامين ، قال تعالى:{فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَليهِمَا}، فالشورى بين الزوجين ، بل بين جميع أفراد الأسرة تمثل منهج حياة في ديننا الإسلامي، والأمر بها ورد بصيغة العموم في كتاب الله عز وجل ، قال سبحانه:{وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}، وهذا ما طبقه الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عمليًا ، وفي السنة النبوية مواقفُ عدة لمشاورته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لبعض أزواجه، منها : ما حدث بينه (صلى الله عليه وسلم) وبين زوجه السيدة أم سلمة (رضوان الله تعالى عليها) يوم

الحديبية ، فبعد أن انتهى النبي (صلى الله عليه وسلم) من إبرام عهد الصلح بينه وبين أهل مكة قَالَ لأَصْحَابِهِ: (قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا) قَالَ راوي الحديث: فَوَ اللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ (صلى الله عليه وسلم) عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : يَا نَبِيَّ اللهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا). قال الحسن البصري (رضي الله عنه): إنْ كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لفي غنى عن مشورة أم سلمة ، ولكنه أحبّ أن يقتدي الناس في ذلك ، وأن لا يشعر الرجل بأي غضاضة في مشاورة النساء.

كذلك من أسس استقرار الأسرة : **النفقة على جميع أفرادها** فهي حق من الحقوق التي أوجبها الإسلام على الراعي ، قال تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ} ، وقال تعالى: {وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ} ، وقال تعالى:{لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا} .

ومن الأمور التي تساعد على استقرار الأسرة : **تحقيق العدل بين جميع أفرادها** ، فحسن التربية الدينية للأبناء ، وتعليمهم شعائر الدين والعدل بينهم عامل أساسي في استقرار الأسرة ، فقد حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من التفريق بين الأبناء في المعاملة ، حفاظًا على الترابط الأسري ، والتآلف بين جميع أفرادها ، فعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: (تَصَدَّقَ عَلَيَّ أَبِي بِبَعْضِ مَالِهِ، فَقَالَتْ أُمِّي عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَانْطَلَقَ أَبِي إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِيُشْهِدَهُ عَلَى صَدَقَتِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟) قَالَ: لَا قَالَ: (اتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ)، فَرَجَعَ أَبِي، فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ) .

إن الإسلام قد نظر إلى الأسرة نظرة تقدير واحترام ، فهي في نظره رباط مقدَّس له غايات سامية ، حرص الإسلام على إبقائه قوياً متماسكاً ، يحقِّق أهدافه ويصمد أمام الشدائد والمحن ، ولهذا أَوْلَاها الإسلام عناية فائقة بجملة من الآداب من أجل أن يكون البناءُ متماسكًا قويًّا ، يحافظ على استقرار المجتمع وحمايته من كل مظاهر التطرف والتشدد والعدوان، فاهتم الإسلام بالأسرة وأسس لاستقرارها ، تحقيقًا للترابط بين أفراد الأمة ، وتحقيقًا للتقدم والرخاء .

وإذا استقرت الأسرة شعر جميع أفرادها بالأمن في جميع صوره ـ النفسي والبدني والاجتماعي والاقتصادي ـ مما ينعكس ذلك على أمن المجتمع وسلامته ، فالإسلام اعتبر أن استقرار الأسرة وسيلة فعّالة لتحقيق

الأمن المجتمعي من الفساد والفوضى، فبداية الأمن المجتمعي من الأسرة أولاً ، ثم المدرسة ، ثم المجتمع.

فالأسرة هي المدرسة الأولى التي يتعلم فيها الطفل الحق والباطل، والخير والشر، ويتعلم تحمل المسئولية، وحرية الرأي، وفي الأسرة تتحدد عناصر شخصية الطفل، وتتميز ملامح هويته، ومن ثم يكون مواطنا صالحا في مجتمع صالح.

على أن الإسلام أمرنا بمراعاة حقوق المجتمع ، وأن نحافظ على أمنه وسلامته ، وأن نتعاون على البر والخير ، وأن نكون دعاة بناء وتعمير لا هدم وتخريب ، وأن نكف الأذى عنه ، حتى يصبح مجتمعًا قويًا متماسكًا ، فقد نهانا الإسلام عن إلحاق الأذى بالناس ، وجعل رفع الأذى طريقًا إلى الجنة ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (بينَما رجُلٌ يمشي بطريقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ) .

كما حثَّ الإسلام على التكافل والتعاون بين أفراد المجتمع ومساعدة الضعفاء وذوى الاحتياجات الخاصة، ومن ذلك اليتامى، فقد رغَّب النبي (صلى الله عليه وسلم) في كفالة اليتامى ، فكفالتهم تأمين لهم وللمجتمع معًا ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِه، أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ) وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى ، ولما جاء رجل إلى رسول الله

(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَشْكُو قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (امْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ، وَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ).

ولقد حذرنا القرآن الكريم من تجاهل شأن اليتيم فكان هذا الوعيد الشديد في قول الله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}.

وكذلك أمرنا الإسلام بالإحسان إلى الضعفاء والمساكين وذوي الحاجات ، فقد بين النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ثواب من سعى في خدمة هؤلاء الضعفاء ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ) فيا له من ثواب جزيل وفضل عظيم لمن سار على هدي المصطفى(صلى الله عليه وسلم) واقتفي أثره.

* * *

حق الطفل في التنشئة السوية والحياة الكريمة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : { وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً}،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فإن من أجل النعم التي أنعم الله (عز وجل) بها على الإنسان بعد نعمة الإيمان بالله سبحانه وتعالى نعمة الولد الذي به يُحفظ النسل ، وتُقر العين ، فالأطفال نعمة إلهية، وهبة ربانية، يختص الله بها من يشاء من عباده ، قال تعالى: {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ} فبالأطفال تُملأ الحياة بهجة وسرورًا ، ويُبدل ظلام البيوت إلى ضياء ونور ، فهم مصابيح البيوت ، وقرة العيون وفلذات الأكباد ، فهم زينة الحياة الدنيا ، كما قال ربنا في القرآن الكريم: {المال وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلا}.

هذه النعمة العظيمة ـ نعمة الأطفال ـ تستوجب شكر الله (عز وجل) عليها ، قال الخليل إبراهيم (عليه السلام) بعد أن رزقه الله (عز وجل) بنعمة الولد: {الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء} فالشكر على النعم يحفظها ، قال تعالى :{ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن

شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾، وتستلزم الاهتمام بها حتى ينشأ جيل يعرف حقوق الله (عز وجل) وحقوق الوالدين والوطن والمجتمع.

ولقد اعتنى الإسلام عناية فائقةً بالأطفال وتربيتهم تربيةً تحقق للأبناء وللآباء سعادةً في الدنيا والآخرة ، فاعتنى الإسلام بالطفل قبل أن يأتي للحياة فأمر راغبي الزواج بالانتقاء واختيار الزوجة الصالحة ، لأنّ البيوت إذا شاع فيها جوُّ الإيمان انعكست آثاره على أهله خيرًا وبرًا وسعادةً وهناءً ، وهذا ما أشار إليه الرسول (صلى الله عليه وسلم) حين قال : (... فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ) ، وكان اهتمام الإسلام بالطفولة قبل ظهور المنظمات الدولية التي تهتم بشأن الطفولة ، وذلك لأهمية هذه المرحلة الخطيرة والحرجة في حياة الإنسان ، فالطفولة مرحلة أساسية يعبر بها كل إنسان إلى مرحلة النضج والرشد ، فاعتنى الإسلام بالأطفال حتى يكونوا إضافة إيجابية وعنصراً فاعلا في المجتمع فشرع لهم الكثير من الأحكام التي تعود على الولد والأسرة ثم المجتمع بالنفع والفائدة.

واهتمام الإسلام بالطفولة بدأ من مرحلة كونه جنينا في بطن أمه فشرع له من الأحكام والتشريعات ما يكفل له حقه ، ويحافظ على آدميته واحترامه ، في عناية فائقة ورعاية شاملة، فهذه المرحلة هي نقطة البدء التي تستحق العناية والاهتمام ، ومن ثمّ ضمن له حق الحياة وهو في بطن أمّه ، فحرّم الإجهاض عمدًا ، وأوجب رعاية الحامل طيلة فترة

حملها ، وأباح للمرأة الحامل الفطر في شهر رمضان إذا خافت على جنينها ، حتى ينمو الجنين نموًّا طبيعيًّا ، قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ الْمُسَافِرِ نِصْفَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمَ وَعَنْ الْحُبْلَى وَالْمُرْضِعِ) .

كذلك من مظاهر عناية الإسلام بالطفل: **اختيار أحسن الأسماء له** ، فقد ألزم الآباء باختيار الأسماء الحسنة لأولادهم التي ينادون بها بين الناس ، فالاسم الحسن يبعث في النفس راحة وطمأنينة لا تتحقق مع الاسم السيئ ، فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ ، فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ) ، فإذا ما أَهَلَّ المولود على أبويه فهما مأموران باختيار أحسن الأسماء له ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (الغُلامُ مُرْتَهَنٌ بعقيقته يُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ، وَيُسَمَّى، وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ) .

ولقد رغب النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) الأمة في أحسن الأسماء وأحبها إلى الله ، فعَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَبْدُ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ) وفي رواية الإمام مسلم، عَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللهِ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ) ، وكان (صلى الله عليه وسلم) ينهي عن تسمية الأبناء بأسماء قبيحة ، فقال: (لَا تُسَمِّ غُلَامَكَ رَبَاحًا، وَلَا يَسَارًا، وَلَا أَفْلَحَ، وَلَا نَافِعًا) .

والعلة من النهي عن الأسماء القبيحة مراعاة الجانب النفسي عند الطفل ، حتى لا تسبب له أي نوع من أنواع الإيذاء النفسي جاء رجل إلى الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يشكو إليه عقوق ابنه فأحضر عمر الوالد وابنه ، وعاتبه على عقوقه لأبيه، ونسيانه لحقوقه ، فقال الولد: يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه ؟ قال : بلى قال : فما هي يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه ويعلمه الكتاب (أي القرآن) ، قال الولد : يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك ، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي ، وقد سماني جُعلاً (أي: خنفساء) ، ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً ، فالتفت عمر إلى الرجل وقال له: جئت إلي تشكو عقوق ابنك ، وقد عققته قبل أن يعقك ، وأسأت إليه قبل أن يسيئ إليك .(تربية الأولاد في الإسلام) .

قال سفيان الثوري: "حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه، وأن يزوجه إذا بلغ، وأن يحسن أدبه " ، فإن حسن اختيار الاسم للولد يساعد على تنشئته في حياة كريمة فيبعد عنه السخرية والاستهزاء، ويوفر له الراحة النفسية التي يحتاجها كلما ذُكر اسمه ، فالاسم هو عنوان الشخصية.

ومن مظاهر عناية الإسلام بالطفل: **أن جعل رضاعته حقًا معلوما له** ، قال تعالى: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ

ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} ، ففي الآية الكريمة أمر للأمهات في صيغة خبر والمعنى: يا أيتها الوالدات أرضعن أولادكن حولين كاملين ، فالطفل في هذه السن يحتاج إلى نوعية معينة من الغذاء تساعد على بناء جسده ، ولا يكون أفضل من لبن أمه الذي هيأه ربنا لهذه المهمة وصدق الله حين قال: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}. أما إن كانت الأم لديها علة طبية مشروعة تمنع من الرضاعة ، أو امتنع الطفل من الرضاعة من الأم ، أو توفيت الأم فشريعة الإسلام أوجبت على والده إحضار مرضعة لهذا الطفل بأجرٍ سلامة له.

ولقد أثبتت بعض الدراسات الصحية والنفسية أن فترة رضاعة الطفل المقررة شرعا بحولين كاملين ضرورية لنمو الطفل نموًّا سليمًا من الناحيتين: الصحية والنفسية ، وتقوي شعور الطفل بالدفء والحنان والأمان وهو ملتصق بأمه مما يساعد على تنشئة الطفل تنشئة سوية ويحيا حياة كريمة.

ومن أسس التنشئة السوية للأطفال: الإحسان إليهم وعدم الغلظة والشدّة معهم ، فمن المقرر شرعا أن الرفق لا يأتي دائما إلا بكل خير فعن أم المؤمنين عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أن النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ) (صحيح مسلم)، فالقسوة والغلظة

في التربيـة وتقـويم سـلوكيات الطفـل تؤدّيـان في أغلـب الأحـوال إلى نفوره من المربّي ، وكرهه، وعدم الانصياع لكلامه.

وقد ورد في الأحاديث الشريفة أنه (صلى الله عليه وسلم) كان يحمـل الحسن والحسين (رضوان الله عليهما) على كتفيه ويلاعبهما، وكان مبدأه (صلى الله عليه وسلم) في التربية هو اللين والرفق ، فعَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ إِذْ أَقْبَلَ حَسَنٌ، وَحُسَيْنٌ، وَعَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فَنَزَلَ فَحَمَلَهُمَا وَقَالَ: (صَدَقَ اللهُ {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ}، إِنِّي رَأَيْتُ هَذَيْنِ يَمْشِيَانِ، وَيَعْثُرَانِ فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى نَزَلْتُ فَحَمَلْتُهُمَا)

إن المربي الرفيـق ـ والـدا كـان أو معلمـا ـ هـو الـذي يراعـي هـذا الأساس العظيم من أسس التربية وهـو المعاملـة برفـق ولين ، ويبتعـد عـن الغلظة والقسوة ، ويعالج الأخطاء بحكمة ورحمة، فالقسوة تورث في قلب الطفل الخوف والجبن فضلا عن حالـة مـن الاضطراب النفسـي والخجـل والتردد ، قال الأحنف بن قيس في إحدى نصائحه: لا تكـن علـيهم قُفـلا فيتمنّوا موتك ويكرهوا قُربك ويملُّوا حياتك. إن التعامل بالرفق لا ينافي استعمال العقوبة عند الحاجة إليها ، لكن يجب أن نذكر أنّ العقوبة يجب أن تستعمل بحكمة ، فلا تكن على كل مخالفة يقوم بها.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين. **إخوة الإسلام :**

كذلك من أسس التنشئة السوية للأطفال: العدل والمساواة بينهم، فالعدل بين جميع الخلق مبدأ إسلامي أصيل يجب مراعاته ، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} ، وينبغي أن يطبق هذا المبدأ بين الرجل وأولاده.

وقد وجه النبي (صلى الله عليه وسلم) الآباء والأمهات لهذا المبدأ وضرورة الالتزام به ، بل وقرن الأمر به بالأمر بتقوى الله عز وجل فعَنْ النُّعْمَان بْن بَشِيرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) يَقُولُ: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لاَ أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟) قَالَ: لاَ، قَالَ: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ)، قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ. وروى عبدالرزاق في مصنفه أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) دَعَاهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَجَاءَ ابْنٌ لَهُ فَقَبَّلَهُ وَضَمَّهُ وَأَجْلَسَهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ جَاءَتْهُ ابْنَةٌ لَهُ فَأَخَذَ بِيَدِهَا فَأَجْلَسَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَوْ عَدَلْتَ كَانَ خَيْرًا لَكَ ، قَارِبُوا بَيْنَ أَبْنَائِكُمْ وَلَوْ فِي الْقُبَلِ) ، فالعدل بين الأولاد له فوائد عظيمة ، فهو من أعظم أسباب الإعانة على

البر ، ويساعد على تقديم جيل صالح سوي للمجتمع ، كما يساعد على زرع الأخوة بمعناها ومبناها ، وعلى النقيض نجد التفريق بين الأولاد من أعظم أسباب العقوق والكراهية، وسببًا في زرع الضغينة بينهم.

وقد أثبتت بعض البحوث النفسية أنّ ظهور الاضطرابات النفسية والاجتماعية على الطفل يرجع في أغلبها إلى إحساس الطفل بالظلم وعدم العدل مع أقرانه ، وليس أدل على ذلك من تصرف إخوة يوسف معه حين خُيل إليهم تفرقة في المعاملة من أبيهم يعقوب (عليه السلام) وتفضيله ليوسف (عليه السلام) عليهم ، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ * إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ }.

كذلك من الأسس التي وضعها الإسلام لضمان تنشئة سوية للأطفال: **التربية والتوجيه على أسس شرعية** ، فلقد أمر القرآن الكريم الآباء والأمهات بضرورة العمل على وقاية النفس والأهل من الوقوع في التهلكة ، قال تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} ، وتربية الطفل وتأديبه على أسس شرعية مطلب شرعي ، وهو أيضا حق من حقوق الولد على الوالد ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما)، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا حَقَّ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ، فَمَا حَقُّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ؟ قَالَ : (أَنْ يُحْسِنَ اسْمَهُ، وَيُحْسِنَ

أَدَبَهُ)، وروى الترمذي في سننه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْل أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَن).

فمن أهمّ أسس التنشئة السوية عند الأطفال توجيههم وتربيتهم تربية فاضلة باللُّطف والتعليم ، دون إحراج خاصة أمام الآخرين ، وهذا ما كان يحرص عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) في تربيته للأطفال، فعَنْ ابْن عَبَّاس (رضي الله عنهما) قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَوْمًا ، فَقَالَ:(يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ).

وها هو النبي (صلى الله عليه وسلم) يربي ويوجه بأدبٍ ورفق ضاربًا أروع الأمثلة في توجيه الطفل وإرشاده ، فعن عُمَرَ بْن أَبِي سَلَمَةَ (رضي الله عنهما) قَالَ: كُنْتُ فِي حِجْرِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي: (يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ)، قال الإمام الغزالي (رحمه الله): والصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ، فإن عود الخير وعلمه ونشأ عليه سعد في الدنيا والآخرة.

ومن ثم ينبغي على المربي أن يكون قدوة لأولاده ، فيتحلى بمكارم الأخلاق قبل أن يأمرهم بها ، فإن الأبناء يقلدون الآباء، ولله در من قال:

وينشأ ناشئ الفتيان منا **** على ما كان عوده أبوه

جدير بالذكر أن تربية النشء ليست قاصرة على الوالدين فحسب، بل تشمل المعلم بالمدرسة ، فالمعلم يمثل قيم المجتمع وعليه مهمة تنشئة الأطفال تنشئة اجتماعية مرتبطة بقيم وتقاليد المجتمع الذي يعيشون فيه ، فإن الأطفال أمانة يتحمل المجتمع بأسره مسئولية رعايتهم، وحسن تربيتهم؛ وعلى الجميع أن يدرك عظم المسئولية الملقاة عليهم تجاه الأطفال، وليس أدل على ذلك من قوله (صلى الله عليه وسلم) : (كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)، قَالَ الراوي: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ: (وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ).

إن الإسلام يُحَمِّل الوالدين مسئولية حفظ الأبناء ، فنبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يقول: (إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ، أَحَفَظَ أَمْ ضَيَّعَ، حَتَّى يَسْأَلَ الرَّجُلَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ) وعندما نظر إلى الطفل اعتبره إنسانا له كامل الحقوق الجسدية والنفسية والمالية والتعليمية والتربوية ، وأمر بالمحافظة عليها، يسعى بذلك لتحقيق حياة كريمة للأطفال ، حتى يكون المجتمع متحضرًا ، تسوده روح الألفة والمودة والمحبة والرحمة.

* * *

حق المرأة في الميراث والحياة الكريمة
ودورها في بناء الوطن

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ } ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فلقد اهتم الإسلام بالمرأة اهتمامًا بالغًا، فرفع مكانتها وعظَّم منزلتها ، وجعلها مرفوعة الرأس عالية القدر ، تتمتع بشخصية محترمة وحقوق مقررة وواجبات معتبرة ، وبالجملة أكرمها أيما إكرام، فصان شخصيتها وردّ عنها ألوانًا من الظلم تراكمت عليها عبر قرونٍ طويلة ، وبث روح الأمل في نفوس النساء فساوى بينهن وبين الرجال في الثواب والجزاء على العمل الصالح، يقول تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ}، ويقول سبحانه:{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

ولقد بلغ من تكريم الإسلام للمرأة أن خصص لها سورة من القرآن سماها « **سورة النساء** » ، فدلَّ ذلك على اهتمام الإسلام بالمرأة اهتماماً كبيرًا ، بخلاف ما كان عليه أمرها في الجاهلية قبل الإسلام، فقد ظلمت المرأة في الجاهلية ظلمًا شديدًا ، فلما جاء الإسلام رفع مكانتها وأعلى شأنها، وأعزها وأكرمها ، يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

(رضي الله عنه): (كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا نَعُدُّ النِّسَاءَ شَيْئًا فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَذَكَرَهُنَّ اللَّهُ رَأَيْنَا لَهُنَّ بِذَلِكَ عَلَيْنَا حَقًّا).

وكما حرص الإسلام على حفظ كرامة المرأة ، واحترام شخصيتها المعنوية ، أثبت لها حقها في التصرف ومباشرة جميع الحقوق كحق البيع وحق الشراء وغير ذلك ، قال تعالى :{لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ}، وهكذا فالمرأةُ في ظل تعاليم الإسلام القويمة وتوجيهاتِه الحكيمة تعيش حياةً كريمة في مجتمعها المسلم ، حياةً مِلؤها الحفاوةُ والتكريم من أوَّل يوم تقدُم فيه إلى هذه الحياة، مُرورًا بكل حال من أحوال حياتها ، أمًّا كانت ، أو بنتًا ، أو أختًا ، أو زوجة ، أو امرأة من سائر أفراد المجتمع.

أما تكريم الإسلام للمرأة أمًّا ، فقد دعا إلى إكرامها إكرامًا خاصًّا والإحسان إليها ، وحثَّ على العناية بها ، فقال تعالى:{وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}، وقال سبحانه: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}.

فأي تكريم أعظمُ من أن يقرن الله حقها بحقه ، ويجعلها المصطفى (صلى الله عليه وسلم) أحقَّ الناس بحسن الصحبة وإسداء المعروف ، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ

الله (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: (أُمُّكَ) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (أُمُّكَ) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (أُمُّكَ) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ : (ثُمَّ أَبُوكَ) .

وأما تكريم الإسلامُ للمرأة بنتاً : فرفع شأنها ، وعدَّها نعمةً عظيمةً وهِبةً كريمة ، فقال تعالى : {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ}، ثمَّ أمر الله بإكرامها طفلةً وبين حقها في الرضاعة كالولد سواء بسواء ، وحثَّ على رعايتها والإحسان إليها منذ نعومة أظفارها ، قال تعالى:{وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ} ، وقد حثَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) على تربية البنت في جو من العبادة، وتعليمها آداب الإسلام ، والإنفاق عليها ، ووعد على ذلك بالثواب العظيم ، ففي مسند أحمد من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ (رضي الله عنه) قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: (مَنْ كَانَتْ- وَقَالَ مَرَّةً - مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ فَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَّتِهِ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنْ النَّارِ).

وبعد رعايتها وتربيتها حثَّنا الإسلام على معاملتها بالعدل وعدم التفرقة بينها وبين إخوتها من الذكور والإناث ، فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رضي الله عنهما) يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (اعْدِلُوا

بَيْنَ أَبْنَائِكُمْ اعْدِلُوا بَيْنَ أَبْنَائِكُمْ اعْدِلُوا بَيْنَ أَبْنَائِكُمْ قالها ثلاثاً) ، ولما كان أحد الناس جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَجَاءَ بُنَيٌّ لَهُ فَأَخَذَهُ فَقَبَّلَهُ وَأَجْلَسَهُ فِي حِجْرِهِ ، ثُمَّ جَاءَتْ بُنَيَّةٌ لَهُ ، فَأَخَذَهَا وَأَجْلَسَهَا إِلَى جَنْبِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (فَمَا عَدَلت بَيْنَهُمَا) ، أي أنه كما وضع الولد على فخذه كان ينبغي أن يفعل مع البنت فيجعلها على فخذه الآخر.

أما تكريم الإسلام للمرأة أختًا، فقد حثّ على إكرامها والإحسان إليها ، ووعد من أحسن تربيتها بالأجر العظيم ، فعند الترمذي من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (لَا يَكُونُ لِأَحَدِكُمْ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ فَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ)، وفي مسند أحمد من حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ أَوْ بِنْتَانِ أَوْ أُخْتَانِ اتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ حَتَّى يَبِنَّ أَوْ يَمُتْنَ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنْ النَّارِ).

ومن تكريم الإسلام للمرأة زوجة: أن حُفَّت بسياج عظيم من التكريم والمتأمل في شريعة الإسلام السمحة يجد أنها قد أوجبت للمرأة على زوجها حقوقًا مادية ، كالصداق والنفقة ، وغير ذلك، تكريماً لها ورفعة لشأنها ، فقال تعالى : {وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا}، فالآية الكريمة عبرت عن المهر بأسلوب هو غاية في تكريم المرأة، فجعلته حقًا ثابتًا لها ، ولم تجعله ثمنًا

للتمتع بها ، ومن ثمَّ لا يجوز لأحد أكْل صداق المرأة أو التصرف فيه بغير إذنها ورضاها الحقيقي.

وكذلك على الزوج أن ينفق على زوجه، والنفقة تشمل الطعام والشراب والملبس والمسكن، وما تحتاج إليه الزوجة لقوام حياتها ، لقوله تعالى: {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ}.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

كذلك أوجبت الشريعة الإسلامية للمرأة حقوقاً معنوية عظيمةً، من المعاشرة بالمعروف ، والإحسان ، والرفق ، والإكرام ، لما تقوم به من عمل عظيم في بيتها ، من تربية أولادها ، ومسئوليتها تجاه زوجها، وغير ذلك من الأمور التي تقوم بها المرأة تجاه أسرتها ، قال سبحانه: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} ، وقال تعالى: {فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} وهذا ما وصى به النبي (صلى الله عليه وسلم) في خطبته في حجة الوداع حيث قال: (اتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ ، فَإِنَّهُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ اتَّخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ)، وعن أَبِي

هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِي (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلعٍ ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلعِ أَعْلاَهُ ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا) .

وفي شأن المرأة بصفة عامة أمًّا كانت أو أختًا أو زوجًة أو ابنةً أو غير ذلك ، فقد نهى ديننا عن عضلهن وظلمهن وبخسهن حقوقهن، بل جعل العدل معهن وعدم التفرقة بين البنت والابن سبيلاً واسعًا لمرضاة الله وطريقًا لرضوانه وجنته ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْثَى فَلَمْ يَئِدْهَا وَلَمْ يُهِنْهَا وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا – قَالَ يَعْنِى الذُّكُورَ – أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ) ، ففي هذا الحديث معان راقية وبلاغة عالية ، حيث عبر النبي (صلى الله عليه وسلم) في صدر الحديث بالاسم الموصول (مَنْ) الذي يفيد العموم والشمول ، وعبر بلفظ الأنثى دون البنت ، لأنه أعم ، فلفظ الأنثى يشمل كل أنثى سواء أكانت بنتًا ، أم أختًا ، أم بنت ابن ، أم بنت بنت ، أم غير ذلك.

وإضافة إلى هذه الحقوق التي أقرها الإسلام للمرأة فقد جعل لها حقًّا في الميراث مع الرجل جنبًا إلى جنب، فقال تعالى:{لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا}، فقضية الميراث تعد واحدة من أهم القضايا التي أكد عليها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في خطبته

الجامعة في حجة الوداع حيث قال: (إِنَّ اللَّهَ عز وجل قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، أَلَا لَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ) .

وقد حدد الحق سبحانه وتعالى بنفسه أنصبة الوارثين ولم يتركها لأحد من خلقه ، حيث يقول سبحانه وتعالى : {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}، وبهذا الميزان الإسلامي الدقيق كان نصيب المرأة في بعض أحوال الميراث نصف نصيب الرجل، لأنها لا تتحمل من الأعباء ما يتحمله الرجل.

ولم يقف الأمر عند حد تحديد الأنصبة ، وإنما رتب القرآن الكريم الوعيد الشديد لكل من تسول له نفسه الاعتداء على هذه الحقوق، فقال سبحانه في ختام الحديث عن تحديد الأنصبة: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ}، وذلك ليعلم كل من يجترئ ويقترب من حدود الله ويأكل الميراث أو يعبث بالأنصبة إنما يقترب من النار، بل يأكل النار ويتعاطاها بيديه، فكيف به حين يُجاء بجهنم؟!! {...وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا * كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا

دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى}.

إن من أعظم مكتسبات المرأة في الإسلام إنصافها في قضية الميراث ، فلقد كان أهل الجاهلية لا يرون لها حقًا في الميراث ، بل كانوا يعتبرونها نفسها ميراثًا يتداولونه خلفًا عن سلف ، فجاء الإسلام بالنهي عن ذلك والتحذير منه، ونعى على أهل الجاهلية أكلهم حقوق بعض الورثة بغير حق ، فقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}، وهذا ما أكده النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث رهَّب من منع المرأة حقها في الميراث ، فعَنْ عِمْرَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ قَطَعَ مِيرَاثًا فَرَضَهُ اللَّهُ قَطَعَ اللَّهُ مِيرَاثَهُ فِي الْجَنَّةِ) ، وفي رواية : (مَنْ قَطَعَ مِيرَاثًا فَرَضَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ قَطَعَ اللهُ بِهِ مِيرَاثًا مِنَ الْجَنَّةِ).

ثم إن حرمان النساء من الميراث يكون لعلل واهية أو عادات وتقاليد بالية لا أصل لها في الشرع ، وكأن الذي يعبث بالميراث فيحرم شخصا ويؤثر آخر وفق ما يقتضيه هواه يظن نفسه أعلم بالمصالح ، وأعلم بمن يستحق ومن لا يستحق من رب العالمين وأحكم الحاكمين ، خالق الخلق ومالك الملك ، وكأن لسان حال هذا المفتئت على الله (عز وجل) في تشريعه يقول : تقسيم الله لا يعجبني ، أو كأنه يقول : أنا أقسّم

تقسيمًا أحسن من تقسيم الله– والعياذ بالله – ، إذ لو كان مؤمنا بأن تقسيم الله في كتابه العزيز هو الأفضل والأمثل ، لما تدخل بإيثار هذا وحرمان ذاك. لقد أوصى القرآن الكريم بمعاملة النساء بصفة عامة ، والإحسان إليهن وملاطفتهن ومؤانستهن وتطييب القول لهن ، بعيدًا عن السَّب والضرب والإهانة، قال تعالى: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} أي: صاحبوهن بما أمركم الله به من طيب القول والمعاملة بالإحسان.

جدير بالذكر أن المرأة لها دور عظيم لا يقل أهمية عن دور الرجل في بناء الوطن ورقيه والدفاع عنه ، حيث إن وجودها بارزٌ وواضحٌ في كل مجالات الحياة ، فهي المربية التي تغرس في نفوس أبنائها حب الوطن والانتماء إليه، ليكونوا عناصر إيجابية قوية وفعالة في المجتمع ، وهي الطبيبة ، وهي المعلمة ، وهي الصانعة، وهي المفكرة والمبدعة والسياسية، وصاحبة الدور الذي لا ينكر في البناء الوطني الحديث ، وهي التي أسهمت في بناء الوطن إسهاماً واضحاً من خلال أدوارها المختلفة ، ومشاركتها في ميادين الحياة العامة، وإسهاماتها الفعالة في حركة المجتمع وفي الحفاظ عليه والرقي به، غير أن الوطن مازال في حاجة إلى جهد أكبر من جميع أبنائه رجالاً ونساءً، شيوخًا وشبابًا، حتى نرقى به إلى المكانة التي يستحقها بين الأمم ، وبما يحقق صالح الجميع في لحمة وطنية لا تعرف التفرقة على أساس الدين أو اللون أو الجنس.

* * *

أمانة الكلمة ومسئوليتها

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز: { وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فلقد أنعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان بنعم كثيرة وعظيمة لا تعد ولا تحصى ، قال تعالى:{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} ومن أعظم هذه النعم نعمة اللسان ، قال تعالى: {أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ*وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ}، ثم جمّل الله تعالى اللسان وكمّله بنعمة البيان التي يتميز بها الإنسان عن سائر الخلق، قال تعالى:{الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}

إن الكلمة هي عنوان الإنسان ، ووسيلة اتصاله بالآخر ، وبها يكاد يكونُ كلّ شيء في حياته، ولا توجد شريعة من الشرائع اهتمت بالكلمة كاهتمام الشريعة الإسلامية بها في كل الأحوال حتى في ساعة الهزل فبكلمة تسعد أمة ، وبكلمة تشقى أمم وشعوب ، بكلمة تحفظ وتصان الأعراض والدماء، وبكلمة تهدر وتراق.

ونظرًا لخطورة الكلمة على الإنسان ، جاء الأمر الإلهي بضرورة ضبط اللسان وحفظه ، وعدم إطلاق العنان له في أعراض الناس ، والتحدث بما لا ينفع ولا يفيد ، فقال تعالى: {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}، فجوارح الإنسان كلها مرتبطة باللسان ، فإن استقام استقامت وإن اعوجّ اعوجّت ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: (إِذَا

أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا) .

ولقد بيَّن (صلى الله عليه وسلم) لمعاذ بن جبل (رضي الله عنه) أن اللسان يكون سببًا في دخول الإنسان الجنة أو النار ، يقول (رضي الله عنه): كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ قَرِيبًا مِنْهُ ... وفيه ... ثُمَّ قَالَ: (أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟)، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: (كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا) ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقَالَ: (ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ – أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ – إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ).

الكلمة أمانة، يجب على قائلها أن يتقي الله (عز وجل) فيها، لما لها من خطورة وما يترتب عليها من خير كبير أو شر مستطير ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ). ولما كانت الكلمة الطيبة دليلًا على إيمان صاحبها كما أخبرنا النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث قال: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) أمرنا الحق سبحانه وتعالى بالكلمة الصادقة لجميع الناس دون تفرقة، وألا ننطق إلا بالقول الرشيد الذي يصلح ولا يفسد ، يبني ولا يهدم ، يعمر ولا يخرب ، فقال تعالى: {وَقُولُوا

لِلنَّاسِ حُسْنًا...} وقال تعالى: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} وقال سبحانه:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}. فصلاح الأعمال وغفران الذنوب مترتب على القول الطيب والكلمة الصادقة ؛ لذلك كان توجيه الإسلام إلى التثبت والتحقق من كل ما يقال أو يشاع ، إذ ليس كل ما يُقال يُصدق ، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}.

ومن ثمَّ يتضح أن حفظ اللسان دليل على كمال الإيمان، وحسن الإسلام، وسبيل الوصول إلى الفردوس الأعلى، قال تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ} إلى أن قال: {أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} ، وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ (رضي الله عنه) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ) .

إن أمانة الكلمة ومسئوليتها واجب شرعي وأخلاقي ، لأنها تجمع شمل الأمّة ، وتقوي عزيمتها، وتحول العدو إلى صديق ، وتقلب الضغائن إلى محبة ، وتمنعُ كيدَ الشيطان ، قال تعالى : { ...ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}، كما أن الكلمة الطيبة تؤلف القلوب ، وتصلح النفوس، وتذهب الأحزان ، وتزيل الغضب وتشعر بالرضا والسعادة لا سيما إذا رافقتها ابتسامة صادقة ، فعن أبى ذر

(رضي الله عنه) قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ) ، كما أن أمانة الكلمة تتطلب من صاحبها ألا ينطق إلا بالخير والصدق، فلا يكذب ولا يخادع ولا يشهد زورًا ولا يدلس ولا يقلب الحقائق ، ولا يتحدث بغير علم ، قال تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ}.

كذلك تتطلب أمانة الكلمة الصدق في النصيحة والمشورة لمن طلبها، فالدين النصيحة كما أخبر الصادق الأمين (صلى الله عليه وسلم) فعنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ) قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ: (لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ) وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ) فبالنصيحة والمشورة الخالصة الصادقة يَصلح أمر العباد، ويسودُ الأمن والأمان ، ويعمُّ الرَّخاء في البلاد.

إن الكلمة سلاح خطير ذو حدّين، إما أن تكون سببًا في البناء والإعمار إذا كانت صادقةً أمينةً صالحةً ، وإما أن تكون سببًا في الهدم والفساد والدمار إن كانت كاذبةً باطلةً فاسدةً ، فليست الكلمة أمرًا هينًا بل لها أهمية عظيمة في حياة الإنسان ، وما يتعامل به مع الناس ، من بيع وشراء، وعقود ومعاهدات ، ونحو ذلك مما يتطلب الصدق في الحديث .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

لا يخفى ما للكلمة الصادقة من أثر طيب في العلاقة بين الناس فالإحسان إلى الجيران بالكلمة يكون سببًا في دخول الجنة، والإساءة إليهم قد تكون سببًا في دخول النار ، فعن أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلَانَةً تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعَلُ، وَتَصَدَّقُ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ) قَالُوا: وَفُلَانَةٌ تُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ، وَتَصَدَّقُ بِأَثْوَارٍ، وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (هِيَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ) .

وكذلك للكلمة أيضًا أثرها الطيب في حسن العلاقة بين المسلم وغيره، حتى مع الأعداء أمرنا الله بالقول اللين ، يقول تعالى : {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} .

جدير بالذكر أن الكلمة المكتوبة لها آفات وأضرار تدمر الأمة بأسرها ، لا تقل خطرًا عن الكلمة المنطوقة ، فكلتا الكلمتين أمانة، من هنا وجب على كل صاحب قلم أن يعطي القلم حقه ويؤديه كما ينبغي ويحرص عليه من الوقوع في الزلل، فهو يعكس خُلقه وآراءه ، ويستعمله في مناصرة الحق، والمناداة للفضيلة، وكما قال الجاحظ: (القلم أحد

اللسانين، والقلم أبقى أثرًا)، بل هو أحدّ من السيف في قوته، ويصل إلى أبعد مما يصل إليه اللسان.

ومن ثم فإن نشر الأخبار الكاذبة ، وتشويه الحقائق أو تدليسها والنيل من أعراض الشرفاء، وكل ما يتصل بنشر ما يشيع الفاحشة في المجتمع يُعدُّ خيانة للكلمة.

فليتق الله كل صاحب كلمة مكتوبة ، وليعلم علم اليقين أن ما سطره سيبقى شاهدًا له أو عليه ، ورحم الله الشاعر حين قال:

وما من كاتب إلا سيفنى **** ويبقي الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيء **** يسرك في القيامة أن تراه

فليدرك كل إنسان مسئوليته الكاملة أمام الله – عز وجل– وأمام ضميره وأمام الخلق عن كل ما يتحدث به ، حتى لا يكون سببًا في الفرقة والتنافر بين أبناء المجتمع الواحد ، وحتى لا يكون سببًا في قطع الأرحام ، وإفساد العلاقات بين الناس.

فما أحوجنا إلى الكلمة الطيبة الصادقة بين أفراد المجتمع لما لها من أثر طيب في نشر الألفة والمحبة ، وإذابة الفرقة والشحناء، فالكلمة الطيبة لها أثرها الطيب في صلاح الأعمال ومغفرة الذنوب ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

* * *

الوفاء بالعهود والعقود
وأثره في حياة الأفراد والأمم

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز :{ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ } ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فإن الوفاء بالعهد قيمة خلقية وإنسانية عظمى، بها تُدعم الثقة بين أفراد الأسرة والمجتمع ، وتنمو أواصر التعاون فيما بينهم ، والوفاء بالعهد شعبة من شعب الإيمان ، فهو دليل صدق إيمان العبد وعنوان استقامته.

وهو خصلة من خصال المؤمنين الصالحين، ومنقبة من مناقب الدعاة المخلصين ، وهو أدب رباني جليل، وخلق نبوي كريم، وسلوك إسلامي حميد ، فمن أبرم عقدًا وجب عليه أن يحترمه، ومن أعطى عهدًا وجب عليه أن يلتزم به.

لذا أمر الإسلام بضرورة التحلي بخلق الوفاء بالعهود والعقود وحث على ذلك ، قال تعالى: {وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً }، وقال تعالى :{وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}، أي: والتزموا الوفاء بكل عهد أوجبتموه على أنفسكم سواء فيما بينكم وبين الله أو فيما بينكم وبين الناس ، فيما لا يخالف كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم)، ولا تنكثوا الأيمان بعد أن أكّدْتموها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً وضامنًا حين عاهدتموه.

والوفاء بالعهد صفة ربانية اتصف بها الحق سبحانه وتعالى ، حيث قال : {وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ}.

ولقد جعل الله سبحانه وتعالى الوفاء بالعهد من سمات أهل الصلاح والإيمان، قال سبحانه: {وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}، وقال تعالى: {بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}. وكذلك جعله سبحانه من صفات أولي الألباب وهم أهل البصائر النيرة بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) فقال تعالى : {... إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ}.

كذلك جعله الله (عز وجل) من صفات المؤمنين المفلحين ورثة الفردوس يوم الدين ، قال تعالى:{وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ}، وقد تكرر هذا الوصف بنصه في سورة المعارج ولكن الجائزة بعدها هي ما أخبر به الحق سبحانه عن أهل الوفاء بالعهود والعقود بقوله: {أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ}.

ولما كان الوفاء بهذا الفضل وبهذه المنزلة تخلَّق به كل الأنبياء والرسل (عليهم السلام) قال الله تعالى في شأن سيدنا إبراهيم الخليل (عليه السلام):{وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى}، وفي حق سيدنا إسماعيل (عليه السلام) قال جل شأنه:{إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا}.

وهو من أخص خصائص سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

قبل البعثة وبعدها ، فعن عبد اللَّهِ بْنِ أَبِى الْحَمْسَاءِ (رضي الله عنه) قَالَ: بَايَعْتُ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) بِبَيْعٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ فَنَسِيتُ ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلاَثٍ ، فَجِئْتُ فَإِذَا هُوَ في مَكَانِهِ فَقَالَ: (يَا فَتَى لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ أَنَا هَا هُنَا مُنْذُ ثَلاَثٍ أَنْتَظِرُكَ).

وحتى في ساحة القتال لم يغدر (صلى الله عليه وسلم) ، بل وفَّى بالعهد حتى مع أعدائه ، فعن حُذَيْفَة بْن الْيَمَانِ (رضي الله عنه) قَالَ : مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلاَّ أَنِّى خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِى – حُسَيْلٌ– قَالَ : فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ قَالُوا : إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا ، فَقُلْنَا : مَا نُرِيدُهُ مَا نُرِيدُ إِلاَّ الْمَدِينَةَ. فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلاَ نُقَاتِلُ مَعَهُ فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ: (انْصَرِفَا نَفِى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ) .

ونظراً لأهمية ومكانة الوفاء بالعهد والميثاق من أجل بناء الأمة على الأخلاق ، فقد أمر الله تعالى به في القرآن الكريم في أكثر من آية حتى يستقيم الناس على هذا الخلق الكريم الذي به صلاح الفرد والمجتمع.

والوفاء بالعهد على أربعة أنواع:

الأول: وفاء العبد بعهده مع الله عز وجل ، وهو أعلى الأنواع قدرًا ، وأولاها بالوفاء ، قال تعالى:{وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}، وقال تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ

بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}، ويتمثل هذا النوع بتحقيق معنى العبودية الخالصة لله (عز وجل) والمحافظة على الالتزام بالأوامر واجتناب النواهي ، وتقديم شرع الله سبحانه وتأخير الهوى، قال تعالى: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ}.

ومن صور الوفاء بالعهد مع الله عز وجل : حسن التوكل والاعتماد عليه دون غيره ، مع الأخذ بالأسباب، والإخلاص في الطاعة والمحافظة على الأعمال الصالحة والمداومة عليها، مع الخوف من الله (عز وجل) وخشيته في السر والعلانية.

والثاني: الوفاء بالعهد مع الرسول (**صلى الله عليه وسلم**) ، ويتحقق هذا النوع بحبنا الصادق له (صلى الله عليه وسلم) وتوقيره وتعظيمه ونصرتنا لشريعته ومحافظتنا على سنته ، والسير على نهجه ، وتصديقه في كل ما صح عنه (صلى الله عليه وسلم) وما وصلنا عنه بطريق صحيح مقبول ، ولنحذر من مخالفته (صلى الله عليه وسلم) ففي مخالفته شر مستطير ، قال تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} .

والثالث: **الوفاء بالعهد مع النفس**، فسعادة المرء مرهونة بوفائه مع نفسه ، لأنه لو كان وفيًّا مع نفسه لالتزم بالوفاء مع الله ورسوله والناس أجمعين ، فالإنسان بإمكانه أن يكذب على كل الناس ، ولكن من المحال أن يخدع نفسه أو يكذب عليها ، ولتحقيق هذا النوع لابد من

مجاهدة النفس وتزكيتها ، وعدم تحميلها أكثر من طاقتها.

والرابع: **الوفاء بالعهد مع الناس** ، وهذا النوع هو ثمرة الأنواع الثلاثة السابقة ، فالوفاء مع الله تعالى ، ومع رسوله (صلى الله عليه وسلم) ومع النفس مقدمات وأسس لا بد منها لتتحقق النتيجة وهي الوفاء بالعهد مع الناس ، فبه يتحقق التواد والتآلف والتراحم والتعاطف بين جميع أفراد الأمة الواحدة ، فيصدق فيها قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى).

وأولى الناس بالوفاء بالعهد معهم الوالدان والزوجة والأقارب والجار ، وعامة المسلمين ، حتى غير المسلم لو عاهدته على أمر فله عليك حق الوفاء بعهده ، قال تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ}.

والعهد مع الناس له عدة مجالات يجب الحفاظ عليها :

منها: **الالتزام بالعهود الزوجية** ، فقد أولى الإسلام عقد الزوجية من الرعاية والعناية الشيء الكثير ، حتى سماه ربنا في القرآن الكريم بالميثاق الغليظ ، قال تعالى: {وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} ، هذا الميثاق الغليظ - ميثاق الزوجية - يتطلب من صاحبه ضرورة الوفاء به والالتزام بحقوقه ، والقيام بواجباته ، من رحمة وبرٍّ وحسن عشرة وحفظ للأسرار ، وأوصى النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) بضرورة الالتزام به

فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ (رضى الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (أَحَقُّ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ) ، وكلما حافظ الأزواج على الوفاء بهذا الأمر تحققت السكينة والمودة بينهما.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

لقد ضرب الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) أروع الأمثلة في الوفاء مع أزواجه وخاصة السيدة خديجة (رضوان الله تعالى عليها) حتى بعد مماتها وانتقالها إلى الرفيق الأعلى ، فعَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) امْرَأَةٌ فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِطَعَامٍ ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنَ الطَّعَامِ وَيَضَعُ بَيْنَ يَدَيْهَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَا تَغْمُرْ يَدَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ هَذِهِ كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ، أَوْ حفظَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ) ، وعنها أيضا (رضي الله عنها) قالت : مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا ، وَلكِنْ كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) يُكْثِر ذِكْرَهَا وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ ؛ فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلاَّ خَدِيجَةُ ، فَيَقُولُ: إِنَّهَا كَانَتْ

وَكَانَتْ ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ) .

ومن الصور المشرقة في تاريخ الإسلام لوفاء الزوجة مع زوجها ما روته كتب السيرة عن السيدة أم حكيم بنت الحارث بن هشام زوج عكرمة بن أبي جهل ، فقد أسلمت يوم الفتح ، وهرب زوجها عكرمة إلى اليمن خوفا من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولكن أبَى وفاء هذه الزوجة الصالحة أن تترك زوجها ، فذهبت إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) طالبة لزوجها الشفاعة ، فقبل النبي (صلى الله عليه وسلم) شفاعتها وأعطاها العهد بالأمان لزوجها ، وعفى عن زوجها ، فسافرت إليه ومعها البشارة بالعفو والمسامحة ، والعهد بالأمن والأمان ، فكانت النتيجة أن هداه الله للإسلام وشرح له صدره ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ (رضي الله عنه) قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ هَرَبَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ إِلَى الْيَمَنِ وَخَافَ أَنْ يَقْتُلَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَكَانَتِ امْرَأَتُهُ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ امْرَأَةً لَهَا عَقْلٌ، وَكَانَتْ قَدِ اتَّبَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَجَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَتْ: إِنَّ ابْنَ عَمِّي عِكْرِمَةَ قَدْ هَرَبَ مِنْكَ إِلَى الْيَمَنِ وَخَافَ أَنْ تَقْتُلَهُ فَأَمِّنْهُ قَالَ: (قَدْ أَمَّنْتُهُ بِأَمَانِ اللَّهِ، فَمَنْ لَقِيَهُ فَلَا يَعْرِضْ لَهُ) . فَخَرَجَتْ فِي طَلَبِهِ فَأَدْرَكَتْهُ فِي سَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِ تِهَامَةَ، وَقَدْ رَكِبَ الْبَحْرَ، فَجَعَلَتْ تَلُوحُ إِلَيْهِ وَتَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّي، جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَوْصَلِ النَّاسِ وَأَبَرِّ النَّاسِ وَأَخْيَرِ النَّاسِ، فَلَا تُهْلِكْ نَفْسَكَ، وَقَدِ اسْتَأْمَنْتُ لَكَ مِنْهُ فَأَمَّنَكَ، فَقَالَ: أَنْتِ فَعَلْتِ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَنَا كَلَّمْتُهُ فَأَمَّنَكَ، فَرَجَعَ مَعَهَا، فَلَمَّا دَنَا مِنْ مَكَّةَ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِأَصْحَابِهِ: (يَأْتِيكُمْ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ مُؤْمِنًا مُهَاجِرًا، فَلَا تَسُبُّوا أَبَاهُ فَإِنَّ سَبَّ الْمَيِّتِ يُؤْذِي الْحَيَّ وَلَا يَبْلُغُ الْمَيِّتَ) ، قَالَ: فَقَدِمَ عِكْرِمَةُ فَانْتَهَى إِلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَزَوْجَتُهُ مَعَهُ مُنْتَقِبَةٌ. قَالَ: فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَدَخَلَتْ فَأَخْبَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِقُدُومِ عِكْرِمَةَ فَاسْتَبْشَرَ وَوَثَبَ قَائِمًا عَلَى رِجْلَيْهِ، وَمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رِدَاءٌ فَرَحًا بِعِكْرِمَةَ، وَقَالَ: (أَدْخِلِيهِ) ، فَدَخَلَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ هَذِهِ أَخْبَرَتْنِي أَنَّكَ أَمَّنْتَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (صَدَقَتْ فَأَنْتَ آمِنٌ). قَالَ عِكْرِمَةُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّكَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَقُلْتُ: أَنْتَ أَبَرُّ النَّاسِ، وَأَصْدَقُ النَّاسِ وَأَوْفَى النَّاسِ، أَقُولُ ذَلِكَ وَإِنِّي لَمُطَأْطِئُ الرَّأْسِ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ لِي كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَيْتُكَهَا أَوْ مَرْكَبٍ أَوْضَعْتُ فِيهِ أُرِيدُ بِهِ إِظْهَارَ الشِّرْكِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعِكْرِمَةَ كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَانِيهَا، أَوْ مَنْطِقٍ تَكَلَّمَ بِهِ ، أَوْ مَرْكَبٍ أَوْضَعَ فِيهِ يُرِيدُ أَنْ يُصَدَّ عَنْ سَبِيلِكَ) .

ومنها: ما يتعلق بالمعاملات المالية بين الناس، بيعًا وشراءً فيجب الوفاء بما تم شرطه لقول النَّبِي الكريم (صلى الله عليه وسلم): (الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ) (رواه البخاري) ، وعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ مَا وَافَقَ الْحَقَّ).

ومما يتعلق بهذا الأمر ضرورة الوفاء بالعهد كيلاً ووزنًا ، وعدم الغدر ببخسه أو تطفيفه ، قال تعالى:{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا}، أيضا ضرورة الوفاء بالأمانات ، وسرعة سداد الديون وعدم المماطلة لما فيها من ظلم لصاحب المال ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ.......).

إن نقض العهود وعدم الوفاء بها علامة من علامات النفاق التي بينها لنا النبي (صلى الله عليه وسلم) وحذر منها أشد التحذير ، فعَن عبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)(متفق عليه) ، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبيِّ (صلى الله عليه وسلم) قال : (آية المنافقِ ثلاثٌ : إذا حدَّث كذَب ، وإذا وعدَ أخلفَ ، وإذا أؤتمِنَ خانَ) .

ولم يكتف الأمر بوصف الغادر منافقًا فحسب ، بل إنه ينصب له يوم القيامة لواء يعرف به بين الأشهاد ، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (إِنَّ الْغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اسْتِهِ فَيُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فلان) ، ويستوجب الغدر اللعن وهو الطرد من رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة ، ويؤدي إلى قسوة القلب فلا تنفعه موعظة ولا تؤثر فيه آية ، قال تعالى:{فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ

وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ...}.

إن الإسلام يمقت الغدر بكل صوره وأشكاله ، وينظر إلى من ينقض العهد نظرة احتقار وعدم تقدير ، ويعتبره إنسانًا أحمق لا عقل له وشَبهَّه القرآن الكريم بحال المرأة الحمقاء التي تنقض غزلها بعد أن جعلته خيطاً سويًّا ومتينًا قويًّا صالحًا للحياكة والنسج ، ثم تقبل عليه فتعيده إلى سيرته الأولى بحيث لا ينفع في أي شيء ، يقول تعالى:{وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا، تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلَا بَيْنَكُمْ، أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ ، إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ، وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}.

إن الوفاء بالعهود والعقود المعتبرة شرعا البعيدة عن الظلم والاستغلال وأكل أموال الناس بالباطل واستباحة الأموال والدماء والأعراض من أهم سبل تحقيق الأمن في المجتمع ، ويعود أثرها وثمراتها على الفرد والمجتمع ، أما الفرد فيعود عليه الوفاء بالوعد بمحبة الله عز وجل ورضوانه ، قال تعالى: {بَلى مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ وَاتَّقى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}، وكفى بذلك من فضل على من تخلق بالوفاء بالعهد فمن أحبه الله حرمه الله على النار ، وفتح له كل أبواب الخير ، وأغلق دونه كل أبواب الشر ، وهذا وعد الله لكل من وفَّى بالعهد ، قال تعالى:{وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}.

ومن آثار الوفاء بالعهود على المجتمع نشر قيم المودة والرحمة والأمان والاستقرار وتزداد الثقة بين جميع أفراد الأمة الواحدة والمجتمع الذي يسوده الوفاء مجتمع فاضل متين قوي البناء، تظلّله روح المودة والصفاء.

فما أحوج الإنسانية كلها إلى التخلق بخلق الوفاء بالعهد ليتحقق الخير للناس أجمعين.

* * *

المنتج الوطني بين إتقانه صنعاً وأولويته بيعاً وشراءً

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز :{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا } ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فلقد حثّ الإسلام على العمل الجاد الهادف ، من أجل تحصيل الرِّزق والانتفاع بما أحله الله (عز وجل) للإنسان من طيبات الرزق ورغد العيش ، وحتى يتحقق مبدأ إعمار الكون وإصلاحه، قال تعالى:{هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}، ومن ثم يكون النهوض والرقي بالمجتمع.

ولقد نال العمل في الإسلام منزلة خاصة ، حيث جاءت نصوص القرآن والسنة تحث الإنسان وتشجعه على العمل وضرورة السعي على المعاش ، وتحصيل الرزق ليعفَّ نفسه ومن يعول عن ذل المسألة ، فقال تعالى:{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُور}، وحتى بعد أداء الفرائض أمرنا بالانتشار في الأرض للعمل ، قال تعالى : {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} ، وقال تعالى: {وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ}.

ومن ثمَّ أرشد النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) إلى أن العمل الجاد الهادف خير للإنسان من أن يسأل الناس فيكون عالة على المجتمع ، فعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ) ، بل أخبر النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) عن أفضل أنواع الكسب وأطيبها ، وهو ما كان ناتجا عن العمل، فعن رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: (عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ) .

كما أكد الإسلام أن العمل تمتد آثاره ، وتجبى ثماره من كل جهة ، فيؤجر عليه العبد في حياته وبعد وفاته ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا ، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا ، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ) ، ومن ثمَّ فإن دعوة الإسلام إلى العمل فيها من الخير للإنسان ما فيها ، إضافة إلى أن العمل به يتضاعف الإنتاج ، ويتحقق الرقي بوطننا والتقدم به إلى مصاف الدول المتقدمة في جميع المجالات.

وقد خلق الله تعالى هذا الكون بإتقان وإبداع ليسير الناس على هذا النهج الإلهي في إتقان العمل ، قال تعالى:{صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} . فالإسلام لا يطلب مجرد العمل إنما يطلب إتقانه وتجويده ، وإخراجه في أكمل صورة تليق به ، يقول

الحق سبحانه لسيدنا داود (عليه السلام): {أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.

فإتقان العمل هدف من أهداف الدين ، يسمو به المسلم ويرقى به في مرضاة الله عز وجل ، وهو أيضا ظاهرة حضارية تؤدي إلى رقيّ الجنس البشري ، وعليه تقوم الحضارات ، ويعمر الكون، وتتقدم الأمم فالحق سبحانه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، وإخلاص العمل لا يكون إلا بإتقانه.

على أن جودة العمل وإتقانه من أسس ديننا الحنيف ، فعندما حثنا النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) علي إتقان العمل بقوله: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَهُ) فإنه بذلك رفع منزلة الإتقان إلي أسمي المنازل ، حيث جعله سبيلًا إلى محبة الله عز وجل، فالعمل المتقن هو الذي ينتفع به الناس ، ويقيم البناء القوي الشامخ ، وهو أكبر دليل على جودة العمل، واستنفاد الجهد في إبلاغه مرتبة الإحسان ، كما أنه برهان واضح على إخلاص المرء لعمله ، وعدم تفريطه في حقوق وطنه، فلن يتحقق النهوض لأي حضارة ، ولا التقدم لأي بلد ما لم يتحقق مبدأ الإتقان في كل شيء.

وهو أيضا من أسس التربية في الإسلام، لأن الإتقان في المجتمع المسلم ظاهرة سلوكية تلازم المسلم في حياته ، والمجتمع في تفاعله وإنتاجه ، فلا يكفي الفرد أن يؤدي العمل صحيحًا، بل لا بد أن يكون صحيحًا ومتقنًا ، حتى يكون الإتقان جزءًا من سلوكه الفعلي.

وإذا كان الإسلام قد رغَّب في إتقان العمل على وجه العموم فإنه حثّ على إتقان العمل في المنتج الوطني الذي يحتاج منَّا إلى كل دعم بيعًا وشراءً ، لما سيحققه من رخاء للاقتصاد الوطني وتحقيق العزة والريادة للمجتمع. ومن ثمَّ فإن دعم المنتج الوطني بكل صور الدعم أصبح ضرورة شرعية وواجبًا وطنيًّا.

وإن إتقان العمل والتعاون عليه صورة من صور التعاون المطلوب شرعًا من كل أفراد الأمة ، وقد تضافرت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تدعو المسلمين إلى التعاون والتكاتف من أجل تحقيق عزّ هذه الأمة ، والعمل على رقيها ونهضتها ، قال تعالى: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى البر والتقوى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإثم والعدوان}، قال الإمام الماورديُّ (رحمه الله): " ندب الله (سبحانه) إلى التَّعاون بالبرِّ ، وقرنه بالتَّقوى له ؛ لأنَّ في التَّقوى رضا الله تعالى ، وفي البرِّ رضا النَّاس ، ومَن جمع بين رضا الله تعالى ورضا النَّاس فقد تمَّت سعادته ، وعمَّت نعمته .

ويتجلى التعاون على البرّ والخير بين المسلمين في صورة ما أجملها وما أروعها في قول النبي (صلى الله عليه وسلم): (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

ولا شك أن الاقتصاد في عصرنا الحديث أحد أهم دعائم القوة وأشد أركانها ، ولن تتحقق هذه القوة الاقتصادية ولا غيرها من القوى

إلا بالعمل والعرق ، والجد والتعب والنصب ، وهنا يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ أَمْسَى كالًّا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ أَمْسَى مَغْفُورًا لَهُ) ، ومن ثمّ فإن دعم المنتج الوطني وخاصة وقت الأزمات يشكل حجر الأساس في بناء اقتصاد مصرنا الغالية، فكلما أقبلنا عليه بيعًا وشراءً وتجارةً وجعلناه أولوية في حياتنا كلما أعطينا المنتجين والمصنعين الفرصة لرفع قدرته التنافسية ، وتوفير المزيد من فرص العمل لأبنائنا.

كما أن دعم المنتج الوطني يؤدي إلى إدخال السرور على قلب كل وطني ، سواء أكان صاحب العمل أم العامل الذي يتكسب من عمله لكفاية أهله.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

هناك آليات هامة تسهم في دعم المنتج الوطني ، منها: **الاهتمام بجودته**: ولن تتحقق الجودة بمفهومها الواسع إلا إذا أدى كل واحد ما عليه من حقوق، وراقب الله عز وجل فيها ، ووضع نفسه مكان المشتري إن كان بائعًا أو مكان البائع إن كان مشتريًا ، ونصب عينيه حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم): (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) .

منع الغش والتدليس: فقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يراقب حركة السوق بيعًا وشراءً من أجل ضبط حركته ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً فَقَالَ: (مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟) قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : (أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّى) ، وفي رواية : (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) .

أَيَا بَائِعاً بالغشِّ أَنتَ مُعَرَّضٌ *** لدَعوَةِ مَظْلُومٍ إلى سَامِعِ الشَّكْوَى
فَكُلْ مِنْ حلالٍ وارْتدِعْ عن مُحرَّمٍ *** فَلسْت على نارِ الجحِيمِ غداً تَقْوَى

محاربة المحتكرين والتصدي لهم: فالمحتكر إنسان لا خلق ولا وطنية له ، غلبته أنانيته ونقيصته فجعلهما فوق كل اعتبار ، فاستباح أقوات الناس ومقومات حياتهم فتاجر فيها ، والدين الإسلامي أمرنا بالتراحم وعدم استغلال حاجات الناس ، فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (مَنِ احْتَكَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَعَامَهُمْ ضَرَبَهُ اللَّهُ بِالْجُذَامِ وَالْإِفْلَاسِ) ، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال: (مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَبَرِئَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ ، وَأَيُّمَا أَهْلُ عَرْصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمُ امْرُؤٌ جَائِعٌ ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ تَعَالَى). وذلك لأنه يستجلب سخط الله (عز وجل) وسخط الناس ودعاءهم عليه ونقمتهم وبغضهم له.

هذا مع تأكيدنا أن المنتج الوطني لا ينحصر في الصناعات ، إنما يشمل الزراعات وسائر المنتجات ، بأن تكون وفق أفضل المواصفات العالمية ، سواء أكانت منتجات زراعية أم غذائية أم صناعية.

جدير بالذكر أن دعم المنتج الوطني يحقق آثارًا وفوائد طيبة تعود بالخير على الفرد والمجتمع ، منها :

- أنه يتيح فرص عمل لأبناء الوطن جميعًا وبخاصة الشباب ، ويقلل من نسب البطالة بين أفراد المجتمع.
- أنه يشكل حجر الأساس في بناء دولة قوية بأفرادها ، واقتصادها وذلك من خلال رفع قدرة المنتج التنافسية.
- أنه ينمي عند الفرد قيمة الولاء والانتماء للوطن فيعمل جاهدًا على نصرته ورفعته.
- أنه يعمل على نشر المحبة والمودة والرضا المتبادل بين كافة أطياف المجتمع وفئاته وطبقاته، حيث يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ ، مَثَلُ الْجَسَدِ ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) .

وفي المقابل فإن من يترك المنتج الوطني، ويذهب إلى غيره بحجج واهية، ضاربا بقيم الولاء الوطني عرض الحائط، فإنه يتسبب في ضعف الاقتصاد الوطني ، ويزيد من نسبة البطالة بين أفراد المجتمع كما يزيد من قوة اقتصاد الدول المصدرة ، وإضعاف الخبرة الوطنية وعدم تنميتها.

وليعلم الجميع أن في دعم المنتج الوطني كل الخير لوطننا وأمتنا ، وفي إهماله والإعراض عنه والإقبال على المنتج الأجنبي من غير ضرورة ضياع فوائد ومنافع كثيرة على الوطن والفرد والمجتمع.

* * *

نعمة الرِّضا

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : { قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فلقد اقتضت إرادة الله سبحانه وتعالى ألا تكون حياة الناس ودنياهم يسرًا خالصًا أو عسرًا محضًا ، بل خير وشر ، غنى وفقر ، صحة ومرض ، فما من أحد من الخلق إلا وهو مبتلى إما بمرض، أو فقر ، أو فقد ولد ، أو غير ذلك من مشاكل الدنيا ومصائبها .. لكن ذلك كله يهون على المسلم بما رزقه الله تعالى من صبر ورضا ، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط ، فإذا ما رضي العبد بقضاء الله (عز وجل) ، وصبر على المحن والابتلاءات ارتقت درجته عند ربه ، فإنه سبحانه وتعالى إذا أحبَّ عبدًا ابتلاه فإذا صبر اجتباه ، فعَنْ سَعْد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً ؟ قَالَ: (الْأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ ، فَالْأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةٌ زِيدَ فِي بَلائِهِ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ ، وَمَا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ) .

لذلك كانت نعمة الرضا من أعظم نعم الله (عز وجل) على الإنسان ، فهي منَّة ربَّانيَّة عظيمة ، ومنحة إلهية جليلة ، وعبادةٌ قلبيَّة رفيعة الشَّأن ودرجة

إيمانيَّة عالية، لا ينالها إلا من عَمُر قلبه بالإيمـان ، وعرف ربه حق المعرفـة ، والتزم بالأوامر واجتنب النـواهي ، وعزفت نفســه عن الدنيا بملذاتها حتى استوى عنده حجرها بمدرها.

فالرِّضا أساس من أسس الإسلام وكمال الإيمان ، فلا يكتمل إسلام العبد ولا يتذوق طعم الإيمان حتى يرضى بالله ربًّا ، وبالإسلام دينًا وبمحمد (صلى الله عليه وسلم) نبيًّا ورسولاً ، فعن الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (رضي الله عنه) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: (ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً) ، فنعمة الرضا تجعل صاحبها يتذوق حلاوة الإيمان ، بل قد أقسمَ الله (عز وجل) بأن الوصول لدرجة كمال الإيمان مرهون بالرضا والتسليم والإذعان المطلق لكتاب الله تعالى وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) وخاصة عند النوازل ، وهذه هي حقيقةُ الرِّضا عن الله (عز وجل). قال تعالى:{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.

كما أن نعمة الرضا تقرب العبد من ربه ، وتبعده عن سخطه سبحانه وتعالى ، قال لقمان الحكيم موصيًا ابنه: (أوصيك بخصال تقرّبك من الله وتباعدك من سخطه : أن تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وأن ترضى بقدر الله فيما أحببت وكرهت) .

وذلك لأن الحق سبحانه وتعالى لا يختار لعبده إلا الأفضل والأصلح له ، فالأرزاق بيد الله ، ومقاديرَها عند الله ، وأن الفقر قد يكون

أفضل للإنسان من الغنى. فمن العباد من لا يصلحه إلا الفقر ، ولو أغناه الله تعالى لفسدت حياته ، ومنهم من لا يصلحه إلا الغنى ، ولو أفقره الله تعالى لفسد حاله ، ومنهم من لا يصلحه إلا الصحة ولو مرض لفسد حاله ومنهم من لا يصلحه إلا المرض ولو أعطاه الله الصحة والقوة لفسدت حياته ، ومن ثمَّ فيجب أن يقنع الإنسان ويرضى بما قدَّره الله تعالى له سواء أعطاه أم منعه ، فكل ما يصيبه خير له ، لأنه بقدر الله تعالى وحكمه فعن أبي يحيى صهيب بن سنانٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) : (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) ، فالخير كل الخير في الرضا عن الله (عز وجل)، والشر كل الشر في السخط والجزع وعدم الرضا ، فإذا رضي العبد بما قدر الله له ارتفع إلى أعلى درجات الإيمان ، فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه) قَالَ: (ذِرْوَةُ الْإِيمَانِ أَرْبَعٌ: الصَّبْرُ لِلْحكمِ ، وَالرِّضَا بِالْقَدَرِ ، وَالْإِخْلَاصُ لِلتَّوَكُّلِ ، وَالِاسْتِسْلَامُ لِلرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ).

وهذا نبينا (صلى الله عليه وسلم) عاش ألوانًا من الفاقة والحاجة فواجهها بالرضا والقناعة ، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا ، فَقُلْتُ: لَا يَا رَبِّ ، وَلَكِنْ أَجُوعُ يَوْمًا وَأَشْبَعُ يَوْمًا ، فَإِذَا شَبِعْتُ حَمدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ ، وَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَدَعَوْتُكَ) .

كما أن الرضا بقضاء الله (عز وجل) دليل على محبة الله (تعالى) لعبده ورضاه عنه ، وهذه هي الغاية التي يرجوها ويتمناها ويسعى إليها كل مؤمن ، إذ لو نال محبة الله (عز وجل) ورضاه يسر الله أمره ، وفرج كربه ، وسعد في الدنيا والآخرة ، وقد رتّب الحق سبحانه رضاه عن الخلق برضاهم عنه ، فقال تعالى: {قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}، وقال سبحانه: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}، وغير ذلك من الآيات.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللَّهَ (عز وجل) يَقُولُ لأَهْلِ الجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ، وَالخَيْرُ في يَديْكَ ، فيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُم ؟ فيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبَّنَا وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أحدًا مِنْ خَلْقِكَ ، فيَقُولُ : ألاَ أُعْطِيكُمْ أفْضَلَ مِنْ ذلِكَ ؟ فيَقُولُونَ : وَأَيُّ شَيءٍ أفْضَلُ مِنْ ذلِكَ ؟ فيَقُولُ : أُحِلُّ عَلَيكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أبَدًا) .

والرضا بالله من ثماره يستلزم لصاحبه الفوز بالجنة والنجاة من عذاب النار ، فعن أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ رَضِىَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا

وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ) ، فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ ، فَقَالَ أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَفَعَلَ........).

والرضا عن الله (عز وجل) نوعان:

الأول: الرضا بفعل المأمور به واجتناب ما ورد النهي عنه ، وهذا هو حال المؤمن التقي النقي، فلسان حاله هو قول الله تعالى: {وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}، وقوله تعالى: {اللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ}، وهذا النوع من أنواع الرضا واجب على كل مسلم أن يبذل في تحصيله النفس والنفيس ، قال تعالى:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ}، وقال سبحانه: {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ}.

والنوع الثاني: الرضا بالقضاء ، فالإنسان بين حالين ، حال السلب وحال العطاء ، فعند العطاء عليه الشكر ، وعند السلب والمنع عليه الرضا والصبر ، ويصل العبد إلى نعمة الرضا بقوَّةِ إيمانه وحُسن اتِّصالِهِ بالله عز وجل ، وبالصبر والذكر وحسن الطاعة والمحافظة على العبادة ، وهذا هو الطريق الذي رسمه الله تعالى لحصول الرضا ، قال تعالى: {فاصبر على مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشمس وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَآءِ الليل فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النهار لَعَلَّكَ ترضى}، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) عَنْ النبيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ).

وهناك أمور تعين العبد على الوصول إلى مقام الرضا ، منها :

القناعة بما قسمه الله عز وجل والتيقن أنه لا مفر أمامنا غير الرضا بما قدره الله تعالى، والعلم بأن جزعنا وسخطنا وعدم تسليمنا لن يغير من قضاء الله شيئًا ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي خَمْسَ خِصَالٍ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ ، أَوْ يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟) قَالَ: قُلْتُ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّهُنَّ فِيهَا ثُمَّ قَالَ: (اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ.........الحديث) .

مجاهدة النفس بتعويدها ومجاهدتها على الطاعة والعبادة ، فإن مجاهدة النفس وتعويدها على الطاعة طريق لتحقيق الاستقامة ومن ثمَّ يتحقق الرضا ، قال تعالى:{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمعَ الْمُحسِنِينَ} .

والنفس كالطفل إن تهمله شب على * * حب الرضاع وإن تفطمْه ينفطمِ
فجاهد النفس والشيطان واعصهما * * وإن هما محَّضاك النصح فاتهمِ

النظر إلى من هو أسفل منا في العطاء، خاصة المهمومين والمكروبين وأصحاب المصائب المختلفة وذلك أدعى للرضا ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ) (رواه ابن ماجه) ، فمن تفكر في أحوال من هم أسفل منه هان عليه كل ما يحول بينه وبين الرضا.

ومن أهم الأمور التي تعين على الرضا : **الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل أن يرزقنا الرضا** ، فقد كان من دعاء النبي (صلى الله عليه وسلم): (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَكَلِمَةَ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَبِيدُ ، وَقُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَأَسْأَلُكَ الشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ) .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن الإنسان بدون الرضا يقع فريسة لليأس والإحباط، فتحيط به الهموم والغموم من كل مكان، ولنعلم جميعًا أن الرضا لا يعني الاستسلام أو اليأس وتبلُّد المشاعر ، وغير ذلك من مظاهر السلبية ، فهذا خداع للنفس ومفهوم خاطئ عن الرضا ، فالإسلام الحنيف يحض على العمل ويشجع عليه ، ويكره الكسل والكسالى والعالة على غيرهم، فالرضا دافع للعمل والإنتاج ، وهو من أعلى مقامات اليقين وأشرف أحوال المقربين وهو مفتاح كل خير ، ويمنع صاحبه عن ارتكاب أي شر .

على أن الأخذ بالأسباب لا ينافي الرضا ، بل إنه من تمامه ، فالله عز وجل اقتضت حكمته وقدرته أنه جل جلاله أراد بنا أشياء ، وأراد منا أشياء ، فما أراده بنا أخفاه عنا ، وما أراده منا أظهره وأمرنا بالقيام به والمحافظة عليه ، فعلينا أن نرضى بما أراده لنا ونعمل فيما أراده منا .

وفي حياة الرسل والأنبياء (عليهم السلام) والصالحين صور مشرقة في تحقيقهم لكمال الرضا عن الله عز وجل ، فكان الرضا غاية سيدنا موسى الكليم (عليه السلام)، قال تعالى حاكيًا عنه:{وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى} أي: عجلت إليك شوقًا إلى رضاك ومحبتك، وقال لنبيه ومصطفاه (صلى الله عليه وسلم): {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}.

ولقد ضرب لنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) المثل الأعلى في الرضا عن الله عز وجل، وحياته (صلى الله عليه وسلم) تعبر عن كمال الرضا وتمامه وتحقيقه في أكمل صورة وأبهى مشهد ، فبالرغم من كونه حبيب الله وسيد ولد آدم ولا فخر إلا أنه (صلى الله عليه وسلم) لم يطلب الدنيا أو نعيمها ، ورضي بما قسمه الله له من معاش الدنيا ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود (رضي الله عنه) قَالَ: اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)عَلَى حَصِيرٍ ، فَأَثَّرَ فِي جَنْبِهِ ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ ، جَعَلْتُ أَمْسَحُ جَنْبَهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا آذَنْتَنَا حَتَّى نَبْسُطَ لَكَ عَلَى الْحَصِيرِ شَيْئًا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَا لِي وَلِلدُّنْيَا ؟ مَا أَنَا وَالدُّنْيَا ؟ إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَرَاكِبٍ ظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا).

ومن أجمل ما روي في الرضا عن الله (عز وجل) من قصص الصحابة والتابعين، ما جاء عن سيدنا سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) حين قدم إلى مكة ، وقد كان كُفَّ بصره ، جاءه الناس يهرعون إليه ، كل واحد يسأله أن يدعو له ، فيدعو لهذا ولهذا ، وكان مجاب الدعوة ، قال عبد الله ابن السائب : فأتيته وأنا غلام فتعرفت إليه فعرفني ، وقال: أنت قارئ أهل مكة ؟ قلت: نعم.. فقلت له: يا عم، أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك ، فردَّ الله عليك بصرك. فتبسم وقال: يا بُني قضاء الله سبحانه عندي أحسن من بصري .

وما جاء عن عروة بن الزبير (رضي الله عنه) فعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِوَادِي الْقُرَى وَجَدَ فِي رِجْلِهِ شَيْئًا فَظَهَرَتْ بِهِ قَرْحَةٌ وَكَانُوا عَلَى رَوَاحِلَ فَأَرَادُوهُ عَلَى أَنْ يَرْكَبَ مَحْمَلًا فَأَبَى عَلَيْهِمْ ثُمَّ غَلَبُوهُ فَرَحَلُوا نَاقَةً لَهُ بِمَحْمَلٍ فَرَكِبَهَا وَلَمْ يَرْكَبْ مَحْمَلًا قَبْلَ ذَلِكَ فَلَمَّا أَصْبَحَ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا} حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا فَقَالَ: لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي هَذِهِ الْمَحَامِلِ بِنِعْمَةٍ لَا يُؤَدُّونَ شُكْرَهَا وَتَرَقَّى فِي رِجْلِهِ الْوَجَعُ حَتَّى قَدِمَ عَلَى الْوَلِيدِ ، فَلَمَّا رَآهُ الْوَلِيدُ قَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ اقْطَعْهَا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَالِغَ فَوْقَ ذَلِكَ ، قَالَ: فَدُونَكَ قَالَ: فَدَعَا لَهُ الطَّبِيبَ فَقَالَ لَهُ: اشْرَبِ الْمُرْقِدَ (المخدر) قَالَ لَا أَشْرَبُ مُرْقِدًا أَبَدًا، قَالَ: فَعَذَرَهَا الطَّبِيبُ وَاحْتَاطَ بِشَيْءٍ مِنَ اللَّحْمِ الْحَيِّ مَخَافَةَ أَنْ يَبْقَى مِنْهَا شَيْءٌ ضُرٌّ فَيَرْقَى

فَأَخَذَ مِنْشَارًا فَأَمَسَّهُ بِالنَّارِ وَاتَّكَأَ لَهُ عُرْوَةُ فَقَطَعَهَا مِنْ نِصْفِ السَّاقِ فَمَا زَادَ عَلَى أَنْ يَقُولَ: حَسْ حَسْ ، فَقَالَ الْوَلِيدُ: مَا رَأَيْتُ شَيْخًا قَطُّ أَصْبَرَ مِنْ هَذَا ، وَأُصِيبَ عُرْوَةُ بِابْنٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ فِي ذَلِكَ السَّفَرِ وَدَخَلَ اصْطَبْلَ دَوَابٍّ مِنَ اللَّيْلِ لِيَبُولَ فَرَكَضَتْهُ بَغْلَةٌ فَقَتَلَتْهُ وَكَانَ مِنْ أَحَبِّ وَلَدِهِ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يُسْمَعْ مِنْ عُرْوَةَ فِي ذَلِكَ كَلِمَةٌ حَتَّى رَجَعَ ، فَلَمَّا كَانَ بِوَادِي الْقُرَى قَالَ: {لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا} اللَّهُمَّ كَانَ لِي بَنُونَ سَبْعَةٌ فَأَخَذْتَ مِنْهُمْ وَاحِدًا وأَبْقَيْتَ سِتَّةً، وَكَانَتْ لِي أَطْرَافٌ أَرْبَعَةٌ فَأَخَذْتَ مِنِّي طَرَفًا وَأَبْقَيْتَ لِي ثَلَاثًا وَايْمُكَ لَئِنِ ابْتَلَيْتَ لَقَدْ عَافَيْتَ، وَلَئِنْ أَخَذْتَ لَقَدْ أَبْقَيْتَ)

وأما عن ثمرات الرضا فكثيرة ، منها : رضا الخالق سبحانه وتعالى ، فإذا رضي العبد عن ربه فيما أمره به وفيما قسمه وقدَّره له رضي عنه ربُّه عز وجل ، ومنها: محبة الله سبحانه وتعالى للراضين بقضائه ، كذلك من ثمرات الرضا الراحة النفسية والروحية للإنسان ، وتجنب الأزمات النفسية من القلق والتوتر ، فالرضا يثمر طمأنينة في القلب ويُنزلُ عليه السكينة فيثقُ القلبُ بموعودِ اللهِ عز وجل، ولسانُ حالِه : {هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً}، وفوق كل ذلك الفوز بالجنة .

فليحافظ كل إنسان على الرضا ، فمن وطّن نفسه عليه أفلح في الدارين ومن وضعه نصب عينيه وصل إلى جنة عرضها السموات والأرض والسخط والجزع لن يغير الواقع والقدر ولكنه يزيد الذنب ويغضب الرب.

* * *

فضل الصدقات وسبل تعظيم ثوابها

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فإن الإسلام دين يقوم على البذل والعطاء والإنفاق ، ويكره الشح والبخل والإمساك ، لذلك أمر أتباعه بالمسارعة إلى الإنفاق في سبيل الله من أموالهم التي استخلفهم فيها ، ثم وعدهم بالأجر العظيم ، يقول سبحانه: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ}، ويقول عز وجل :{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}، وفي الحديث يقول النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (قَالَ اللَّهُ : أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْك).

ولما كان الإنسان مدني بطبعه ، يعيش مع بني جنسه يؤثر فيهم ويتأثر بهم يأخذ منهم ويعطيهم ، جاء الإسلام بتشريعاته التي لم تعرف البشرية لها مثيلا ليؤسس لهذا المبدأ ، حيث أمر أتباعه الأغنياء بالإنفاق والصدقة من أموالهم التي رزقهم الله (عز وجل) إياها ، فقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا

شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[البقرة: ٢٥٤]، ثمَّ وعدهم بالزيادة والنماء ، ومضاعفة الأجر والثواب ، فقال تعالى:{مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}، فإذا امتثلوا لذلك كانوا من الآمنين يوم القيامة ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ، وفي ذلك يقول سبحانه: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.

والصدقة في الإسلام هي دليل الإيمان ، يُعرف بها المؤمنون فتتآلف قلوبهم ، وتتضاعف أجورهم ، وتسعد نفوسهم ، كما أنها وسيلة لتحقيق التكافل والتعاون بين جميع أفراد الأمة.

وهي طهرة للنّفس من الأخلاق السيئة والأدواء المذمومة ، فبها يطهر الغني من الشح والبخل ، ويطهر الفقير من الحقد والحسد ، قال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}، والإسلام في دعوته للإنفاق حارب العامل النفسي الذي قد يمنع المسلم من الصدقة ، ألا وهو خوف الفقر ونقصان المال ، فعلّمنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) أن المال لا ينقص بالصدقة بل يُبارك الله فيه وينفي عنه الآفات ، مع ما يدخر لصاحبه يوم القيامة من الأجر والثواب ، فعن أَبي كبشة عمرو بن سعد الأنماري (رضي الله عنه) أنّه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (ثَلاَثَةٌ أُقْسمُ عَلَيْهِنَّ

وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ : مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللهُ عِزّاً ، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقرٍ) .

والصدقة عبادة مالية ، وشعيرة ربانية ، وقربة من أجلِّ القرب التي يتقرب بها العبد إلى الله (عزّ وجلّ)، وركن من أركان الإسلام الخمسة فعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (بُنِي الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحَجِّ البَيْتِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ). وهي أيضا فريضة إسلامية دعا الإسلام إليها رحمة بالضعفاء ، ومواساة للفقراء ، إلى جانب ما فيها من كسب الأجر ومضاعفته يوم القيامة.

والصدقة في القرآن الكريم قرينة الصلاة وذلك لبيان أهميتها وتعظيمًا لشأنها ، وترغيبًا فيها قال تعالى:{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، وقال تعالى: {وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}. ولعل السر في الجمع بينهما أن الصلاة بيان لعلاقة المسلم بخالقه والصدقة بيان لعلاقة المسلم بإخوانه في الحياة ، فالصلاة حق الله تعالى والصدقة حق للعباد .

والصدقة في الإسلام لها فضل عظيم وعد اللّه به عباده المتصدقين ، من ذلك :

مضاعفة الأجر للمتصدق : فلا شك أن المتصدق إنما يرجو عظيم الثواب الذي أعده الله للمتصدقين والمتصدقات، حيث يقول سبحانه:

{إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}، ومن فضل الله (سبحانه وتعالى) أنه يضاعف أجر الصدقات بمنّه وكرمه، قال تعالى:{مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}. فالله يضاعف الأجر لمن يشاء، بحسب ما يكون بقلب المنفق من الإيمان والإخلاص التام ، وفضل الله واسع، وعطاؤه غير محدود ، وكرمه عظيم ، وهو سبحانه عليم بمن يستحقه، مطلع على نيات عباده ، والله (عز وجل) يقبل الصدقة ويربيها لصاحبها حتى تصير كالجبل في العِظَم ، قال تعالى: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ}، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ تَصَدَّقَ بعَدلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ، وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ إِلاَّ الطَّيبَ ، فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ).

أنها سبب للفوز بظل عرش الرحمن يوم القيامة : وهو يوم شديد حره عظيم بأسه ، وفي الناس جماعة يستظلون بظل عرش الرحمن منهم أصحاب الإخلاص في النفقة والصدقة ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ

يَوْمَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابّا في الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وتَفرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقال: إِنِّي أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُه مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِياً ففاضت عَيْنَاهُ) .

أنها سبب من أسباب الشفاء والدواء ودفع أنواع البلاء: فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَحَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلاَءِ الدُّعَاءَ) وجاء رجل إلى ابن المبارك ، وسأله عن قرحة خرجت في ركبته منذ سبع سنين ، وقد عالجها بأنواع العلاج فلم ينتفع به ، فقال له: اذهب فاحفر بئرًا في مكان يحتاج الناس فيه إلى الماء ، فإني أرجو أن ينبع هناك عين ، ويمسك عنك الدم ، ففعل الرجل ، فبرأ بإذن الله ومن ثم يتضح أن الصدقة لها تأثير عجيب في دفع أنواع البلاء ، فإنّ الله تعالى يدفع بها أنواعًا من البلاء ، وهذا أمر معلوم عند النّاس خاصتهم وعامتهم وأهل الأرض مقرون به لأنّهم قد جربوه.

أنها سبب لزيادة المال وبركته ونمائه ، فالمنفق يدعو له ملك كريم من جند الله (عز وجل) بالزيادة والبركة في ماله كل يوم جزاء ما أنفقه في سبيل الله ، بخلاف الممسك البخيل ، فيدعو عليه بالتلف لما بخل به فعن أَبي هريرة (رضي الله عنه) أن النَّبيّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إلاَّ مَلَكان يَنْزلاَنِ، فَيقُولُ أحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أعْطِ

مُنْفقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أعْطِ مُمْسِكاً تلفاً) ، وفي حديث السحابة دليل صريح على أن العبد إذا أنفق وتصدق كان هذا سببًا في الزيادة فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِفَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتاً في سَحَابَةٍ اسقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءهُ في حَرَّةٍ ، فإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَت ذَلِكَ الماءَ كُلَّهُ ، فَتَتَبَّعَ المَاءَ، فإذَا رَجُلٌ قَائمٌ في حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الماءَ بِمسحَاتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ اللهِ ، ما اسمُكَ ؟ قال : فُلانٌ للاسم الذي سَمِعَ في السَّحابةِ، فقال له: يا عبدَ الله، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إنِّي سَمِعْتُ صَوتًا في السَّحابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ ، يقولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ لاسمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا، فَقَالَ: أمَا إذ قلتَ هَذَا ، فَإنِّي أنْظُرُ إلَى مَا يَخرُجُ مِنْهَا ، فأتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ ، وَآكُلُ أنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا ، وَأردُّ فِيهَا ثُلُثَهُ).

الصدقة زاد المؤمن ليوم القيامة : قال تعالى: {مَا عِنْدَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ}، وعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) : أنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً فَقَالَ النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) (مَا بَقِيَ مِنْهَا ؟) قالت: مَا بَقِيَ مِنْهَا إلاَّ كَتِفُها، قَالَ: (بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرُ كَتِفِهَا).

الصدقة تقي العبد من النار يوم القيامة: فعن عَدِي بنِ حَاتمٍ (رضي الله عنه) قَالَ: سمعت النَّبيّ (صلى الله عليه وسلم) يقول: (اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بشقِّ تَمْرَةٍ) فقليل الصدقة سبب للنجاة من النار ، فكيف بكثيرها؟! ، وفي صحيح البخاري عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

ومن أجل أن تؤتي الصدقة ثمارها **وضع الإسلام من السبل والضوابط ما يحقق تعظيم ثوابها** ، ومن ذلك :

الاجتهاد والتحري في إيصالها لمن يستحقها حتى لا يضيع حق الفقراء: فقد اهتم الإسلام بالفئات الفقيرة الضعيفة في المجتمع ، فأمر بالإحسان إليهم تحقيقًا لسعادتهم، وتلبية لحاجاتهم، وإعانة لهم على متاعب الحياة وتهيئة الحياة الكريمة لهم ، قال تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}، وخص من هذه الأصناف الثمانية الفقراء المتعففين وبيَّن صفاتهم ، قال تعالى: {لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}، وعن أَبي

هريرة (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُول الله (صلى الله عليه وسلم): (لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلا اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ إِنَّمَا المِسكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ) فلو تحرى الأغنياء عن مستحقي الصدقة ووضعوا صدقاتهم في موضعها لن يوجد فقير أو مسكين أو محتاج يسأل الناس.

مراعاة ترتيب الأولويات في الصدقة وتقديم الأعمِّ نفعًا ، وما فيه مصلحة الدين ورفعة الوطن على غيره ، فإطعام الجائع ، وكساء العاري وعلاج المريض، وحفظ كرامة الإنسان ، وماء وجهه من سؤال الناس مقدم على غيره.

الاستثمار الأمثل للصدقة فيما يخدم الدين والوطن ويلبي حاجات المجتمع ويحقق استقراره وتقدمه ، فإن كانت حاجة المجتمع إلى بناء مستشفيات ومراكز صحية وتجهيزها لعلاج الفقراء والإنفاق عليهم فتوضع في ذلك تخفيفًا للأعباء عن كاهل الدولة ، وإن كانت الحاجة لبناء المدارس والمعاهد وصيانتها وتجهيزها والإنفاق على الفقراء من طلاب العلم ورعايتهم ، وعلى المراكز والمؤسسات العلمية وتطويرها فتوضع في بناء المدارس ، وإن كانت الحاجة في قضاء حوائج الناس، وتفريج الكروب عنهم ، وتيسير زواج المعسرين وسد الدين عن المدينين فالصدقة التي تلبي حاجات المجتمع أكثر نفعا وأعظم ثوابًا من غيرها وكلما كانت الحاجة أشد كان الثواب أعظم .

التوسع في مفهوم الصدقة ، وعدم قصرها على ما يتعلق بالمال وحده ، فكل معروف صدقة ، ولا شك أن هذا العموم لمفهوم الصدقة

يزيد في الأجر ، فعن جَابِرٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم): (كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ) ، وعن أبي ذر (رضي الله عنه) أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقةٌ: فَكُلُّ تَسبيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحميدةٍ صَدَقَة، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكبيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالمعرُوفِ صَدَقةٌ، ونَهيٌ عَنِ المنْكَرِ صَدَقةٌ ، وَيُجزِىءُ مِنْ ذلِكَ رَكْعَتَانِ يَركَعُهُما مِنَ الضُّحَى) ، وفي حديث حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) عدَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم)كل ما يصاب به العبد في ماله من الصدقة إذا احتسب ذلك ، قَالَ رَسُول الله (صلى الله عليه وسلم): (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إلاَّ كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً ، وَمَا سُرِقَ مِنهُ لَهُ صَدَقَةً ، وَلاَ يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إلاَّ كَانَ لَهُ صَدَقَةً) ، وفي رواية لَهُ: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ) .

التصدق على الفقراء من ذوي الأرحام ، فالصدقة على ذوي الرحم الفقير أولى وأفضل وأجرها مضاعف ، لأنها صدقة وصلة ، فعَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُجْزِي عَنَّا أَنْ نَجْعَلَ الصَّدَقَةَ فِي زَوْجٍ فَقِيرٍ وَأَبْنَاءِ أَخٍ أَيْتَامٍ فِي حُجُورِنَا ؟ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَك أَجْرُ الصَّدَقَةِ وَأَجْرُ الصِّلَةِ)، وعن أَبي مسعود البدري (رضي الله عنه) عن النَّبيّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً يَحْتَسِبُهَا فَهِيَ لَهُ صَدَقَةٌ) ، فالنفقة على الأهل صدقة عظيمة الأجر .

إخلاص المتصدق في نفسه ، فلابد من تحقيق الإخلاص في قلب المتصدق وترك الرياء، ومما يعين على ذلك الاستتار والاختفاء بالصدقة قال تعالى:{إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}، ففي الصدقة مع الإخلاص محو للذنوب، والله تعالى هو الذي يعلم دقائق الأمور، وأن يكون المتصدق صحيحًا حريصًا يأمل الغني ويخشى الفقر فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ: جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبيِّ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ: يَا رسولَ الله، أيُّ الصَّدَقَةِ أعْظَمُ أجْرَاً؟ قَالَ: (أنْ تَصَدَّقَ وَأنتَ صَحيحٌ شَحيحٌ، تَخشَى الفَقرَ وتَأمُلُ الغِنَى، وَلاَ تُمهِلْ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلقُومَ قُلْتَ لِفُلان كذا ولِفُلانٍ كَذا، وقَدْ كَانَ لِفُلانٍ) .

أن تكون الصدقة ذات قيمة ونفع ، قال تعالى: { لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}، وعن أنس (رضي الله عنه) قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ (رضي الله عنه) أكْثَرَ الأنْصَار بالمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْل، وَكَانَ أَحَبُّ أمْوالِهِ إلَيْه بَيْرُحَاء، وَكَانتْ مُسْتَقْبلَةَ المَسْجِدِ وَكَانَ رَسُول الله (صلى الله عليه وسلم) يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّب ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ هذهِ الآيةُ:{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} قام أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رسولِ الله (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ: يَا رَسُول الله ، إنَّ الله تَعَالَى أنْزَلَ عَلَيْكَ :{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} ، وَإنَّ أَحَبَّ مَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءُ ، وَإنَّهَا صَدَقَةٌ للهِ تَعَالَى أرْجُو بِرَّهَا، وَذُخْرَهَا عِنْدَ الله تَعَالَى، فَضَعْهَا يَا رَسُول الله حَيْثُ أرَاكَ الله ، فَقَالَ

رَسُول الله (صلى الله عليه وسلم) : (بَخ) ذلِكَ مَالٌ رَابحٌ ، ذلِكَ مَالٌ رَابحٌ ، وقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ ، وَإِنِّي أرَى أنْ تَجْعَلَهَا في الأقْرَبين)، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ : أَفْعَلُ يَا رَسُول الله ، فَقَسَّمَهَا أَبُو طَلْحَةَ في أقَارِبِهِ ، وبَنِي عَمِّهِ

لقد جعل الإسلام بتشريعاته الحكيمة من الصدقة رباطاً قويًّا بين الغني والفقير ، وعلاجًا لمشكلة الفقر تحقيقًا للتكافل الذي يجعل المجتمع أسرة واحدة متماسكة تصان فيه الحقوق والواجبات ، وتسعد فيه النفوس بحياة كريمة وعيشة راضية ، فعَنِ النُّعْمَان بْنِ بَشِيرٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) ، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ في سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالاً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ) قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لاَ حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا في فَضْلٍ).

* * *

من صور المال الحرام

الحمدُ للهِ ربِّ العالمِينَ ، القائلِ في كتابهِ الكريمِ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ} وأشهدُ أن لا إلَهَ إلا اللهُ وحْدهُ لا شَرِيكَ لهُ ، وأشهدُ أنَّ سيِّدَنَا ونَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُهُ ورسُولُهُ ، اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَي سيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ، ومَن اهْتَدَى بِهَدْيِهِ وَسَلَكَ طَرِيقَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد:

فلا يمكنُ لعاقل أن يجادلَ في أن المال الحرام سم قاتل، وأنه مدمر لصاحبه في الدنيا والآخرة ، وأنه نارٌ تحرق جوف من يأكله ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}.

وقد نهى الإسلام عن أكل الحرام بكل صوره وأشكاله نهيًا قاطعًا لا لبس فيه ، فقال سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا }.

فأكل الحرام قتل للنفس وإهلاك وتدمير لها في الدنيا والآخرة، فهو في الدنيا وبال على صاحبه في صحته ، في أولاده ، في عرضه ، في أمواله ، {وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى }، وحتى لو تصدق به صاحبه فإنه لا يقبل ، لأن الله (عز وجل) طيب لا يقبل إلا طيبًا .

وآكل الحرام لا تستجاب له دعوة ، فقد ذكر نبينا (صلى الله عليه وسلم) (الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَكْسَبُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ له) ، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أن سيدنا سَعْد بْن أَبِي وَقَّاصٍ قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتَ جسده مِنَ سحت فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ) ، لذا كان بعض الصالحين يتركون بعض الحلال مخافة أن تكون فيه شبهة حرام .

ومن صور المال الحرام :

الأولى: هي أكل المال الناتج عن الغش سواء أكان غشًّا في الكم أم في النوع ، في الكم بتطفيف الكيل أو الميزان أو المقياس أو الكميات حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ}، أم كان غاشًّا في النوع سواء أكان في الغذاء أم الدواء أم الأدوات أم الآلات الإنتاجية أو الاستهلاكية فمن يبيع طعامًا ضارًّا بالصحة أو لحمًا غير حلال على أنه لحم حلال ، أو يبيع طعامًا فاسدًا على أنه ما زال صالحًا للاستهلاك فهو فاسدٌ مفسدٌ غاشٌّ لنفسه وللمجتمع ، والنبي (صلى الله عليه وسلم) يقول : (من غشنا فليس منا) وفي رواية (من غش فليس منا)بحذف المفعول ليشمل كل غش وغشاش.

فعلى الإنسان أن يراقب الله (عز وجل) ، وليعلم أنه إن أفلت من عقاب الناس في الدنيا فلن يفلت من عقاب الله (عز وجل) لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وهو ما فهمته ابنة بائعة اللبن في عهد سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما قالت لها أمها : قومي فاخلطي اللبن بالماء ، فقالت لها يا أماه : ألم ينه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن مزج اللبن بالماء ، فقالت لها : إن كان عمر قد نام فأين الذي لا تأخذه سنة ولا نوم حيث يقول الحق سبحانه {اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ}، ويقول سبحانه على لسان لقمان عليه السلام:{يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ }.

الصورة الثانية : الرشوة والاختلاس وكل ألوان المحاباة والمجاملة ، وما يدخل في باب إعطاء من لا يملك لمن لا يستحق فالفساد المالي لا يقف عند حدود قبول الرشوة أو الاختلاس ، إنما يشمل استغلال النفوذ وتربيح الغير أو محاباته أو مجاملته أو إفادته بأي لون من ألوان النفع المادي أو المعنوي ، فكل ما يحدث من ذلك هو عين الفساد ، فإن استفاد القائم على أمر ما من وراء عمله أي استفادة مادية أو معنوية غير مشروعة فهو آكل للسحت ، وقد لعن نبينا (صلى الله عليه وسلم) الراشي والمرتشي والرائش أي الوسيط الذي يسعى بينهما.

ولنعلم أن الرشوة ما دخلت عملاً إلا أعاقته ، ولا مجتمعًا إلا أفسدته ولا بيتًا إلا خربته ، ولا جوف شخص إلا أهلكته .

الصورة الثالثة : أخذ الأجر على عمل لم يقم به الإنسان ولم يفِ بحقه ولم يتقنه ولم يعطه وقته ، فبعض الناس قد يظن أن احتياله على الغياب من عمله أو هروبه منه أو عدم الوفاء بحقه أمرًا سهلاً ، وهنا نؤكد أن العقد شريعة المتعاقدين ، فكما أن صاحب العمل إذا أكل حق العامل فإنه يدخل في دائرة غضب الله (عز وجل) ، وسخطه ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (ثلاثةٌ أنا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ: رجُلٌ أعطى بي ثم غدر، ورجلٌ باعَ حُرّاً فأكَلَ ثمَنَهُ، ورجُلٌ استأْجَرَ أجيراً فاستوفى منهُ ولم يُعْطِهِ أجْرَهُ) ، ففي المقابل إذا استحل العامل الأجر ولم يؤد العمل كان ممن لا يكلمهم الله عز وجل ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم يوم القيامة ، فالحق مقابل الواجب ، وإلا لاختل نظام الحياة وانفرط عقدها .

أقول قولي هذا واستغفر الله.

* * *

الحمد لله وكفى ، والصلاةُ والسلامُ على النبيِّ المصطفى ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى ، أما بعد :

نختم حديثنا بصورتين من صور المال الحرام :

الصورة الأولى : وهي الأشد حرمة ووبالا على صاحبها في الدنيا والآخرة هي الاعتداء على المال العام أو على أملاك الدولة أو أي من مرافقها بدون حق ، أو احتيال الإنسان على التهرب من التزاماته المالية تجاه الدولة بأي صورة من الصور ، كالتهرب الضريبي أو الجمركي ونحوه ، ذلك أن المال الخاص قد يتعلق بشخص أو بعدة أشخاص ، أما

المال العام فيتعلق بملايين الأشخاص الذين يصعب على الإنسان أن يتحلل من أكل حقوقهم أو إلحاق الضرر بهم يوم القيامة.

أما الصورة الثانية : فلا تقل حرمة ووبالا عن الأولى وهي أكل المال الذي يحصل عليه صاحبه نتيجة العمالة أو الخيانة أو تنفيذ أو الإسهام أو تسهيل تنفيذ العمليات الإرهابية التي تفسد أو تخرب أو تقتل وتدمر .

* * *

العفة والمروءة والترفع عن الدنايا

الحمد لله ، القائل في كتابه الكريم : {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، وصفيه من خلقه وحبيبه ، القائل في حديثه الشريف : (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مكارم الأَخْلاقِ) اللهم صل وسلم وبارك علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه وسلك طريقه إلى يوم الدين.

أما بعد :

فإن للأخلاق في الإسلام منزلة عالية ومكانة خاصة ، فهي لبُّ الدين وجوهره ، وقد سئل نبينا (صلى الله عليه وسلم) ما الدين ؟ فقال (صلى الله عليه وسلم) : (حسن الخلق) ، وأعلن (صلى الله عليه وسلم) أنها الغاية الأسمى من بعثته ورسالته ، فقال (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مكارم الأَخْلاقِ).

إن الأخلاق الفاضلة هي التي تعصم الإنسان من الزلل والانحراف وتصون المجتمعات من الفوضى والضياع ، فسلامة المجتمع وقوة بنيانه وسمو مكانته وعزة أبنائه ، ترقى بتمسكه بالأخلاق الفاضلة ، فبالأخلاق تحيا الأمم وتبقى آثارها خالدة ، وبزوالها وانهيارها تنهار الأمم ، فالأمم والحضارات التي لا تقوم على الأخلاق تحمل عوامل انهيارها في ذاتها ومن داخلها ، يقول الشاعر:

إِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلاقُ مَا بَقِيَتْ ** فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلاقُهُمْ ذَهَبُوا

ومن القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة التي دعا إليها ديننا الحنيف ورغَّبَ فيها ، وحثَّ على التخلق بها ، خلق العفة والمروءة، العفة التي تعني ضبط السلوك الإنساني ، والوصول به إلى مجتمع نقي تقي يرتبط بعضه ببعض ، يقول نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلاَ عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ).

فالعفة تحفظ المسلم من كل خلق سيِّئ، وتدفع به نحو الفضيلة والرقي، بها تتوطد الصلات وتسمو العلاقات ، وبها تحفظ الأموال والأعراض، ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في دعائه يسأل الله تعالى العفاف ، فعَنْ بن مسعود (رضي الله عنه) أن النَّبِي (صلى الله عليه وسلم) كَانَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى) .

وقد ورد لفظ العفة في القرآن الكريم بمعنى التعفف والترفع عما ليس في ملك الإنسان من أموال الغير في آيتين كريمتين: الأولى: قوله تعالى: {لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا}، والثانية : قوله تعالى: {وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ}.

كذلك وردت العفة بمعنى التسامي فوق الغرائز والرغبات ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ

اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ}، ويقول سبحانه: {وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.

ومن فضائلها أيضًا : أنها تحفظ صاحبها من الهلاك ، فعندما كان ثلاثة يسيرون في طريق واضطروا إلى الدخول في كهف فوقعت صخرة فسدت بابه، واستنجد كل منهم بما قدم من عمل صالح ، حيث قال أحدهم وكان الثالث منهم : (اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَار فَتَعِبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَار فَجِئْتُهَا بِهَا فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ : يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّق اللَّهَ وَلاَ تَفْتَح الْخَاتَمَ إلاَّ بِحَقِّهِ. فَقُمْتُ عَنْهَا ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً. فَفَرَجَ لَهُمْ) .

ومن صور العفة: عفة الفرج ، وهو مما تزكو به النفوس ، وتسلم به المجتمعات ، ويحفظ به الأمن، وتصان به الأعراض ، وقد أمر الله عز وجل المؤمنين والمؤمنات بحفظ فروجهم وأبصارهم فقال سبحانه:{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا}، وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ (رضي الله عنه) عَنْ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ) .

ومن صور العفة: عفة البطن ، ويقصد بها تحري الحلال في كل ما يدخل البطن من طعام أو شراب أو غير ذلك، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ

(رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ذَاتَ يَوْمٍ : (اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ) قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، قَالَ: (لَيْسَ ذَاكَ وَلَكِنَّ الاِسْتِحْيَاءَ مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) حَقَّ الْحَيَاءِ).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله وكفى ، وصلاة وسلامًا على عباده الذين اصطفى، وعلى سيدنا محمد وآله وصحبه ومن اقتفى .

تحدثنا عن عفة الفرج وعفة البطن ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): (اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنُ لَكُمُ الْجَنَّةَ : اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ) .

ومن صور العفة : **عفة اللسان** .

فاللسان من أجل النعم العظيمة التي أنعم الله بها على الإنسان ، به المنطق والبيان ، وبه تتضح الحجة والبرهان ، قال تعالى: {أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ}، فاللسان صغير في حجمه عظيم في أثره ، إذ هو ترجمان القلوب والأفكار ، ومن ثم فيجب على الإنسان أن يحفظه وأن يعفه عن كل ما نهى الله تعالى عنه.

ولقد اهتم الصالحون (رضوان الله تعالى عليهم) بصون ألسنتهم وعفتها عن الكلام المحرم ، قَالَ ابْنُ بُرَيْدَةَ: رَأَيْت ابْنَ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أَخَذَ بِلِسَانِهِ وَهُوَ يَقُولُ: " وَيْحَك قُلْ خَيْرًا تَغْنَمْ أَوْ اُسْكُتْ عَنْ شَرٍّ تَسْلَمْ وَإِلا فَاعْلَمْ أَنَّك سَتَنْدَمُ". ولما سئل النبي (صلى الله عليه وسلم) : (أيُّ المسلمين خَير ؟ قال : (مَنْ سَلِمَ المسلِمُونَ مِنْ لسانِهِ ويدِهِ) ، ثم تأتي رواية شاملة للناس جميعًا، فعن عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعاصِ (رضي الله عنه) قال: إِنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الإِسْلامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ) ، وعن مُعَاذِ بن جبل (رضي الله عنه) قَالَ: قُلْتُ : يَا رسولَ الله وإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بما نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فقالَ : (ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ! وَهَلْ يَكُبُّ الناسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟) . فعلى كل عاقل أن يكف لسانه عن الكذب لسوء عاقبته ، فهو جماع كل شر ، وأصل كل ذمّ ، كما يكف لسانه عن السخرية والاستهزاء اللتين نهى الله تعالى عنهما في قوله عز وجل: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}.

وكذلك عفة القلم ، فالقلم لا يقل في خطورته عن اللسان ، فهو اللسان المكتوب ، كما قال الجاحظ: (القلم أحد اللسانين، والقلم أبقى أثرًا) ، بل هو أحدّ من السيف في قوته ، ويصل إلى أبعد مما يصل إليه اللسان ، فخطورة الكلمة بالقلم لا تقل عن خطورة الكلمة باللسان ، من

هنا وجب على كل صاحب قلم أن يلزم قلمه بالعفة في كل ما يكتب ويتحرى الأخبار الصادقة ، ويتعفف عن كتابة سفاسف الأمور ، ونشر الأخبار الكاذبة وتشويه الحقائق أو تدليسها ، فالقلم يعكس خُلق صاحبه وهو أمانة يجب أن تُصان ، ولله در القائل:

وما من كـاتب إلا سيفنى ... ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيء ... يسرك يوم القيامة أن تراه

نسأل الله العلي العظيم أن يرزقنا الهدى والتقى والعفاف والغنى ، وأن يغنينا بحلاله عن حرامه ، وبفضله عمن سواه .

* * *

النظافة سلوك إنساني متحضر

الحمدُ للهِ ربِّ العالمِينَ ، القائلِ في كتابهِ الكريمِ : {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ}، وأشهدُ أن لا إلَهَ إلا اللهُ وحْدهُ لا شَريكَ لهُ وأشهدُ أنَّ سيِّدَنَا ونَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُهُ ورسُولُهُ ، القائلُ في حديثِهِ الشَّرِيفِ: (إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطِّيبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ)، اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَي سيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ ، ومَن اهْتَدَى بِهَدْيِهِ وَسَلَكَ طَرِيقَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد :

فَلَقَدْ اهْتَمَّ الإِسْلامُ اِهتِمَامًا بَالغًا بِبنَاءِ الإِنْسَانِ ورِعَايتِهِ فِي كُلِّ المَجَالاتِ ، صِحيًّا ، ونَفْسِيًّا، وسُلُوكيًّا، ومن مَظَاهِرِ هَذا الاهْتِمَامِ أنْ حَثَّ عَلَى النَّظَافَةِ وأَمَرَ بهَا ، بل جَعَلَهَا ضَرورةً شَرْعيَّةً لحِمَايَةِ الإِنْسَانِ ووِقَايَتِهِ مِن الأَمْرَاضِ ، قَال تَعالَى: {وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا}. هذا الماءُ الطَّهورُ هُوَ نَظافةٌ للأبْدانِ وسَلامةٌ لهَا.

ولا شَكّ أنّ النّظافةَ سُلوكٌ إسْلاَمِيٌّ إِنْسانِيٌّ مُتَحَضّرٌ يَعْكِسُ رُقِيَّ الأَفْرَادِ وحَضَارةَ المُجْتَمَعَاتِ والأُمَمِ والشُّعوبِ ، فالمجتمعُ المتحضرُ هو الذي تَتَحَوَّلُ فيهِ ظَاهِرَةُ النَّظَافَةِ إلى سُلُوكٍ عَمَليٍّ ، بحَيثُ يكُونُ كلُّ إنسانٍ نظِيفًا في جَسَدِهِ ، نَظِيفًا في مَطْعَمِهِ ، نظيفًا في مَلْبَسِهِ، نظيفًا في مسكنِه ، نظيفًا في مكتبِهِ وعملِهِ ، حريصًا على نظافَةِ بيئَتِهِ التي يعيشُ فيها والطريقِ الذي يسلكُه ، والحدائقِ والمنتدياتِ العامةِ التي يترددُ عليها

هو أو غيرُه ، فقد أخبر الحقُّ سبحانه وتعالى أنَّ النظافَةَ سببٌ لمحبتِه فقال: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} .

ومن مظاهرِ اهتمامِ الإسلامِ بالنظافةِ أن جعلَ الطهارةَ نصفَ الإيمانِ يقول نبيُنَا (صلى الله عليه وسلم): (الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ).

فالنظافةُ سلوكٌ إنسانيٌّ متحضرٌ ، بل هي عُنوانُ الحضارةِ الراقيةِ التي تدعو إلى الأناقةِ والجمالِ ، والبُعدِ عن كلِّ ما يؤذي ويُنَفِّرُ ، ولا يُقِرُّهُ الذوقُ ولا الطبعُ السليمُ ، لذلك امتَدَحَ الحقُّ سبحانه وتعالى أهلَ مسجدِ قُبَاء لحرصهم على الطهارةِ والنظافةِ ، فقال سبحانه : {لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} ، وأمرنا سبحانه أن نأخُذَ زينَتَنَا عند كلِّ مسجدٍ فقال عز وجل : {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} .

لقَد جَعلَ الإسلامُ النَّظَافةَ ظاهِرَةً إيمانيةً ، يُثابُ فاعِلُهَا ويأثَمُ تَارِكُهَا حيث أرسَى مجموعةً من المبادِئِ التي تَحُثُّ الفردَ على الطهارةِ والنظافةِ ، فشَرعَ الوُضوءَ للصلاةِ ، وأوجَبَ الغُسلَ من الجنابةِ، وأمرَنَا أن نُطَهِّرَ ونُنَظِّفَ أجسادَنا وثيابَنَا ، فقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا} ، وقال (سبحانه وتعالى) مخاطبًا نبيَّه (صلى الله عليه وسلم): {يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} .

ونبيُنا (صلى الله عليه وسلم) حين رأى رجُلاً شَعِثًا قد تفرّقَ شَعرُهُ، قال: (أما كان هذا يَجدُ ما يُسَكِّنُ به شَعْرَهَ؟)، وحين رأى رجُلاً آخر عليه ثيابٌ وسِخَةٌ قال: (أَما كان هذا يجدُ ما يَغسِلُ به ثوبَهُ؟). فلا ينبغي للمسلم أن يكونَ رثّ الثيابِ أشْعثَ أغبرَ ، فالله (عزّ وجلّ) جميلٌ يحبُ الجمالَ حثّنا على الجمالِ والتحليِّ به ، فعندما قال النبيُّ (صلى الله عليه وسلم): (لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ)، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً) ، قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ).

فالإسلامُ دينُ قائمٌ على النظافةِ والطهارةِ ، جعلَ الطهارةَ والنظافةَ الكاملةَ للجسدِ والثّوبِ والمكانِ شرطًا لقَبُولِ أهَمِّ عِبادةٍ في حياةِ المسلمِ وهي الصلاةُ ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْبَلُ صَلَاةً بِغَيْرِ طُهُورٍ ، وَلَا صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ) ، بل أبعدُ من ذلكَ فإنَّ النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) قد أكّدَ في حديثِهِ الصَّحيحِ أنَّ عَدَمَ الطهارةِ من البَوْلِ وحُسْنِ الاستبراءِ منهُ كانَ سببًا لعذاب رجلٍ في قبرهِ ، وذلك حينمَا مرَّ (صلى الله عليه وسلم) بِقَبْرَيْنِ ، فَقَالَ: (إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، وأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لا يَسْتبرِئُ من بَوْلِهِ).

فالنظافةُ عُنوانٌ للمُسلِمِ ، في بدنِه وثوبِهِ وطِيبِ رائحتِه ، ومَنْ يُعَدِّد الاغتسالاتِ الواجبةَ والمَسْنُونَةَ يُدْرِكْ مَدَى عنايَةِ الإسلامِ بالنظافةِ ، بل أبْعَدُ من هذا ، فقد حَثَّ الإسلامُ على طهارةِ الفَمِ منَ الرائحةِ الكريهةِ

فقال (صلى الله عليه وسلم) : (لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاَةٍ) .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله وكفى ، والصلاةُ والسلامُ على النبيِّ المصطفى ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى ، أما بعد:

فمن صُوَرِ النظافةِ في الإسلامِ – أيضًا– : نظافةُ الطريقِ والأماكنِ العامَّةِ من كلِّ دَنَسٍ أو أذَى ، وهذا هو السُّلُوكُ الحَضَارِيُّ الذي نادى به الإسلامُ قبلَ أن تنادِيَ بِهِ المنظماتُ والهيئاتُ المُجْتَمَعِيَّةُ ، فقد جعلَ الإسلامُ العملَ علىَ نظافةِ الطُّرُقَاتِ ورفْعِ الأذَى عنهَا وعدَمِ طرحِهِ فيها شعبةً من شُعَبِ الإيمانِ ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ).

كما نهَى دينُنَا الحنيفُ عن كلِّ ما يُعَكِّرُ على الناسِ صَفْوَ حياتهمْ ، أو يُسبِّبُ لهم الأذَى والاشمئزازَ ، فنهَى عن قَضَاءِ الحَاجَةِ في الظلِّ ، أو في طَرِيقِ الناسِ ، أو في الأماكنِ العامَّةِ ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (اتَّقُوا اللاَّعِنَيْنِ)، قَالُوا : وَمَا اللاعِنَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : (الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ الناسِ وَفِي ظِلِّهِمْ).

وفي كلِّ ذلك ما يُؤَكِّدُ أنَّ حضَارتَنَا تدعو إلى أكملِ وأجملِ مظاهِرِ النظافَةِ والطَّهَارَةِ والجَمَالِ ، وتَنْهَى عن كلِّ ألوانِ النَّجَاسَةِ والقُبحِ

والأذَى ، ممَّا يتطلبُ منَّا أن نلْتَفِتَ وبقُوَّةٍ إلى أهميَّةِ النظافَةِ في حياتِنَا وأن نُحَافظَ على مواردِ مياهِنَا سواءٌ أكانت نهرًا ، أم بحرًا، أم بئرًا ، أم أيَّ مصدرٍ آخرَ من مصادرِ المياهِ ، حتى لا نُؤذِيَ أنفُسنَا أو غيرَنَا ، فإن لَّمْ نَقُمْ بالإسهامِ في نظافةِ بيئَتِنَا ومُجْتَمَعِنَا ومُحِيطِنَا، فعلى أقلِّ تقديرٍ يجب أن لا نكونَ سببًا في أذىَ الناسِ وأذىَ أنفُسِنَا ، بإلقاءِ الفضلاتِ أو المُخَلَّفَاتِ في الطُّرُقِ أو الأماكنِ العامَّةِ ، فدينُنَا دينُ النَّظافَةِ ، دينُ الطَّهارَةِ ، دينُ الجمَالِ.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هَلْ واقِعُنَا يَتَّسِقُ مع تعَاليمِ دِينِنا ؟ وإنْ كُنَّا قد فَهِمْنَا دينَنَا فهْمًا صَحِيحًا فَلمَاذا لم يتَحَوَّلْ في حَياتِنَا إلى سُلوكٍ عمليٍّ ؟

الإجابة بوضوحٍ شديدٍ: أنَّ هناكَ فرقًا واسِعًا بين من يتمسَّكُ من الدين فقط بشكلِهِ ومظهرِهِ ، وبين من يُطَبِّقُ لُبَّهُ وجوهَرَهُ.

فَعَلىَ كُلٍّ منَّا أنْ يَعْمَلَ عَلَى نَظَافَةِ جَسَدِهِ ، وثوبِهِ ، ومكانِهِ ، ومدْرَسَتِهِ ومكانِ عملِهِ ، وأن يُسْهِمَ قَدْرَ استِطَاعَتِهِ في نَظَافَةِ مجْتَمَعِهِ، حتى نَكُونَ مُجتَمَعًا راقِيًا نَظِيفًا مُتَحَضِّرًا، يُتَرجِمُ إيمَانَهُ بدِينِهِ وقِيَمِهِ إلى سُلوكٍ عَمَليٍّ وحَياتِيٍّ وواقِعيٍّ ، وأن يَبْدَأَ كلُّ واحِدٍ مِنَّا بنفْسِهِ ، ولْيَكُنْ شِعَارُنَا : " معًا لمُجْتَمَعٍ نَظيفٍ مُتَحَضِّرٍ ".

* * *

الأمـن الغـذائي
حمايته وحرمة التلاعب به

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ ، القائلِ في كتابهِ الكريمِ:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ القائلُ في كتابهِ الكريمِ: {أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ *وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}.

وأشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَنا محمدًا عبدُهُ ورسولُه ، اللهم صلِّ وسلمْ وباركْ على سيِّدِنا محمدٍ ، وعلى آلهِ وصحبهِ ومن تبِعهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ. أما بعد :

فَإِنَّ الدِّينَ الإسلامِيَّ الحَنِيف دينٌ شامل لكل نواحي الحياة بمَا تصلح به حَيَاة البشر ، ويتَوافَقُ مَعَ متطلباتهم المَعيشيَّة واحتيَاجَاتِهم الإنسانية، ويكفل لهم السعادة في الدنيا والآخرة ، قال تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}.

فقد عُنِيَ الإسلام بالمُقَوِّمَاتِ الأسَاسِيَّةِ لحَيَاةِ الإنْسانِ ، من مَطْعَمٍ ومشْرَبٍ، ومسْكَنٍ، ومَلْبَسٍ ، وغير ذلك مما يساعد على استقرار حيـاتـه وسكينتها وطمأنينتها ، وتحقيـق أمن الإنسـان بكل صوره وجوانبه.

على أن نعمة الأمن من أعظم نعم الله (عز وجل) على الإنسان لا يستطيع أن يعيشَ بدونها ، ولا يشعر بلذة العبادة والطاعة أو الطعام والشراب إلا بتحققها، يقول سبحانه:{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ

وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}.

ومن مجالات الأمن التي اهتم بها الإسلام وحرص على تحقيقها (الأمن الغذائي)بعيدًا عن الجشع والطمع، والغش والاحتكار والاستغلال والنفعية والأنانية ، فللأمنِ الغِذَائي أهَميَّةٌ كُبْرَى في حَيَاةِ الأفْرادِ والأمَمِ فهو يَرتَبِطُ ارتبَاطًا وثيقًا بالاستِقْرَارِ والأمْنِ المُجْتمَعِيّ وقد رَبَطَ القُرآنُ الكريمُ بينهُمَا بِربَاطٍ وثيقٍ إلى يومِ القيامةِ ، فقال سبحانه مُمْتَنًّا على أهلِ مكَّةَ بهاتين النِّعْمَتَيْنِ:{أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}.

وكذلك جاءت السنة النبوية المطهرة بما يجعل الأمنَ الغِذائي ركيزة هامة من ركائز الحياة المستقرة ، وربطت كذلك بينه وبين الأمن المجتمعي ، يقول (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً في سربِهِ مُعَافَىً في جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا) فالأمنَ الغذائي ضرورةٌ لحفظ كرامة الفرد والأمة، وإن أيَّ مساسٍ به له عواقبُه وأضراره الخطيرة بما يجعل المساس به جريمة كبرى في حق المجتمعات ، لما يترتب على افتقاده من مفاسد وجرائم متعددة كالسرقة والسلب والنهب وقطع الطرق والغصب والرشوة والاحتيال والتربح والابتزاز وغير ذلك من مفاسد وشرور .

لذا حرصت الشريعة الإسلامية على حماية المجتمع من الجشع والاستغلال، وحرَّمت التلاعب بأقوات الناس وحاجاتهم الأساسية وحثَّت

على السعي في تحصيل المال الحلال ، باكتسابه من الطرق المباحة المشروعة، دون أي اعتداء أو ظلم للآخرين ، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}، كما حثت التاجر على الصدق والسهولة واليسر والسماحة وحسن المعاملة في بيعه وشرائه فلا يغالي في الربح ، حتى لا يرهق كاهل الفقراء والمحتاجين فيكون ذلك سببًا لمحق البركة من رزقه، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ بِسَمَاحَتِهِ، قَاضِيًا وَمُتَقَاضِيًا).

وفي المقابل حرَّم الإسلام كل صور المعاملات التي تفسد العلاقات بين الناس وتؤدي إلى الطبقية والأحقاد ، فحرم احتكار السلع التي يحتاجها الناس ، وحرم رفع أسعارها جشعًا واستغلالا ، وذلك لكي تتوفر السلع الغذائية التي تُؤَمِّنُ احتياجات الناس والتي لا غنى لأحد منهم عنها.

ومن هنا كان استنكار النبي (صلى الله عليه وسلم) للسلوكيات الاستغلالية التي يمارسها من لم يراقب الله عز وجل من التجار ، إذ يقول: (مَنِ احْتَكَرَ حُكْرَةً يُرِيدُ أَنْ يُغْلِيَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ خَاطِئٌ) فالخاطئ أشد جرما وشراسة من المخطئ ، فالله تعالى يقول{لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ}. ويؤكد ذلك قوله (صلى الله عليه وسلم) في رواية أخرى:

(وقد بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ ورسولِه).

والاحْتِكَار والاستغلال يكونان سَبَبًا في هَلاكِ ودَمَارِ صاحبهما في الدنيا والآخرة ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ الْمُسْلِمِينَ لِيُغَلِّيَهُ عَلَيْهِمْ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

ولكي تتم حماية الأمن الغـذائي حرّم الإسـلام كل ما يؤدي إلى التلاعب به ، ومن ذلك الغش بجميع صوره في التعامل بين الناس ، فقد أكد القرآن الكريم حرمة الغش في الكيل والميزان وتوعد على ذلك بالويل والخسران ، فقال سبحانه:{وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ} .

ومن صُورِ الغِشّ خَلط الجيد بالرديء ، و إظهار الرديء في صورة الجيد وبيعه بقيمته ، فقد مرَّ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) عَلَى صُبْرَةٍ مِنْ طَعَامٍ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً، فَقَالَ: (يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ، مَا هَذَا؟)، قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: (أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ)، ثُمَّ قَالَ: (مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا).

وبسبب حساسية العمل التجاري نجد المصطفى (صلى الله عليه وسلم) يقول: (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ). هكذا جاء الشرع الحنيف مادحًا لكل صلاح ، محاربًا لكل فساد ، موضحًا ما يحقق سلامة المجتمع من الأمراض التي تعوق مسيرة تقدمه ورقيه .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الحمد لله وكفى ، والصلاةُ والسلامُ على النبيِّ المصطفى ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى ، أما بعد :

فإن تحقيــق الأمن الغذائي وتوفيره لغـير القــادرين يتطلب منّــا جميعًا التعاون والتكافل ، وهو ما حثَّ عليه ديننا الحنيف في قوله سبحانه: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}، ويقول سبحانه : {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (ما مِن يومٍ يصبِح العبادُ فيه إلا ملَكان ينزلان، فيقول أحدُهما: اللّهمّ أعطِ منفقًا خلفًا ، ويقول الآخر: اللّهمّ أعطِ ممسكًا تلفًا) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) ، فلابد من التكافل والتراحم والتعاون ، وبخاصة في وقت الشدائد والأزمات .

نَسْأَلُ اللهَ العليَّ العظيمَ أنْ يرزقنا الرضا والقناعة ، وأن يكفينا بحلاله عن الحرام ، وأن يغنينا بفضله عمن سواه ، وأن يحقق لمصرنا الأمن والأمان .

* * *

لا للإرهاب والإفساد

الحَمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، القَائِلِ في كِتَابهِ الكريمِ:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ* وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ}.

وأشهدُ أن لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدهُ لا شَريكَ لهُ ، لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ يُحيي ويُمِيتُ ، وهو علَى كُلِّ شيءٍ قديرٌ . وأشهدُ أنَّ سيِّدَنَا ونَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُهُ ورسُولُهُ ، القائِلُ: (لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا)، اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ ، ومَنِ اهْتَدَى بِهَدْيِهِ وَسَلَكَ طَرِيقَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد :

فَقَدْ حَرصَ الإسلامُ كُلَّ الحِرصِ عَلَى حِفْظِ الدِّمَاءِ والأمْوالِ والأعراضِ ، وحرَّمَ قتلَ النفْسِ التي حرَّمَ اللهُ (عز وجل) قتلَهَا إلا بالحقِّ يقولُ تعَالى: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}، ويقُولُ سُبْحانَهُ:{مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}، فحرَّم كُلَّ اعتداءٍ أو تَرويعٍ للآمنِينَ وكُلَّ ما يُهدِّدُ الأمنَ والاسْتِقرارَ من إرهابٍ أو إفسادٍ في الأرضِ أو اعتداءٍ على الأبرياءِ.

ولكنْ ما زالَ الإرهابُ الخبيثُ يُطِلُّ علينا بوجهِهِ القَبيحِ بينَ الحينِ والحينِ، من خلالِ قيامِ جَمَاعَاتٍ ضالةٍ مُضِلَّةٍ بالخروجِ على المجتمعِ بالسلاحِ واستباحةِ الدِّماءِ المَصُونةِ ، وقتْلِ الأبرياءِ ، وترويعِ الآمنينَ ، وإشاعةِ الفسادِ في الأرضِ ، كُلُّ ذلكَ بدَعْوَى الجهادِ في سبيلِ اللهِ كذِبًا وزُورًا وافتراءً على اللهِ ورسولِهِ ، فالجهادُ الحقِيقيُّ هو ردُّ العُدوانِ عنِ الدَّولَةِ بمَا يُمَاثِلُهُ دونَ تجَاوُزٍ أو شَطَطٍ، ولا مَجَالَ للاعتداءِ ولاَ حَقَّ للأفْرادِ في إعلانِه ، إنَّمَا هو حَقٌّ لرئيسِ الدَّولَةِ والجِهاتِ المختَصَّةِ بذلِكَ وِفْقَ ما يقْتَضِيهِ قانُونُ كلِّ دولةٍ ودُستورُها.

والحقُّ أنَّ أفعَالَ هؤلاءِ المارِقِينَ تكْشِفُ يومًا بعْدَ يومٍ أنَّهُم بَعِيدونَ كلَّ البُعدِ عنِ الإسْلامِ ورُوحِهِ السَّمْحَةِ ، ولا يعْرِفُونَ شيئًا عن هَدْيِ سيِّدِ الأنامِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ويحْسبونَ أنفُسَهُم مُؤمِنينَ مُصْلِحِينَ، مع أنَّهُم مُنافقونَ مُفسِدونَ ، يقولُ سبحانَهُ وتعالى في شأنِهمْ: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}، ويقولُ سبحانَهُ: {فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ}.

فَكُلُّ مُفْسدٍ ـ وإنِ ادَّعَى صَلاحًا ـ فَعملُهُ باطِلٌ، وإنْ تحقَّقَ لهُ ما يَتوهَّمُهُ نجاحًا ، فهو زيفٌ مؤقَّتٌ ، مآلُهُ الخذلانُ والخسرانُ ، وهذا هو حالُ المنافقِ المفسدِ مدَّعي الإصلاحِ ، كما أخبرَ القرآنُ الكريمُ حيثُ يقولُ الحقُّ سبحانَهُ:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ}.

وأبشــعُ أنــواعِ الإفســادِ هـو ما استُبيحَتْ بـه الدمـاءُ باسمِ الدينِ، والدينُ منه بَراءٌ ، فقد ابتُلِيتِ الأمَّةُ بأُناسٍ يُفسِدونَ في الأرضِ ولا يُصْلِحونَ ، وهـؤلاء قـد ذمَّهـمُ القـرآنُ الكـريمُ وتوعَّـدَهُمْ بالعـذابِ العظيمِ، فقال تعالى : {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} ، ويقول سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ} .

أما شـريعةُ الإسـلامِ السَّـمْحةِ فقـد كفَلَـتْ للإنسـانِ حقَّـهُ في عـيشٍ آمنٍ، ونفسٍ مطمئنةٍ ، فنهتْ عن ترويعِهِ وتخويفِهِ، وحرَّمَتِ التَّعدِّي عليه أيًّا كان جنسُهُ أو لونُهُ أو معتقَدُهُ ، أو التعرضَ لهُ بالإيذاءِ والضررِ في نفسِهِ أو مالِهِ أو عرضِهِ ، لأنَّ ذلكَ يُعدُّ فسادًا وإفسادًا في الأرضِ ، يقـولُ نبيُّنَا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لا يَحِلُّ لمسلمٍ أنْ يُرَوِّعَ مسلمًا) ، ويقـولُ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لاَ يُشِـرْ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيـهِ بِالسِّـلاَحِ ، فَإِنَّـهُ لاَ يَـدْرِي لَعَـلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ) ، حتـى ولـو كـانَ الترويعُ علـى سبيلِ المِـزاحِ ، يقـولُ نبيُّنَا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ).

فإذا وصلَ الترويعُ والاعتداءُ إلى حدِّ الاستيلاءِ علـى المُمتلَكـاتِ بالقوَّةِ دخلَ ذلكَ في بابِ الحِرابةِ والبَغْيِ ، يقولُ سبحانَهُ: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} ، وقدْ نفَى النبيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) انتسابَ هـؤلاءِ إلى الإسلامِ ، فقالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمدُ للهِ وكفَى ، والصلاةُ والسلامُ على النبيِّ المُصطفَى ، وعلى آلهِ وصحبِهِ ومنِ اهتدَى ، أما بَعدُ :

فإنَّ المُسلمَ لا يـزالُ في مُتَّسَعٍ منْ أمرِهِ حَتى يَقترِبَ مِنَ الدِّمـاءِ ويعْتدِيَ علَى البناءِ الذي بناهُ اللهُ (عز وجل) وهو الإنسانُ حيثُ يقولُ نبيُّنا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لاَ يَزَالُ الْمَرْءُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا) ، فأمرُ الدِّماءِ عظيمٌ وخَطيرٌ ، لدرجةِ أنَّ النبيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ) ، ويقولُ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الأَرْضِ اشْتَرَكُوا في دَمِ مُؤْمِنٍ لأَكَبَّهُمُ اللَّهُ في النَّارِ). فقتْلُ النفسِ بغيرِ حقٍّ حرامٌ ، قالَ تعالى:{وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ}.

ويَلْحَقُ بهؤلاءِ في الفَسادِ والإفْسَادِ كلُّ منْ يعملُ علَى تخْريبِ العامِرِ وهدمِ البُنيانِ والمَساسِ بالمَرافِقِ العامَّةِ أوِ العمَلِ علَى تعطيلِهَا أوِ التلاعُبِ بالعُملاتِ الأجنبيَّةِ وسوقِ الصَّرفِ الماليِّ، أو بأقواتِ الناسِ قَصْدَ الإضرارِ بالمصْلَحةِ الوَطنيَّةِ.

إنَّ الدينَ الإسلاميَّ يَنْبُـذُ كلَّ عُدْوانٍ وتَطرُّفٍ وإرْهـابٍ ، ويَحُثُّ على التصدِّي للإرهابيينَ المُجرمينَ وتطْهِيرِ الأرضِ منهمْ ، فإنَّ اللهَ (عزّ

وجلّ) يدفعُ بالمصلِحِينَ فسادَ المفسدِينَ ، قالَ تعالى: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ}.

فالإرهابيُّ المفْسِدُ مِعْوَلُ هدمٍ للمُجتمَعِ ، ولا نجاةَ للعِبادِ إلاَّ بمنعِهِ منَ الفَسادِ ، والتَّصدِّي لهُ ، فَفِي ذلكَ نجاةٌ للمجتمَعِ كلِّهِ. أمَّا إهمَالُهُ وعدَمُ التَّصدِّي لهُ ففيهِ الهَلَكَةُ للمجتمَعِ كلِّهِ، قالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا ، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا).

ومنْ هُنا نُؤَكِّدُ أنَّ كشْفَ هُوِيَّةِ الإرْهابيِّينَ ومُخططَّاتِهمْ والإبلاغَ عنْهمْ يُعَدُّ واجبًا دينيًّا ووطنيًّا وإنسانيًّا ، ممَّا يُحتِّمُ علينَا أنْ نَقِفَ جَميعًا صفًّا واحدًا في مُواجَهةِ هذا الإرْهابِ الأسْوَدِ حتَّى نقْتلِعَهُ منْ جُذورِهِ، وأنْ نَكُونَ بأقْوالِنَا وأفعَالِنَا وأخلاقِنَا صورةً مُشرِّفَةً للإسلامِ الوسطِيِّ السَّمحِ الذي نَشْرُفُ بالانتِمَاءِ إليهِ.

نسألُ اللهَ تعَالَى أنْ يَقِيَنَا السُّوءَ بمَا شاءَ وكيفَ شاءَ ، وأنْ يُديمَ لُطفَهُ بِمصْرَ وأهلِهَا ، وأنْ يحفَظَ جَيشَنَا وشعْبَنَا منْ كلِّ مكْرُوهٍ وسُوءٍ ، وأنْ يجعَلَ مِصْرَنَا أمْنًا أمَانًا وسَائِرَ بلادِ المُسلِمينَ .

* * *

النظام سلوك إنساني وحضاري

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ ، القائلِ في كتابهِ الكريمِ:{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريكَ لهُ ، وأشهدُ أنَّ سيدَنا ونبينَا محمدًا عبدُه ورسولُه ، اللهم صلِّ وسلمْ وباركْ على سيِّدِنا محمدٍ، وعلى آله وصحبهِ ومن تبعهمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ.

أما بعد:

فإن الدين الإسلامي دين يُنظّم حياة البشر في مختلف ميادينها بما يصلح شأن الفرد والمجتمع ،ذلك أن النظام محور أساس لحياة الناس جميعًا ، بل للكون كلّه الذي يسير بنظام دقيق.

والمتأمِّلَ في هذَا الكونِ الواسعِ بكُلِّ ما فيهِ من بدائع خلَقهَا الله (عز وجل) يَرَى بِوُضوحٍ أنَّ الله (عز وجل) خلقه بنظَامٍ وترتِيبٍ وتنسيقٍ وإتقانٍ يُبهِرُ العقولَ ، فكلُّ شيءٍ في هذا الكونِ خَلقَهُ اللهُ (عزَّ وجلَّ) وسَخَّرهُ لحِكْمةٍ وبحِكْمةٍ ، فلم يخْلُق سبحانه شيئًا في الكَونِ عبثًا قال تعالى:{وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ}، وقال جلَّ شأنُه: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}، وقال تعالى: (خَلَقَ السّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ).

فكلُّ شيءٍ في هَذا الكَونِ أعَدَّهُ الله (عز وجل) وِفقَ نِظامٍ مُحكَمٍ دَقِيقٍ، لا يتقدم فيه لاحِقٌ على سابِقٍ، ولا يتأخر فيه سابِقٌ على لاحِقٍ وإلاَّ لاختَلَّ نِظَامُ الكَونِ كلِّه ، قال تعالى: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا

ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ* وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}، فكلُّ ذرَّةٍ من ذرَّاتِ هذا الكَونِ لها مكانها وموقعها المحدد ، ولها حركتها الخاصة بهَا.

بل إنَّ الأرزاقَ التي قدَّرهَا الله (عز وجل) لِخلْقِه قسَّمَها بنِظامٍ دقيقٍ يتناسبُ مع متطلباتِ الحياةِ التي تُصلِحُ الفردَ والمُجتَمعَ ، قال تعالى: {وَلَو بَسَطَ اللهُ الرِّزقَ لِعِبَادِهِ لَبغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ}، وقال سبحانه: {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبّكَ خيَرٌ مِمّا يَجْمَعُون }، وتلك سنة الله في خلقه {وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا}.

وكما أنَّ النظامَ سُنَّةٌ كونيةٌ فهو أيضًا مبدأٌ أصيلٌ من مبادئِ الإسلامِ العظيمةِ ، جاءَ ليحكُمَ الحياةَ في جميعِ نواحيهَا وجوانبِهَا باتزان واعتدالِ ، لا يطغى فيه جانب على آخر .

فالصلاةُ نظَّمَ الإسلامُ أوقاتَها وطريقةَ أدائِها، وجعل النظام من أهم مقومات صلاة الجماعة ، حيث يتقدم الإمام ، والصفوف متساوية خلفه فقد كان نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يقول : (سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَام الصَّلَاةِ)، وكان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُعلِّمُ أصحابَهُ احترامَ النظام في صلاة الجماعة قائلاً: (إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ فَإِذَا صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا فَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا ، وَإِذَا رَفَعَ فَارْفَعُوا...) إنه

النظام في أجلِّ صوره ، وأبهى مظاهره.
كذلك الزكاةُ تُؤدَّى وِفـقَ نظـامٍ دقيـقٍ مُفَصَّـلٍ ومُوَضَّحٍ كمًّا وكَيفًا وأداءً وكذلك الصيام والحج وسائر العبادات والمعاملات .

فالنظام عمل يحث عليه الإسلام ، ويرغب في تطبيقه والمحافظة عليه ،حتى عند الطعام والشراب فقد وضع له نظامه وآدابه وثقافته فعَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ:(مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ)،ومن ثقافة الطعام وآدابه ما رواه عُمَر بْنَ أَبِي سَلَمَةَ قال: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) :(يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ .

ومن أهم المواضع التي يجب أن يراعى فيها النظام ويسود: احترام الطرقات وإشارات المرور ، وعلامات السير وقواعده وضوابطه ومنها احترام حق الآخر في أي عمل يتطلب ترتيب الأدوار فيما يتصل بالحصول على الخدمات والحاجات سواء الغذائية كصرف مستحقات بطاقات التموين، ونحوه كالتعامل مع المجمعات الاستهلاكية وغيرها ، أو صرف اسطوانات الغاز، أو تلقي الخدمات الصحية ، أو خدمات السجل المدني أو الشهر العقاري أو البنوك ، أو مكاتب البريد ، أو تقديم أي طلبات تقتضي النظام، فاحترام الإنسان لدوره ، هو احترام للنفس وللغير

كما أن احترام القانون بصفة عامة يعد أحد أهم أعمدة النظام واستقامة السلوك الإنساني وتحقيق صالح الفرد والجماعة ، ونزع فتيل الكثير من الأحقاد والمشكلات .

فلنبادر إلى التعاون على ترسيخ السلوك الحضاري والإيجابي في شئوننا اليومية ، بحيث يحب كل منا للآخر ما يحبه لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه يقول (صلى الله عليه وسلم) : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله وكفى ، والصلاةُ والسلامُ على النبيِّ المصطفى ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى .

إن احترام النظام احترام لمبادئ الدين الحنيف التي تحقق أمن المجتمع وسلامته من كل مظاهر الفوضى التي تؤثر سلبًا على صورة الفرد والمجتمع في الداخل والخارج ، فالأمم والمجتمعات الراقية والمتقدمة تتمسك بالنظام وتأبى كل ألوان الفوضى وتنفر منها.

فعلى كلٍّ منَّا أن يحافظ على النظام ، وأن يكون أسوةً طيبةً لمن حوله وأن يقوم بدوره تجاه وطنه ، فالنظام سُنَّةٌ كونيةٌ ، وقيمةٌ إنسانيةٌ ، وضرورةٌ اجتماعيةٌ ، تعنى بها المجتمعات وتحرص عليها الأمم الراقية حتى يصير طبعًا وسلوكًا يُعمَلُ به في كل شئونها.

ولنعلم أن الإسلام في أحكامه وتشريعاته لا يعرف الفوضى ولا طريقها ، بل إنه يتبرأ منها ومن الداعين إليها ، لأنها سلسلة من السلبيات

التي تحول المجتمع إلى مجتمع مستهلك لا منتج ، مجتمع خائف لا يشعر بالأمن والأمان ، فحيثُمَا عمَّت الفوضى في مجتمعٍ عمَّ الفساد وضُيِّعَت الأوقات ، وأهدرت الطاقات ، وتبدّدت الجُهود ، ولا يجنى المجتمعُ منها إلا التخلف والفشل بداية من الفرد إلى الأسرة إلى المجتمع .

ومما لاشك فيه أن مسئولية تحقيق النظام والحفاظ عليه تقع علينا جميعًا ، بداية من الأسرة باعتبارها النواة الأولى في بنيان المجتمع، لذا وجب على كل منا أن يقوم بدوره ، وعلى كل أسرة أن تقوم بدورها في تنشئة أولادها على النظام والسلوك القويم في كل أمورهم وأحوالهم يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مسْئولٌ عَنْ رَعِيَّتهِ الإِمَامُ رَاعٍ وَمسْئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ رَاعٍ في أَهْلِهِ وَمسْئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.....).

* * *

ضوابط البيع والشراء

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : { وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا }، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فمن جوانب عظمة الدين الإسلامي التي تميز بها من بين سائر الأديان والشرائع أنه ما ترك خصلة من خصال الخير تبث بين الناس المودة والرحمة والألفة والمحبة إلا أمر بها ورغب فيها الناس كافة.

وبما أن النفس البشرية جُبلت على حب المال الذي به قوام الحياة وانتظام أمر المعاش جاءت الشريعة الإسلامية بتعاليمها السمحة تحث أتباعها بضرورة السعي في تحصيل المال واكتسابه من طرق مباحة ومشروعة ، فأباحت جميع صور الكسب الحلال التي ليس فيها اعتداء ولا ظلم ولا ضرر على الغير، قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}. وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} ، وقَالَ سبحانه وتعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِىَ بِالْحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ) .

ولأن البيع والشراء أحدُ طرق الاكتساب المباحة لتعلق مصالح العباد به كما قال تعالى: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا }، وعدَّه النبيُ (صلى الله عليه وسلم) من أهم المكاسب وأطيبها ، فعَنْ عَبَايَةَ بْنِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: (كَسْبُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ) ، والبيع والشراء ضرورة من ضروريات الحياة يتحقق بهما إعمار الكون واستقرار المجتمع وأمنه.

من هنا حثت الشريعة الإسلامية في البيع والشراء على السهولة واليسر ، والسماحة وحسن المعاملة في البيع والشراء ، وطلب الربح اليسير دون عنت أو مشقة على الناس ، وضرورة الشفَقَة والتلطف بالمتعاملين ، حتى تتحقق البركة في الرزق ، والسعة في الأموال وجعلت الالتزام بهذه التعاليم بابًا عظيمًا من أبواب الرحمة والإحسان فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى) وفي رواية الترمذي (رحمه الله) من حديث جابر- أيضاً - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : (غَفَرَ اللَّهُ لِرَجُلٍ كَانَ قَبْلَكُمْ ، كَانَ سَهْلاً إِذَا بَاعَ ، سَهْلاً إِذَا اشْتَرَى ، سَهْلاً إِذَا اقْتَضَى).

والبيعُ الذي أباحه الله وتعلَّقت به مصالح الناس هو البيعُ الذي يحصُل به تبادلُ المنافع بين الناس من غير ضرر يلحَق بأحد المتبايعَين ولذا حذَّرنا الله من أن يأكلَ بعضنا مالَ بعض ، قال تعالى: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ

مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ عُدْوانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}.

فقضية البيع والشراء في الإسلام قائمة على أسس العدل ، والصدق والرضا ، والقبول، والوضوح التام ، بعيدًا عن الظلم والغرر واستغلال حاجات الناس ، والتراضي بين المتعاقدين ، فعن أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (لأَلْقِيَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَبْل أَنْ أُعْطِيَ أَحَدًا مِنْ مَال أَحَدٍ شَيْئًا بِغَيْر طِيبِ نَفْسِهِ إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ) ، وهذا هو الطريق لحصول البركة في البيع والشراء فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الحَارِثِ ، قَالَ: سَمِعْتُ حَكِيمَ بْنَ حِزَام (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَن النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (البَيِّعَان بِالخِيَار مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا).

والتاجر الصادق الأمين يحشر يوم القيامة بصحبة الأنبياء والشهداء والصالحين ، هكذا أخبر من لا ينطق عن الهوى ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ)

فالصدق والأمانة في البيع والشراء يجلبان البركة ويساعدان على تأليف القلوب ، وقد قص علينا النبي الأمين (صلى الله عليه وسلم) مثلاً راقيًا لصدق وأمانة متعاقدين فحلت البركة والألفة وتحقق الود المطلوب تحقيقه بين المسلمين ، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): (اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ

الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ: خذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا؛ فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ، وَقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ؛ قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ، وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا).

ويكفي أن الله (عز وجل) ثالث الشريكين المتعاقدين ، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) رَفَعَهُ ، قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ أَنَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ فَإِذَا خَانَهُ خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِهِمَا) فالخيانة على العموم صفة من صفات المنافقين ، جعلها النبي (صلى الله عليه وسلم) علامة يُعرف بها المنافق ، بل إن النبيّ (صلى الله عليه وسلم) نفى الإيمان عن خائن الأمانة ومضيعها ، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَّا قَالَ: (لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ) ، وذلك لما يترتب على خيانة الأمانة من فساد المعاملات بين الناس ، وقطيعةٍ بين أفراد المجتمع، وتباغضٍ يفضي إلى النزاع والشقاق ، وتكدُّس في المحاكم بالعديد من القضايا التي يعدُّ سببها الأول خيانة الأمانة ، فحري بكل تاجر أن يكون صادقا أمينا في بيعه وشرائه وسائر معاملاته حتى تتحقق البركة.

ومن الضوابط التي وضعها الإسلام أيضا في المعاملات عامة والبيع والشراء خاصة :

حرمة الغش أو التدليس ، فالغش صناعة لا يحسنها إلا المنافق ، فهو مظهر من مظاهر الكذب ، والكذب أمارة من أمارات النفاق ، والغش خيانة وخداع وهو محرم بإجماع المسلمين وصاحبه ليس على طريق النبي (صلى الله عليه وسلم) ولا على هديه فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (. مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا). إنه إعلان حرب من النبي (صلى الله عليه وسلم) على أصحاب الضمائر الفاسدة التي لا تراقب ربها سرا ولا علانية وتحذير لكل من تسول له نفسه الخبيثة غش المسلمين وخداعهم وأكل أموالهم بالباطل ، فهل من عاقل؟.

فالغش داء عضال وآفة خطيرة، لا يقتصر خطرها على الفرد فحسب ، بل يمتد أثرها إلى المجتمع كله ، والغش يكون في النوع والجودة ، وذلك بدسِّ الرديء في ثنايا الجيد ، وبيعه جميعاً بقيمة الجيد دون بيان الواقع والحقيقة ، فيخفي البائع العيب الموجود في سلعته الرديئة ويظهرها كأنها سليمة ليس بها عيب من العيوب. وهذا ما وضحه النبي الأمين (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حين مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا ، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً، فَقَالَ: (مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟) قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فقَالَ: أَفَلا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ؟ ثُمَّ قَالَ: (مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي).

إن الغش مرض ملعون ، إذا تخلل في قلب العبد أهلكه لا محاله وكان عاقبة أمره خسرًا. ولله در من قال:

أيَا بَائِعاً بالغشِّ أَنتَ مُعَرَّضٌ ** لدَعوَةِ مَظْلُوم إلى سَامِعِ الشَّكْوَى
فَكُلْ مِنْ حلال وارْتدِعْ عن مُحرَّم ** فَلسْت على نارِ الجحِيمِ غداً تَقْوَى

وكذلك من الضوابط التي وضعها الإسلام في البيع والشراء:

حرمة التطفيف في الكيل والميزان ، والتطفيف معناه: الاستيفاء من النّاس عند الكيل أو الوزن ، والإنقاص والإخسار عند الكيل أو الوزن لهم ويلحق بالوزن والكيل ما أشبههما من المقاييس والمعايير الّتي يتعامل بها النّاس (المفردات للراغب) ، فالله (عز وجل) أمر بإقامة الوزن بالقسط في كتابه الكريم ، قال تعالى:{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا}.

وقد حذر نبي الله شعيب (عليه السلام) قومه من بخس الناس أشياءهم والتطفيف في المكيال والميزان ، كما حكي الله – عز وجل– ذلك عنه في القرآن ، فقال: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}. وقد عقّب القرآن الكريم النهي عن التطفيف بقوله تعالى:{وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}، وفيه دلالة على أنّ البخس في الميزان والتطفيف من عناصر الإفساد للمجتمع فالتطفيف يؤدي إلى فقدان الثقة بين أفراد المجتمع ، وعدم الاطمئنان، وتسود المجتمع حالة من الانحراف والتحايل والمكر والخديعة ، فتفسد القيم الإنسانية ، ويعم الفساد الأرض ، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ : أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) فَقَالَ : (يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ : لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا ، إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ ، وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ، إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ ، وَشِدَّةِ الْمَؤُونَةِ وَجَوْر السُّلْطَان عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ ، إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا ، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ ، إِلاَّ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ ، إِلاَّ جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ).

والتطفيف في الكيل والميزان من الكبائر التى تهوي بصاحبها فى النار ، قال سبحانه: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ* الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاس يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ }، قال مالك بن دينار (رضى الله عنه): دخلت على جار لى قد نزل به الموت، فجعل يقول: جبلين من نار ، جبلين من نار فقلت : ما تقول ؟ أتهجر ؟ قال : يا أبا يحيى ، كان لى مكيالان ، أكيل بأحدهما ، كلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد عظما ، فمات من وجعه .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

من الضوابط التي وضعها الإسلام في البيع والشراء: **حرمة الاحتكار للسلع الأساسية التي يحتاج إليها الناس** ، والاحتكار معناه : حبس السلعة والامتناع عن بيعها ، أو محاولة الاستحواذ عليها في السوق بقصد رفع أسعارها وزيادة تحقيق الأرباح على حساب الناس والمجتمع، وربما حتى على حساب الأمن القومي للبلاد ، وهو دليل على دناءة نفس صاحبه وسوء خلقه ، لذا نهى النبي الكريم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عن كل ألوان الاحتكار وكنز السلع لرفع ثمنها على الناس فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنِ احْتَكَرَ حُكْرَةً يُرِيدُ أَنْ يُغْلِيَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فقد بَرِئَت منه ذمة الله ورسوله) .

وفي ذلك ما يؤكد حرمة استغلال حوائج الناس، أو التلاعب بأقواتهم وحاجاتهم الأساسية التي يحتاجون إليها ، سواء في طعامهم أم في غيره، لأن ذلك يُعدّ كسبًا خبيثًا محرَّمًا ، وهذا ما حذَّرنا منه ديننا الحنيف ، فقال تعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ ، وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ) .

إن المحتكر لا خلق له ولا وطنية ، غلبته أنانيته ونقيصته فجعلهما

فوق كل اعتبار ، فاختار الأثرة على الإيثار ، فهو يتاجر بأقوات الناس ومقومات حياتهم ، ويبني ثراءه على حساب عنتهم ومشقتهم ، وهذا بطبعه فيه إضرار بهم ، حذرنا منه ديننا الإسلامي الحنيف الذي يأمرنا بالتراحم وعدم استغلال حاجات الناس ، فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ : (مَنِ احْتَكَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَعَامَهُمْ، ضَرَبَهُ اللَّهُ بِالْجُذَامِ وَالْإِفْلَاسِ) ، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال : (مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَبَرِئَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ وَأَيُّمَا أَهْلُ عَرْصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمُ امْرُؤٌ جَائِعٌ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ تَعَالَى) وذلك لأنه يستجلب سخط الله (عز وجل) وسخط الناس ودعاءهم عليه ونقمتهم وبغضهم له.

وقد حرم الإسلام الاحتكار لما له من أضرار على الفرد والمجتمع ، فهو يحمل في طياته بذور الهلاك والدمار ؛ لما يسببه من ظلم وغلاءٍ في الأسعار ، وإهدارٍ لتجارة المسلمين وصناعتهم ، وتضييقٍ لأبواب العمل والرزق ، وانتشار الحقد والكراهية والعداوة والبغضاء بين أفراد الأمة ، مما يكون سببا في تفكك المجتمع وانهيار العلاقات بين أفراده ، إضافة إلى ذلك ما يترتب عليه من الأمراض الاقتصادية والاجتماعية، مثل البطالة والتضخم والكساد والرشوة والمحسوبية والنفاق والسرقة والغش ، لذلك قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ يَحْتَكِرُ إِلاَّ خَاطِئٌ) ، (والخاطئ هو الآثم).

وليعلم المحتكر والمستغل أن الربح الزائد الذي يجنيه ويتحصل عليه من احتكاره واستغلاله حرام شرعا ، قال تعالى:{وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}،بالإضافة إلى أنه جلب لنفسه اللعنة والطرد من رحمة الله (عز وجل) ، وبرئت منه ذمة الله ورسوله وتوعده الله بالعقاب الأليم فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ) .

إنّ المؤمنَ الحق هو من يراعي حقوق العباد في بيعه وشرائه ، لتكون تجارته نافعة ، ومكسبه طيب حلال ، فيسعَد في دنياه وآخرته، أمَّا الأساليب الخبيثة في البيع والشراء ، فحري بكل مسلم أن يترفّع عنها طاعةً لربّه ، وصيانة لعرضه ودينه ، ومحافظة على أموال المسلمين وبُعدًا عن كلّ ما يضرّه في دينه ودنياه.

* * *

العمل التطوعي ... أهميته وضوابطه

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : {فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ} ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فإن من أهم سِمات المُجتمعات الراقية أن تكون مترابطة، متماسكة في بنيانها ، يشد بعضها بعضًا ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ)، فالمُجتمع القوي هو ما يكون كالبنيان الواحد في ترابُطه وتعاونه ، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى). فعند الشدائد تظهر معادن الرجال ، ونحن في حاجة إلى التعاون والتكافل والتكامل والعمل التطوعي أكثر من أي وقت مضى.

ولا شك أن قضاء حوائج الناس باب واسع من أبواب الفضل ، لما فيه من تقويةٍ لروابط الأخوة وتنمية للألفة والمحبة بين الناس ، يقول سبحانه: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أن النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنَ اعْتِكَافِهِ عَشْرَ سِنِينَ ، وَمَنِ اعْتَكَفَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ، جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ ثَلَاثَة خَنَادِقَ كُلُّ خَنْدَقٍ أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ الخَافِقَيْنِ) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم):

(الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

والمتأمل في ديننا الإسلامي الحنيف يجد أنه دين يأمر بكل ما فيه صلاح الفرد والمجتمع ، فحثَّ على العمل التطوعي ، ودعا أتباعه إلى فعل الخير ، والتسابق إليه ، والمسارعة فيه ، بعيدًا عن الفردية أو الأنانية أو السلبية ، يقول الحق سبحانه:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، ويقول (عز وجل): {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا}،كما حث على نفع الناس، وقضاء حوائجهم، والسعي إلى تفريج كرباتهم، يقول سبحانه:{لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}. ويقول (عز وجل) في صفات المؤمنين:{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}.

وقد أرشدنا النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى أهمية العمل التطوعي وبين مكانته بدعوة صريحة إلى بذل الفضل الذي يأتي بالخير والذي يعود نفعه على الإنسان ، فيقول (صلى الله عليه وسلم): (يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّك إِنْ تَبْذُلِ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَك وَإِنْ تُمْسِكْهُ شَرٌّ لَك وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى) ، وكان (صلى

الله عليه وسلم) يحرص على متابعة أصحابه في فعل الخير ، وخدمة الناس والسعي في مصالحهم ، وقضاء حوائجهم فيسأل عمن فعل واستجاب وعمن حرص واقتدى ، فقَالَ (صلى الله عليه وسلم) ذَاتَ يَوْمٍ: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا). قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رضى الله عنه) : أَنَا. قَالَ : (فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً). قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: (فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا). قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا. قَالَ: (فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا). قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم):(مَا اجْتَمَعْنَ في امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ).

فالعمل التطوعي يرفع عن الناس تعب الحياة ويفرج كربهم، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ...)، ولما سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحبّ إلى الله (عز وجل)؟ قال (صلى الله عليه وسلم) : (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ تُطْرِدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلِأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ (يعني المسجد النبوي) شَهْرًا ...).

ولا يقتصر الأمر على التطوع بالمال وحده ، وإنما يتعدى إلى

مجالات متنوعة ، منها : السعي على الضعفاء والمحتاجين كالأرامل والمساكين واليتامى وغيرهم، يقول النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْل الصَّائِمِ النَّهَار).

ومنها : **المنافسة في الخيرات** ، ولو تأملنا حياة الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) لوجدناها زاخرة بالبذل والعطاء وفعل الخير والتضحية في سبيل الله ، بل إنهم ضربوا أروع الأمثلة في ذلك ، فقد كانوا يسارعون ويتنافسون في هذا المجال ، فها هو عُمَر بْن الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) يقول: (أَمَرَنَا رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم): (مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟) قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) : (مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟) قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا).

وقد كان عمر (رضي الله عنه) يتعاهد الأرامل فيسقي لهن الماء بالليل ، ورآه طلحة يدخل بيت امرأة بالليل، فدخل إليها نهارًا فإذا هي عجوز عمياء مقعدة فسألها: ما يصنع هذا الرجل عندكِ ؟ قالت: هذا له منذ كذا وكذا يتعاهدني يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى ، فقال طلحة لنفسه: ثكلتك أمك يا طلحة! عثرات عمر تتبع!!.

ولا ننسى موقف الخليفة الراشد سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه)

وعمله التطوعي بتجهيز جيش العسرة ، وشراء بئر رومة ، وذلك حين قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (مَن يحْفِرُ بئرَ رُومَةَ فلهُ الجنةُ)، فحَفَرَها عثمانُ. وقالَ : (مَن جَهزَ جيشَ العُسْرَةِ فلهُ الجنةُ)، فجهَّزَهُ عثمانُ (رضي الله عنه)، ولكل عصر أمة ورجال.

إن العمل التطوعي دليل على الإيجابية التي يجب على المسلم أن يتحلى بها، والتي تعني الشعور بالمسئولية والمشاركة الفاعلة في المجتمع بالتوجيه والإصلاح والارتقاء بالفرد والوطن ، ومن ثم يتحقق فيه قول الله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

إن دروب العمل التطوعي كثيرة ، تشمل جميع مناحي الحياة من إطعام الجائعِ وكساء العاري ، وتعليم الجاهل ، وإنظار المعسر ، وإعانة العاجز ، وقضاء حوائج ذوي الاحتياجات الخاصة ، والحفاظ على المرافق العامة للدولة والإسهام في صيانتها ، كل ذلك تطوع بالخير وتكافلٌ في المنافع وتضامنٌ في التخفيف من المتاعب ، وتأتي مجالات الرعاية الاجتماعية والصحة والتعليم في مقدمة مجالات العمل التطوعي التي ينبغي أن تنال رعايتنا واهتمامنا . فما أحوجنا اليوم إلى قلوبٍ سليمةٍ منفتحة على كلِّ أبوابِ الخير، واعية بحقِّ ربِّها عالمة بحقوقِ من حولها ، في حاجةٍ إلى أن نتآلف من أجل أن نعيش إخوة متحابين آمنين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام : إن الإسهام في خدمة المجتمع بالعمل التطوعي وخاصة وقت الأزمات والشدائد والمحن له أجر كبير عند الله سبحانه وتعالى ، حيث وعد سبحانه وتعالى أهل الإيمان المسارعين إلى فعل الخيرات بجنة عرضها السموات والأرض ، فقال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}.

وللعمل التطوعي عدة ضوابط لابد منها حتى تتحقق ثمرته، ومنها :

إخلاص العمل لله (**عز وجل**) وهذا ما أمر الله به رسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حيث قال : {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}. فلابد وأن يكون العمل التطوعي خالصًا متقنًا ، لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، وإخلاص العمل لا يكون إلا بإتقانه ، بحيث لا يوظف العمل التطوعي لمكاسب سياسية أو حزبية أو طائفية ، أو لصالح جماعة أو أية مصالح خاصة على نحو ما تفعل بعض الجماعات التي تتاجر بدين الله وبحوائج الناس.

ومن ثمَّ فلا ينبغي أن يصاحب العمل التطوعي أو يتبعه مَنٌّ ولا أذى

سواء أنفق من المال أم الجهد ، يقول سبحانه:{الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواُ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}.

أن يكون العمل قائمًا على مرضاة الله (عزّ وجلّ) وخدمة المجتمع نافعًا محققًا العفاف والكفاف لأفراد المجتمع.

أن يكون العمل وفق الأطر القانونية المشروعة حفاظًا عليه من المتلاعبين والمستغلين وأصحاب الأغراض.

وبهذا يحقق العمل التطوعي التكافل والتكامل بين أفراد المجتمع ، ومن ثمَّ فلا ينبغي أن يتوانى الإنسان في العمل التطوعي وفي فعل الخير الذي يعود بالنفع على الناس ، بل ولا يحتقر أي صنيع من صنائع المعروف حتى ولو كان قليلا أو صغيرًا فله فيه أجر ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ).

نسأل الله العظيم أن يوفقنا لكل ما يحبه ويرضاه ، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا.

* * *

التعليم ضرورة شرعية ووطنية

الحمد لله ربِّ العالمين ، القائلِ في كتابه الكريم :{وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فقد اهتم الإسلام بالعلم اهتمامًا بالغًا ، فجعله حياة للقلوب ونورًا للعقول ، به تبنى الأمم والحضارات ، وبه يرتفع شأن البلاد والعباد ، وبه يقضى على التخلف والجهل.

وإن التعليم الذي نريده هو التعليم الجاد الذي يرقى بالفرد والمجتمع وينهض بالدول والأمم ، ويحقق لأبنائها أسباب التقدم والرقي ، فقد دعا الإسلام إلى العلم ، وحثَّ عليه ورغَّب فيه ، وبين مكانة أهله وأعلى من قدرهم ؛ حيث بدأت رسالة النبي (صلى الله عليه وسلم) بالأمر به في قوله تعالى :{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}، ويقول الحق سبحانه:{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ} .

ولبيان منزلة العلم ومكانته وأهميته قدّمه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على العمل في قوله : (وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ).

وقد رغَّب النبي (صلى الله عليه وسلم) في طلب العلم ، فقال: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ).

والعلم الذي فرض الإسلام تحصيله هو كل علم يأخذ بأيدينا إلى الفهم الصحيح لديننا والرقي بأخلاقنا ، وإلى التقدم في جميع مجالات الحياة ويعلي من شأن الأمة والمجتمع ؛ لذا قال نبينا (صلى الله عليه وسلم): (من سلك طريقًا يطلُب فيه علمًا) فجاءت كلمة (علمًا) نكرة لتفيد العموم وتشمل جميع أنواع العلم.

ومن ثمَّ فإن النهوضَ بالتعليم والعمل على تطويره ضرورة شرعية ووطنية ، فإذا أردنا أن نعيد للأمة مجدها ومكانتها، فلنعط العلم والتعليم حقه ، ونعمل على توفير المناخ المناسب والمتطلبات الضرورية للنهوض به ؛ سبيلا للتقدم ، ورفعة للوطن ، على أن ذلك كله إنما هو مسئولية مشتركة بين الأسرة والمدرسة والمعلم والمجتمع بمثقفيه ومؤسساته الرسمية والأهلية.

أما عن دور الأسرة في النهوض بالتعليم فلا شك أن لها دورًا كبيرًا في النهوض بالتعليم بتحمل المسئولية وغرس القيم التربوية ، والسلوكية في الأبناء ، والحرص على التعليم الجاد النافع لا مجرد تخطي السنوات أو الحصول على الشهادات حتى لو كان ذلك بطرق غير مشروعة ، دون أن تدري بعض الأسر التي قد تشجع أبناءها على الغش أو التفلت الدراسي أنها تدمر أخلاقهم وسلوكهم ومستقبلهم في آن واحد ، فالأسرة هي الركيزة الأولى في تكوين شخصية الإنسان منذ صغره ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (كُلُّكم رَاعٍ وكلكم مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ : الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ

وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ).

ولقد حذَّر النبي (صلى الله عليه وسلم) من التهاون والتقصير في حق الأبناء بما يصدر للمجتمع عضوًا غير فاعل ولا منتج ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (كَفَى بِالمَرْءِ إِثْمَاً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ).

وحتى تُنْتِجَ الأسرةُ جيلًا يُعتد به ويُعتمد عليه ، فلا بد وأن تهيئ له المناخ المناسب للتعليم وتحصيل العلوم والمعارف ، والتفوق الدراسي وتنمية القدرات والمهارات .

وأما المدرسة فيأتي دورها متسقًا مع دور الأسرة ومكملًا لها ، فهي ليست مجرد مبنى يضم بعض الطلاب والمعلمين ، بل هي في حقيقة أمرها مؤسسة اجتماعية وتربوية وتعليمية ، فهي مدرسة مبنى ومعنى بكل ما تحتويه الكلمة من معانٍ ؛ حيث تقوم بتنشئة الأجيال في مراحل التعليم المختلفة ، ليس على العلم وحده ، بل على العلم مع غرس القيم والأخلاق والسلوك ، فالمدرسة نظام ، والمدرسة تربية وثقافة والمدرسة وعي وحضارة .

على أن هذه المعاني السامية يمكن أن تضيع إذا تحول التعليم من مساره الفكري والتربوي إلى مجرد حشو وتلقين.

وأما عن دور المناهج التعليمية في النهوض بالتعليم وإصلاحه فلا شك أن لها دورًا عظيمًا في تشكيل عقلية النشء وثقافته الواسعة في

شتى العلوم والفنون والمهارات والآداب ، ومن هنا تأتي أهمية التحديث الدائم للمناهج بما يواكب روح العصر ومستجداته ويهدف إلى إصلاح الفرد والمجتمع ، بما تشتمل عليه من المفاهيم والمبادئ والقيم العامة والعلوم والمعارف الأساسية التي تنتج طالبًا نافعًا لنفسه ومجتمعه ووطنه كما يجب أن تهدف المناهج إلى تقويم الجانب السلوكي والأخلاقي والفكري والمهاري لدى النشء والشباب ؛ وقاية من الأفكار الهدامة والدعوات المضللة.

وأما عن المعلم فهو صاحب رسالة مقدسة ، يقوم من خلالها بتربية الأجيال ، ونشر المعارف والعلوم ، فهو رائد الفكر ، ووريث الأنبياء حيث قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (إنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء ، وإن الأنبياءَ لم يُورِّثُوا ديناراً ولا دِرْهماً ، ورَّثُوا العِلْمَ).

فالمعلم قدوة لطلابه ينبغي أن يكون حسن الخلق، منضبطًا في قوله وفعله ، وأن يهتم بطلابه سلوكيًّا ، وفكريًّا ، وثقافيًّا ، فقد روي عن عمر (رضي الله عنه) قال: (تفقهوا قبل أن تَسُودُوا)، وعليه أن يعلم طلابه معنى الانضباط والنظام وأهميتهما في تحصيل العلم حتى يحقق العلم غايته وأن يجتهد في أدائه رسالته العلمية والمهنية على الوجه الأكمل. هذا هو المعلم الذي يقول في شأنه شاعر العربية الكبير أحمد شوقي:

قُمْ للمعلّمِ وَفِّهِ التبجيلا *** كادَ المعلّمُ أن يكونَ رسولاً

ولأن التعليم ضرورة شرعية ووطنية ، فلا بد فيه من تعاون مؤسسي فليس الأمر مقتصرًا على الأسرة والمدرسة فحسب بل هو مسئولية مجتمعية

متكاملة أن يكون للمجتمع المدني ورجال الأعمال الوطنيين المخلصين دور هام في ذلك .

ومن بين الأدوار التي يسهم بها المجتمع المدني في نهضة التعليم: الإسهام في بناء المدارس وصيانتها ، ومساعدة الطلاب الفقراء ماديًّا واجتماعيًّا وعلميًّا ، وخاصة في المناطق الأكثر فقرًا والأشد احتياجًا .

فالمجتمع المدني الواعي هو الذي يسير بأجهزته ومؤسساته المختلفة وعلمائه ومثقفيه في اتجاه صناعة النهضة العلمية ؛ ليخرج أجيالًا تجمع العلوم والمعارف بطرق شتى وصحيحة ، تسهم في صناعة مجد الأمة ورقيها ، وقد أكدنا وما زلنا نؤكد أن نهضة التعليم ضرورة شرعية ووطنية ، وأن الإسهام في بناء المدارس وصيانتها ورعاية الطلاب الفقراء أولى مائة مرة ومرة من تكرار الحج والعمرة ، وفقه الأولويات يجعل الإنفاق على التعليم والصحة في مقدمة أبواب الخير وأولى الأولويات التي ينبغي الإنفاق عليها والتصدق أو التبرع لها ، كما أن رعاية النوابغ والطلاب الفقراء تعد من فروض الكفايات ، لأننا لا يمكن أن نرقى بمجتمعنا إلا بالقضاء على الثالوث المدمر الجهل والفقر والمرض ولا شك أن القضاء على الجهل إنما هو أهم مفتاح للقضاء على الفقر والمرض ، يقول الشاعر :

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم *** لم يبن ملك على جهل وإقلال

مع تقديم العلم على المال

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

من أجل النهوض بالعملية التعليمية فلا بد من ثقافة المراقبة وتربية الضمير للقضاء على جميع الظواهر السلبية ومنها ظاهرة الغش ؛ حتى نؤسس أجيالاً تحمل راية التعليم ، والعمل ، والقيادة بأمانة وصدق ؛ لأنها لم تعرف للغش سبيلاً ، ولم يعرف الغش إليها سبيلاً ؛ لأنه داء قاتل للفرد والمجتمع ويكفي أن نذكر بحديث نبينا (صلى الله عليه وسلم) (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) كما أن هناك أمرًا يجب التنبه له وهو أهمية الانتظام في اليوم الدراسي فالانضباط المدرسي يعني إلى حد كبير الانضباط السلوكي والقدرة على التكيف مع سوق العمل بعد ذلك ، وأن التفلت عن الدراسة يُعَدُّ في الغالب الأعم انحرافًا عن السلوك القويم ، وعدم تهيئة الشخص التهيئة المناسبة للعمل الجماعي .

إنها رسالة نوجهها لكل من يسعى لتحقيق الخير لوطنه وأمته: احرصوا على نهضة التعليم وجودته ، فبذلك ينهض المجتمع ويرقى إلى مصاف الدول المتقدمة ، وبدون ذلك لن نتمكن من الوصول إلى الغايات أو تحقيق الرخاء .

نسأل الله (عزّ وجلّ) أن يرزقنا علمًا نافعًا وقلبًا خاشعًا وعملاً متقبلاً.

* * *

علـو الهـمة في خدمة الدين والوطن

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فإن من محاسن الأخلاق وطيب الصفات التي حثّ عليها ديننا الإسلامي الحنيف " علوّ الهمة وقوة العزيمة "، فهي سلم الرقي إلى الكمال في كل أبواب الخير ، من تحلى بها فاز برفع الدرجات في الدنيا والآخرة ، لذا دعانا إليها ديننا الحنيف ، قال تعالى :{وَسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّموات وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}، وعن رَبِيعَة بْن كَعْبٍ الأَسْلَمِي قَالَ : كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ ، فَقَالَ لِي : (سَلْ). فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ : (أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ). قُلْتُ : هُوَ ذَاكَ. قَالَ : (فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ) فما وصل السابقون إلى ما وصلوا إليه إلا بعلوِّ هممهم وقوة عزائمهم ، لذلك فإن الأمة اليوم في أمس الحاجة إلى المخلصين من أبنائها الذين يواصلون الليل بالنهار والسير بالسُرى يقومون على البذل والعطاء في سبيل ارتفاع شأن أمتهم وتقدم أوطانهم ويغيرون مجرى الحياة بعلو همتهم وقوة عزيمتهم.

ولله درُّ القائل:

على قدْرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ ... وتأتي على قدْرِ الكرامِ المكارمُ
فتعظُمُ في عين الصَّغيرِ صغارُها ... وتصغر في عين العظيمِ العظائمُ

إن عظيم الهمّة لا يرضى بالمرتبة السفلى أو المرتبة المتوسطة من معالي الأمور ، ولا تهدأ نفسه إلا بالمنزلة العالية ، بل تتحدى همته ما يراه مستحيلاً ، وينجز ما ينوء به أولو القوة ، ويقتحم الصعاب والأهوال يجود بالنفس والنفيس في سبيل تحصيل غايته ، وتحقيق بغيته ، لأنه يعلم أن المكارم منوطة بالمكاره ، وأن المصالح والخيرات ، واللذات والكمالات لا يُتوصل إليها إلا بالجهد والمشقة ، يقول أبو تمام:

بصُرْتَ بالرَّاحةِ الكُبرى فلمْ ترها ** تُنالُ إلاَّ على جسرٍ منَ التَّعبِ

ولولا الهمم العالية ما تقدمت الأمم ، ولا اخترعت المخترعات ولا ابتكرت الآلات ، ولا تقدمت البشرية ، فكيف كان يمكن أن يصل إلينا الإسلام لولا رجال جاهدوا وارتفعت همتهم وعلت عزيمتهم فاجتازوا العقبات وتخطوا الصعاب وتكبدوا المشاقّ حتى نشروا الخير في كل مكان؟! كيف كان يمكن أن يصل إلينا العلم والدين لولا أئمة علت همتهم فواصلوا الليل بالنهار يجمعون أطراف العلوم؟!

ولقد جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ما يحثُّ المؤمنين على رفع الهمة وارتياد معالي الأمور ، والتسابق في الخيرات والتحذير من سقوط الهمة والرضا بالدون.

فها هو القرآن الكريم يثني على أصحاب الهمم العالية وعلى رأسهم الأنبياء (عليهم السلام) وفي مقدمتهم نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)

حيث تجلت هممهم العالية في مثابرتهم ودعوتهم إلى الله (عز وجل) قال تعالى :{فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}.

وكذلك دعانا القرآن الكريم– أيضًا – إلى الهمة العالية والسعي نحو الأفضل ، والتسابق في الخيرات ، يقول تعالى:{.. فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} وقال تعالى:{سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}. ويقول تعالى:{ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ.}

إن الله (عز وجل) يحب أصحاب العزائم القوية والهمم العالية ويعينهم ويوفقهم ، ويُبغض أصحاب الهمم الضعيفة الذين يكتفون من كل شيء بأقله ، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ وَمَعَالِيَ الأَخْلاَقِ وَيَبْغَضُ سَفْسَافَهَا). وقد أُثِر عَنْ الفاروق عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّهُ قَالَ : «لَا تُصَغِّرَنَّ هِمَّتَكُمْ فَإِنِّي لَمْ أَرَ أَقْعَدَ عَنْ الْمَكْرُمَاتِ مِنْ صِغَرِ الْهِمَم

إنّ عظيم الهمّة لا يرضى بالمرتبة السّفلى أو المرتبة المتوسّطة من معالي الأمور ، ولا يهدأ إلّا حين يضع نفسه في أسمى منزلة وأقصى غاية ، ويعبّر عن هذا المعنى النّابغة الجعديّ بقوله:

بلغنا السّماء مَجْدُنَا وجُدُودُنَا ** وإنّا لنبغي فوق ذلك مظهرا

ويقول أبو فراس الحمداني :

وَنَحْنُ أُنَاسٌ لا تَوَسُّطَ عِنْدَنَا *** لَنَا الصّدرُ دُونَ العالَمينَ أو القَبرُ

فعلو الهمة دليل على كمال الرّجولة وكمال المروءة ، وهو خلق يوصل إلى محبّة اللّه ومحبّة النّاس ، ويحقّق الرّفاهية والسّعادة للأفراد والشّعوب ، ويثمر السعادة في الدّنيا والآخرة.

وفي السنة النبوية تربية للمؤمنين على السعي نحو الكمال وبلوغ القمم ومحاولة الوصول إلى الأفضل والأحسن ، ففي الصلاة : يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، فعَنْ أَبِى مَسْعُودٍ الأَنْصَارِىِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنْ كَانُوا في الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ ، فَإِنْ كَانُوا في السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً ، فَإِنْ كَانُوا في الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا ، وَلاَ يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِى سُلْطَانِهِ وَلاَ يَقْعُدْ فِى بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ) .

وفي قراءة القرآن الكريم: الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، فعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالَّذِى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ) .

وفي قصة مشروعية الأذان : حينما رأى عبد الله بن زيد (رضي الله عنه) الرؤيا ، قال له الرسول (صلى الله عليه وسلم): (أَلْقِهِ عَلَى بِلاَلٍ فَإِنَّهُ أَنْدَى مِنْكَ صَوْتًا ، فَلَمَّا أَذَّنَ بِلَالٌ نَدِمَ عَبْدُ اللهِ فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَأَقَامَ).

فالحرص على بلوغ الكمال في العمل قربة وطاعة لله (عز وجل) وإن لم ينتفع الإنسان بذلك في الدنيا لأنه فعل شيئًا يحبه الله تعالى فعَنْ عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ الْجَرْمِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي كُلَيْب أَنَّهُ شَهِدَ مَعَ أَبِيهِ جَنَازَةً شَهِدَهَا رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَأَنَا غُلَامٌ أَعْقِلُ وَأَفْهَمُ فَانْتَهَى بِالْجَنَازَةِ إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُمْكِن لَهَا، قَالَ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ : (سَوُّوا لَحْدَ هَذَا) حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ سُنَّةٌ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ: (أَمَا إِنَّ هَذَا لَا يَنْفَعُ الْمَيِّتَ وَلَا يَضُرُّهُ ، وَلَكِنَّ اللهَ يُحِبُّ مِنَ الْعَامِلِ إِذَا عَمِلَ أَنْ يُحْسِنَ) ، فها هو رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يأمر بالإتقان في أمر لا ينفع ولا يضر ، لكنه يريد أن يُربيَ المسلمين على الإجادة والإتقان، يريد تربية الشخصية المسلمة على تَلَمُّسِ طريق الكمال ، وابتغاء الأجر على ذلك من الله تعالى ، يقول سبحانه:{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.

وعلوّ الهمة خُلق يُورِدُ صاحبه موارد التّعب والعناء ، ولكن التّعب في سبيل الوصول إلى النّهاية من معالي الأمور يشبه الدّواء المرّ فيسيغه المريض كما يسيغ الشّراب عذبًا باردًا ، وعظيم الهمّة قد يشتدّ حرصه على الشّرف حتّى لا يكاد يشعر بما يلاقيه في سبيله من أنكاد وأكدار.

وهناك مجالات متنوعة ومتعددة تحتاج إلى علو همة العبد **منها:**

أولاً : العلم ، فالعلم أرفع مقام تطمح إليه الهمم ، وأشرف غاية تتسابق إليها الأمم ، تجعل الطّالب يقاسي الشدائد ، ويتحمل المتاعب ولا

يستهين بالشّدائد إلّا كبير الهمّة ماضي العزيمة ، فالعلم من أسباب علو الهمة ، يرفع صاحبه عن الدنايا ، ويلزمه معالي الأمور ، ولقد ضرب الصحابة الكرام (رضوان اللّه عليهم) المثل الأعلى في علوّ الهمّة وخاصة في طلب العلم ، وكان على رأسهم عمر بن الخطّاب ، وعبد اللّه بن عبّاس (رضي الله عنهم) ، فعمر بن الخطّاب (رضي اللّه عنه) كان يتناوب مع جار له من الأنصار النّزول إلى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وسلّم) يقول: (... فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ...) .

وها هو ابن عبّاس (رضي اللّه عنهما) يحدّث عن علوّ همّته في طلب العلم فيقول: (كَانَ يَبْلُغُنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ فَآتِي بَابَهُ وَهُوَ قَائِلٌ فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ يَسْفِي الرِّيحُ عَلَيَّ مِنَ التُّرَابِ فَيَخْرُجُ فَيَرَانِي) فَيَقُولُ: (يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَا جَاءَ بِكَ؟ هَلَّا أَرْسَلْتَ إِلَيَّ فَآتِيَكَ؟، فَأَقُولُ: لَا، أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيَكَ) .

لقد كان الواحد منهم يسافر الأسفار البعيدة من أجل تلقي مسألة من مسائل العلم ، يتحمّل في سبيل ذلك الفقر والفاقة دون أن تضعف همته فها هو عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) مع فضله وما تعلمه من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتمنى لو علم من الناس من هو أعلم منه ليرحل إليه ، يقول: (لَوْ أَعْلَمُ رَجُلا أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّه مِنِّي تَبْلُغُهُ الإِبِلُ لأَتَيْتُهُ) ، فكادت هممهم تبلغ السماء رفعةً ، لذا قادوا الدنيا وتصدروا الأمم.

إن مثل هؤلاء من أصحاب الهمم العالية هم الذين يُعَوَّلُ عليهم في حل المعضلات التي تعترض طريق الأوطان ، فهذا هو زيد بن ثابت (رضي الله عنه) الذي طلب منه النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) أن يتَعَلَّمَ لغة اليهود حتى يأمن شرهم ، فتعلمها في خمس عشرة ليلة ، فعَنْ خَارِجَةَ – يَعْنِى ابْنَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ – قَالَ: قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ (رضي الله عنه): أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَ يَهُود وَقَالَ : (إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي)، فَتَعَلَّمْتُهُ فَلَمْ يَمُرَّ بِي إِلاَّ نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى حَذَقْتُهُ فَكُنْتُ أَكْتُبُ لَهُ إِذَا كَتَبَ وَأَقْرَأُ لَهُ إِذَا كُتِبَ إِلَيْهِ).

ثانيًا : العبادة ، إذ إنها حق الله تعالى على العباد ، وحقوق الله عز وجل أولى بالقضاء ، وعلو الهمة في العبادة مجال رحب لقوة العزيمة والتسابق في الخيرات ، فالمؤمن عندما يقوى إيمانه يقبل على طاعة الله تعالى برغبة جامحة ، فيكثر من النوافل والقربات ، وقد تمرُّ به فترات فتضعف همته وتخور عزيمته ، فيقصِّر في أداء الواجبات.

وقد كان الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) يتعوذ بالله من العجز والكسل ، ويعلمنا علوّ الهمة ويرشدنا إلى أن نبتغي الدرجات العلا ولا نرضى بالقليل من أعمال العبادة والأجر الأخروي، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ – أُرَاهُ – فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تفجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ). فإذا أراد الإنسان الآخرة فليجتهد لها ، يقول تعالى: {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ

فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا * كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا * انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا}.

ولن نجد أفضل من رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ليكون قدوتنا وأسوتنا في علوّ همته في كل المجالات عامة ، ومجال العبادة خاصة ، فعلى الرغم من أن الله (عز وجل) غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، إلا أنه كان يقوم من الليل حتى تورمت قدماه ، وبلغ من همته (صلى الله عليه وسلم) في الجهاد ليعلي كلمة الدين ما يجعله يتمنى أن يقتل في سبيل الله ، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنَّ رِجَالًا مِنَ المُؤْمِنِينَ لاَ تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَلاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام : لقد فقه الصّحابة (رضي الله عنهم) عن اللّه أمره وتدبّروا في حقيقة الدّنيا فاستوحشوا من فتنتها وتجافت جنوبهم عن

مضاجعها ، وارتفعت همّتهم عن سفاسفها ، فلا تراهم إلّا صوّامين قوّامين وقد حفلت تراجمهم بأخبار زاخرة تشيد بعلوّ همّتهم في التّوبة والاستقامة ، وقوّة عزيمتهم في العبادة والإخبات.

ثالثًا : العلم والسعي نحو تقدم الأمة ورفعة الوطن ، إنه مجال عظيم لا ينبغي للمسلم التقصيرَ فيه ، فمن علامات التقدم والتحضر أن يصبح التنافس سمة بين الأفراد والفئات المجتمعية المتنوعة التي تهدف إلى خدمة الوطن ورقيه والاجتهاد في البذل والتضحية من أجل حمايته ورفعة الأمة ، أما عندما تتهاوى الهمم في ذلك وتضعف العزائم يحلّ بالأمة الضعف حتى تصير غنيمة لغيرها من الأمم ، وقد ضرب الصحابة (رضوان الله تعالى عليهم) مثلا أعلى في علو الهمة التي تسهم في خدمة المجتمع ، فعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ (رضي الله عنه) عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ (رضي الله عنه) يَقُولُ: " أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا ، فَقُلْتُ: اليَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا ، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟) قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ: (يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟) قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ : لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا".

إن التنافس الشريف يكشف عن معادن الناس وعلو نفوسهم وقوة عزائمهم ، كما يبين مواطن قصورهم ، فلا يستوي في الناس مبادرٌ إلى الخير ومتباطئ ، ومسابق في الخير ومتثاقل؟! يقول تعالى:{وَمَا لَكُمْ أَلَّا

تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

إن علو الهمة من الصفات التي ينبغي أن يتصف بها المؤمن الذي يريد الله عز وجل والدار الآخرة، فالمؤمن الصادق الحريص على الخير ، لا تراه إلا صاحب همة عالية ، ومن علو همته لا يعرف العجز ولا يألف الكسل ؛ فإن ضعف الهمة يترتب عليه آثار سلبية ، فهو كارثة للأمة ، وهو سبب ضياع قوتها ، وتفريق كلمتها ، وتمزيق وحدتها ، وتداعي الأمم عليها ونهب خيراتها ، وهو الأمر الذي حذر منه النبي (صلى الله عليه وسلم)، فعَنْ ثَوْبَانَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا) فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ، قَالَ : (بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ) ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ : (حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ).

وفي الختام هذه رسالة نوجهها إلى كل مسلم: أن يغرس في نفوس أبنائه منذ نعومة أظفارهم هذا الخلق الرّفيع ، وهذه القيمة العظمى (علوّ الهمّة) كي تؤتي ثمارها في المستقبل رجالا أشدّاء ، وجيلاً معافى في بدنه وعقله، ينهض بالأمّة ويقيلها من العثرات ، وحرّاسا للعقيدة والوطن مؤكدين على المشاركة الإيجابية في جميع مناحي الحياة ،

ومنها المشاركة الإيجابية في جميع الاستحقاقات الوطنية.

إن ضعف الهمم كارثة الكوارث على المجتمع ، بل وعلى الأمة بأسرها فأيقظ همتك وقَوِّ عزيمتك قبل أن ترحل عن الحياة وما بلغت فيها شأنًا وضع لنفسك هدفًا أن تكون كَفُلَانٍ من العظماء ، أو كَفُلَانٍ من العلماء ، أو كَفُلَانٍ من العُبَّاد الصالحين ، فبعلو الهمم تبنى الأمم ، وبضعف الهمم تسقط الأمم.

* * *

الانتماء للوطن وفضل الشهادة في سبيله

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه العزيز : {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ... أما بعد :

فإن حب الوطن والانتماء إليه قيمة إسلامية أصيلة ، فهو أغلى ما ينعم به الإنسان بعد الإيمان بالله ورسوله ، كما أنه فطرة جبلت عليها الطباع السليمة ، وأمر يوجبه الشرع الحنيف ، وتفرضه الوطنية المخلصة حيث سوى الله تعالى بين قتل النفس والإخراج من الديار في صعوبة كل منهما على النفس البشرية ، فقال تعالى: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ...}.

ولقد ضرب لنا النبي (صلى الله عليه وسلم) أروع الأمثلة في حب الوطن ، حيث قَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِمَكَّةَ : (مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلْدَةٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ أَخْرَجُونِي مَنك ما خرجت).

وكان (صلى الله عليه وسلم) يقلب وجهه في السماء رجاء أن يجعل الله قبلته إلى بيته الحرام بمكة المكرمة مسقط رأسه (صلى الله عليه وسلم) حيث يقول الحق سبحانه :{ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ...}.

إن الانتماء للوطن يوجب على أبنائه أن يعتزوا به ، وأن يتكاتفوا جميعا للحفاظ عليه ، وأن يُسهموا بقوة فِي نهضته بالعلم والعمل والإنتاج والمشاركة في الأعمال التطوعية التي تخدم المجتمع ، والمرابطة على ثغوره لتأمين حدوده ، وردع كل حاقد تسول له نفسه أن يعتدي على الوطن أو منشآته أو ممتلكاته ، وإن أدى ذلك إلى بذل النفس والمال لنيل الشهادة في سبيل الله دفاعًا عن الوطن أو ارتقاءً به.

لذا جعل الإسلام حراسة الأوطان والدفاع عنها واجبًا شرعيًا وضرورة وطنية وعدّها من أفضل الأعمال عند الله تعالى ، وقد بشر النبي (صلى الله عليه وسلم) حراس الوطن بأن النار لن تمس أجسادهم ، بقوله (صلى الله عليه وسلم): (عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ ، عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله) ، والعين هنا مراد بها الجسد كله ، غير أنه (صلى الله عليه وسلم) عبَّر بالعين كونها تحرس وتراقب .

وفي هذه الأيام المباركة تحتفل مصر وشعبها بذكرى من أعظم الذكريات ، هي ذكرى انتصار أكتوبر المجيدة ، وفيها لا بد أن نذكر شهداء مصر الأبرار الذين خاضوا معارك العزة والكرامة ، وبذلوا الغالي والنفيس ، بل بذلوا أرواحهم دفاعا عن أرضهم ، وعرضهم ، ووطنهم وسطروا أسمى معاني البطولة والفداء والتضحية بكل ما يملكون ، فنالوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة .

والشهادة تعني بذل النفس والمال نصرة لدين الله (عز وجل) ، ودفاعًا عن الوطن والأرض والعرض والمال ، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)

قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مالي؟ قَالَ: (فَلاَ تُعْطِهِ مَالَكَ) قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ : (قَاتِلْهُ) قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ : (فَأَنْتَ شَهِيدٌ) قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ ؟ قَالَ: (فَهُوَ فِي النَّارِ).

والشهادة تجعل صاحبها في صحبة الأنبياء والصديقين ، فقد جمع الله تعالى بين النبوة والشهادة في قوله تعالى:{ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} ليؤكد على فضل الشهادة ، ومكانة الشهداء عند الله (عز وجل) ، فهم أرفع الناس درجة بعد الأنبياء والصديقين ، وهم المصطفون باصطفاء الله لهم ، قال تعالى: {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ}، لذا وعدهم الله بحياة فوق إدراك البشر لا مثيل لها ، فهم في ذاكرة الأمة مخلدون وعند ربهم (عز وجل) أحياء يرزقون قال تعالى:{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}، أرواحهم في حواصل طيور خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة كيف شاءت ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ ، جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا ، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ ، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا أَنَّا أَحْيَاءُ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ ، لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ ، وَلَا يَنْكُلُوا عَنِ الْحَرْبِ ؟ فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ، وَأَنْزَلَ

اللَّهُ{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}.

فهنيئا لرجال مصر الأوفياء وشهدائنا الأبرار خاصة الذين أحيوا في شعب مصر روح الكرامة والمروءة والعزة ، واستطاعوا أن يحفظوا لمصر مكانتها وهيبتها بين الأمم والبلاد ، والذين ما زالوا يبذلون نفوسهم في سبيل هذا الوطن لمواجهة الإرهاب الأسود الغاشم ، والجماعات التكفيرية الضالة المضلة .

إن فضل الشهادة في سبيل الله ، والرغبة فيما عند الله هو الذي جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول لأصحابه في غزوة بدر : (قوموا إلى جنَّةٍ عرضُها السَّمَواتُ والأرضُ..)،كما جعل حنظلة (رضي الله عنه) يطلب الشهادة ليلة عرسه فينالها فيلقب بغسيل الملائكة ، ولن ينسى المسلمون موقف أنس بن النضر (رضي الله عنه) في غزوة أحد ، وخالد بن الوليد في غزوة مؤته ، وعمرو بن الجموح وغيرهم من الصحابة والتابعين .

إنهم أصحاب الصفقة الرابحة مع الله تعالى:{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ} ، فهم الذين تاجروا مع الله بأنفسهم وأموالهم ، فوعدهم الله جنة عرضها السموات والأرض فقال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} فالسِّلعة أرواحهم ودماؤهم، والثمن هو الجنة ، إنها ليست جنة واحدة وإنما هي جنان ، حيث قَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لأم حارثة حين

استشهد ولدها في غزوة بدر: (يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى).

إن فضل الشهادة في سبيل الله جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) يتمنى أن لا يتخلف عن سرية ، وأنْ يُقتَل في سبيل الله مرات عديدة فقال (صلى الله عليه وسلم) : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنَّ رِجَالاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لاَ تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي ، وَلاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ)، وهو ما يجعل الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا لينال الشهادة في سبيل الله عدة مرات ، يقول: (صلى الله عليه وسلم): (مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرُ الشَّهِيدِ ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ) .

لأجل ذلك أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الشهيد لا ينقطع عمله الصالح ، بل يزيدُ ويتضاعف ويأمن من فتنة القبر ، قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلاَّ الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام : لقد بشر النبي (صلى الله عليه وسلم) الشهداء ببشارات عظيمة تؤكد على فضل الشهادة في سبيل الله وترغب فيها ، منها قوله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ): (لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ ، اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ).

ومنها أن الشهداء يدخلون الجنة مع أول من يدخلونها بغير حساب ولا سابقة عذاب ، فعن عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما) قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (...إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْعُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْجَنَّةَ ، فَتَأْتِي بِزُخْرُفِهَا وَرِيِّهَا فَيَقُولُ : أَيْنَ عِبَادِيَ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقُتِلُوا فِي سَبِيلِي ، وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِي ، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ، فَيَدْخُلُونَهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَلَا عَذَابٍ فَتَأْتِي الْمَلَائِكَةُ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا نَحْنُ نُسَبِّحُ لَكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، وَنُقَدِّسُ لَكَ مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آثَرْتَهُمْ عَلَيْنَا ؟ فَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِي ، وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي، فَتَدْخُلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ كُلِّ بَابٍ {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ}.

* * *

الإسراء والمعراج دروس وعبر

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز :{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فإن معجزة الإسراء والمعراج بسيد الخلق (صلى الله عليه وسلم) من أجَلِّ المعجزات وأعظم الآيات التى أكرم بها الحق سبحانه وتعالى نبيه ومصطفاه محمدًا (صلى الله عليه وسلم) فلم تكن هذه الرحلة المباركة حدثًا عاديًّا ، بل كانت تكريمًا إلهيًّا وعطاءً ربانيًّا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد أن أصابه من أذى المشركين ما أصابه ، فصبر وصابر وتحمل ما لا تتحمله الجبال الرواسي .

ولعظم هذه المعجزة سجلها رب العزة وخلدها بقرآن يتلى آناء الليل وأطراف النهار إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فعن معجزة الإسراء يقول تعالى في صدر سورة الإسراء : {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، وعن معجزة المعراج يقول تعالى في صدر سورة النجم:{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى* ذُو

مِرَّةٍ فَاسْتَوَى* وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى* فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى* مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}، وقال تعالى: { وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاس}.

وتواترت الأحاديث الشريفة التي تتحدث عن هذه المعجزة المباركة ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ – وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ – قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ – قَالَ – فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِى يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ – قَالَ – ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ..... فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلاَةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ:

فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّى فَقُلْتُ يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِى. فَحَطَّ عَنِّى خَمْسًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّى خَمْسًا. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّى تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً ،... قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى (صلى الله عليه وسلم) فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّى حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ) .

إنها معجزة وإن مضى وقتها وانقضى زمانها فهي باقية الأثر دائمة الذكر بدوام القرآن وبقائه ، والإيمان بهذه المعجزة جزء من الإيمان برسالة أفضل الخلق (صلى الله عليه وسلم).

وستظل هذه المعجزة يقف أمامها العقل البشري عاجزًا ، لأنها لا تخضع للقوانين الطبيعية التي نعرفها ، إنما تتعلق بالقوانين الإلهية .

ولقد اشتملت هذه الرحلة النبوية المباركة على معان كثيرة ، ودروس عظيمة ، منها:

أن المحن تتبعها المنح ، وأن النصر مع الصبر ، والعاقبة دائمًا وأبدًا للمتقين ، فكل محنة وشدة وراءها منحة وعطاء وتكريم من الله ، فبعد المحن والشدائد التي تعرض لها النبي (صلى الله عليه وسلم) في مكة قبيل الإسراء والمعراج جاءت رحلة التكريم لتثبيت قلب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولكي يزداد إيمانًا ويقينًا وثقةً في أن الله عز وجل

لا يتخلى عن عباده المؤمنين. جاءت معجزة الإسراء والمعراج في وقت فَقَدَ فيه الرسول (صلى الله عليه وسلم) الناصر من الأهل والعشيرة ، فقَدَ أمَّ المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) التي كانت بمثابة النصير الداخلي ، فكانت تخفف عنه (صلى الله عليه وسلم) ما يلاقيه من صناديد الكفر ، وأيضًا كان أبو طالب عمّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يدفع عنه الأذى بعلو مكانته بين القبائل ورفعة شأنه ، فكان بمثابة النصير الخارجي في التخفيف عنه (صلى الله عليه وسلم) خارج البيت .

وفي عام واحد تنقطع هذه الأسباب برسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسمي هذا العام بعام الحزن ، حيث فَقَدَ فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من يهوّن عليه المصاعب ويخفف عنه الآلام ، فاشتد الأذى برسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولاقى من أهل مكة ما لاقى وفي وسط هذه الظروف العصيبة والمحن القاسية وجفاوة من أهل مكة تجاه سيد الخلق تتجلى عناية الحق منادية : أقبل إلى العلا يا سيد الخلق ، إن كان قد جفاك أهل الأرض فقد حباك أهل السماء ، إن كان قد أعرض عنك أهل الشقاء فقد فرح بك أهل النقاء ، فجاءت معجزة الإسراء والمعراج تفريجًا للكرب ، وشرحًا للصدر ، وتسرية عن الرسول الأكرم (صلي الله عليه وسلم)، وتكريمًا له ولأمته.

جاءت رحلة الإسراء والمعراج على موعد من رب العالمين ليختار سيدنا محمدًا (صلى الله عليه وسلم) دون سائر الخلق ليكرمه على

صبره وجهاده وتحمله المحن ، وليخاطبه دون واسطة ومن غير حجاب وليطلعه على عوالم الغيب ، وهذه نعمة عظيمة ومنحة كريمة ما وراءها منحة، وهذا درسٌ عظيم لكل مسلم يتعرض لشدة أو تصيبه محنة أو كرب فإذا صبر وتحمل الشدائد فلا شك أن الله سيكرمه بالعطاءات الإلهية والمنح الربانية ، وإن كل محنة وراءها منحة فلنصبر ولنحتسب ولنتق الله إذا تعرضنا لمحنة أو شدة في حياتنا ، فالمحن يخرج من أرحامها المنح.

ومن الدروس المستفادة من هذه الرحلة المباركة: **أهمية الثبات على المبدأ**: فالثبات على المبدأ هو مقام النبيين والمرسلين والشهداء والصالحين ، وهو نعمة إلهية وعطية ربانية يمن الله تعالى بها على قلوب أحبابه ، قال تعالى لحبيبه (صلى الله عليه وسلم) ممتنا عليه بنعمة الثبات على المبدأ : {وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً}.

ويتجلى لنا هذا الدرس عمليًّا من خلال هذا المشهد الذي رآه النبي (صلى الله عليه وسلم) ليلة الإسراء والمعراج ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِرَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَقَالَ: هَذِهِ مَاشِطَةُ بِنْتِ فِرْعَوْنَ، كَانَتْ تَمْشُطُهَا فَوَقَعَ الْمُشْطُ مِنْ يَدِهَا فَقَالَتْ: بِسْمِ اللَّهِ فَقَالَتْ بِنْتُ فِرْعَوْنَ: أَبِي؟ قَالَتْ: رَبِّي وَرَبُّكِ وَرَبُّ أَبِيكِ، قَالَتْ: أَقُولُ لَهُ؟ قَالَتْ: قُولِي، فَقَالَتْ: فَقَالَ لَهَا: أَلَكِ مِنْ رَبٍّ غَيْرِي؟ قَالَتْ: رَبِّي وَرَبُّكَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ ، قَالَتْ: فَأَحْمَى لَهَا نُقْرَةً مِنْ نُحَاسٍ ، وَقَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، قَالَ: وَمَا حَاجَتُكِ؟ قَالَتْ: حَاجَتِي أَنْ تَجْمَعَ بَيْنَ عِظَامِي وَبَيْنَ عِظَامِ وَلَدِي ، قَالَ: ذَلِكَ لَكِ لما لَكِ عَلَيْنَا مِنَ الْحَقِّ ، فَأَلْقَى وَلَدَهَا

فِي النُّقْرَةِ وَاحِدًا فَوَاحِدًا ، وَكَانَ آخِرَهُمْ صَبِيٌّ فَقَالَ: يَا أُمَّتَاهُ اثْبُتِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ)، فالمرأة المؤمنة الصابرة الصامدة ثبتت على المبدأ ولم تتنازل عن إيمانها بالله عز وجل رغم التضحيات التي اضطرت إليها ، إلا أنها اختارت ما عند الله ، ألا وإن سلعة الله غالية ألا وإن سلعة الله هي الجنة.

وهذا هو سيدنا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) يعلمنا أيضًا أن الثبات على المبدأ هو عز كل مسلم وعنوان إيمانه الصادق بالله عز وجل فقد كانت له (رضي الله عنه) مكانة كبيرة بين أهل مكة وأرادوا أن يوقعوا بينه وبين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فذهبوا إليه يحدثونه عن زعم صاحبه أنه ذهب إلى بيت المقدس وعاد في هذه الليلة ، ظانِّين أنه سيرد هذا القول ولا يصدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيه ، غير أنه فاجأهم بإيمانه الراسخ رسوخ الجبال ، فعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) قَالَتْ: (لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ ممَّنْ كَانَ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَعَوا بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: أَوَ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوَ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ فَلِذَلِكَ سُمِيَّ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ).

إن موقف الصديق (رضي الله عنه) وثباته على المبدأ ونصرته لصديقه في الحق عند الأزمات فيه رسالة لكل مسلم أن يسارع إلى مساندة أخيه في أزمته أو شدته ، فليسرع إلى مساندته وتأييده ويسعى بكل ما يملك من قوة في رفع هذه الشدة عنه ، وعند المحن والشدائد يظهر العدوّ من الصديق الصادق ، وكما قالوا في الحكمة : (إن الصديق من صَدَقَك ، وليس من صَدَّقك).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

من الدروس المستفادة من الإسراء والمعراج: ما تجلى من مظاهر الحب بين جميع الأنبياء (عليهم السلام): فالأنبياء هم هداة الخلق إلى الحق ، إن تعددت شرائعهم فدينهم واحد ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى بنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعلَّاتٍ ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ).

ولقد تجلى هذا الترابط بينهم ليلة الإسراء والمعراج في أكثر من مشهد ، من هذه المشاهد: انتظارهم النبي (صلى الله عليه وسلم) في المسجد الأقصى ، وصلاتهم خلفه ، والترحيب به ، والدعاء له

ولأمته ، وانتظار بعضهم له (صلى الله عليه وسلم) في السموات العلى بل موقف الكليم موسى (عليه السلام) مع النبي (صلى الله عليه وسلم) في أمر مراجعته لربه في أمر الصلاة لأكبر دليل وأصدق برهان وأبهى حجة في حب النبيين لبعضهم البعض ، ولأن الجزاء من جنس العمل بادلهم النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) حبا بحب ، وودا بود ، وتواضعا بتواضع ، وكرما بكرم ، فنهى النبي (صلى الله عليه وسلم) عن تفضيله على الأنبياء رغم كونه سيد الكونين (صلى الله عليه وسلم) في أكثر من موضع ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَتَهُ، أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ، فَقَالَ: لاَ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى البَشَرِ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، وَقَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى البَشَرِ، وَالنَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بَيْنَ أَظْهُرِنَا ؟ فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَبَا القَاسِمِ ، إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، فَمَا بَالُ فُلاَنٍ لَطَمَ وَجْهِي، فَقَالَ: (لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ) فَذَكَرَهُ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: (لاَ تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيُصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالعَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَمْ بُعِثَ قَبْلِي) ، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ) .

وعَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (لاَ يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: (أَتْقَاهُمْ) قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: (فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ ابْنُ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ خَلِيلِ اللهِ) قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ : (فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا).

ومن الدروس المستفادة من الإسراء والمعراج: مكانة المسجد الأقصى ، فهو جزء لا يتجزأ من المقدسات الإسلامية ، وهو أولى القبلتين وثالث الحرمين، وأحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ (صلى الله عليه وسلم) وَالمَسْجِدِ الأَقْصَى) ، وهو المسجد الثاني الذي بني على الأرض ، والقبلة الأولى ، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: (الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ) قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: (الْمَسْجِدُ الأَقْصَى) قُلْتُ كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا قَالَ: (أَرْبَعُونَ سَنَةً) ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ) ، وهو أرض المحشر والمنشر ، فعَنْ مَيْمُونَةَ، مَوْلَاةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفْتِنَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ قَالَ: (أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ ائْتُوهُ فَصَلُّوا فِيهِ

فَإِنَّ صَلَاةً فِيهِ كَأَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ) قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَحَمَّلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: (فَتُهْدِي لَهُ زَيْتًا يُسْرَجُ فِيهِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ كَمَنْ أَتَاهُ).

مما يتطلب من المسلمين جميعًا أن يوحدوا صفوفهم ويجمعوا كلمتهم ، حتى يرد الله -تعالى - المسجد الأقصى إلينا ردًّا جميلاً .

* * *

فضائل شهر شعبان
وفضل العمل الصالح فيه

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فمن فضل الله تعالى ورحمته بعباده أن جعل لهم أوقاتًا يضاعف لهم فيها الأجر والثواب ، وجعل لهم مواسم يستكثرون فيها من الطاعات ويتزودون فيها بخير زادٍ ، عملاً بقول الله تعالى : {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ} ، وامتثالاً لقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ لِرَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ تُصِيبَهُ مِنْهَا نَفْحَةٌ لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا).

وها هي أيام الخير تتوالى ، وشهور النفحات والرحمات يتبع بعضها بعضا ، ونحن في هذه الأيام المباركة نعيش بين الحين والحين في مناسبات دينية توقظ النائم وتنبه الغافل ، وتهذب السلوك ، فبالأمس القريب احتفل المسلمون بذكرى الإسراء والمعراج ، تلك المعجزة التي اختص الله عز وجل بها سيد الخلق محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) ، وسجلها القرآن الكريم وخلد باسمها سورة من سوره تسمى بسورة الإسراء ، واليوم نعيش بين يدي شهر شعبان المكرم ، الذي يتشعب فيه الخير وتكثر فيه النفحات الإلهية ، والعطايا الربانية ، شهر جعله

الله تعـالى مقدمـة للخـير وبدايـة لموسـم الطاعـات والقربـات إلى رب العالمين.

وكلما هلَّ علينا شهر شعبان من كل عام يوقظنا مـن غفلتنـا ويحثنـا علـى المزيـد مـن الأعمـال الصـالحة إرضـاءً لـرب العـالمين وطلبًـا للثـواب والغفران ، فهـو شـهر يستجيب الله تعالى فيـه الـدعاء ، وتفتح فيـه أبـواب السماء ، وترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، فهو شهر عظيم كرمـه الله عز وجل ، وكرمه رسوله (صلى الله عليه وسلم).

فمـن تكـريم الله عـز وجـل لهـذا الشـهر العظـيم: نـزول الأمـر بالصلاة والسلام على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، حيـث نـزل فيـه قول الله تعالى : {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا صَلُّوا عَلَيْـهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}، فقـد قـال كـثير مـن العلمـاء والمفسـرين أن هذه الآية نزلت في شهر شعبان.

ولقـد وعـد الله (عـز وجـل) مـن يصـلي علـى عبـده ورسـوله سـيدنا محمـد (صـلى الله عليـه وسـلم) بـالخير الكـثير والثـواب الجزيـل، فعَـنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحَـطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ) ، زاد النسائي (ورُفِعَتْ له عَشْرُ دَرَجَاتٍ).

وفي صحيح مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما) أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُـوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْـهِ بِهَـا

عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ).

ومن تكريم الله تعالى لشهر شعبان: أن فرض فيه الصيام على أمة الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ، فقد فرض الصيام في شعبان من السنة الثانية للهجرة النبوية.

ومن تكريم الله تعالى لشهر شعبان : أن خصه سبحانه وتعالى برفع أعمال العباد إليه ، كما أخبرنا بذلك النبي (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) فالسعيد من يرفع عمله في صحيفة بيضاء نقية ، والشقي من حرم الأجر والثواب ورفع عمله مشحونا بالسيئات.

ومن تكريم الله تعالى لهذا الشهر الكريم: أنه سبحانه وتعالى يتفضل فيه بالعطاء على أهل الصفاء والنقاء الذين سلمت صدورهم من الغل والحقد فيغفر لهم ذنوبهم في ليلة النصف منه، فَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ (رضي الله عنه) أن رَسُول اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ، فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ ، إِلاَّ لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ).

وأما عن تكريم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لشهر شعبان فإن لهذا الشهر مكانة عظيمة ، ومنزلة رفيعة عنده (صلى الله عليه وسلم) فقد كان يخصه بمزيد من العبادة والطاعة ، والتقرب إلى الله عز وجل وكان يكثر فيه من الصيام ، مما لفت أنظار أصحابه (رضوان الله تعالى

عليهم) ، فسألوه عن سرِّ اهتمامه بهذا الشهر الكريم ، فعن أُسَامَة بْن زَيْدٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ: (ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ) .

وفي الصحيحين ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهَا) أَنَّهَا قَالَتْ : (كَانَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يُفْطِرُ وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يَصُومُ ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَامًا فِي شَعْبَانَ) (صحيح مسلم). وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهَا) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنَّهُ (لَمْ يَكُنْ يَصُومُ مِنَ السَّنَةِ شَهْرًا تَامًّا يُعْلَمُ إِلَّا شَعْبَانَ يَصِلُ بِهِ رَمَضَانَ).

فهذه الأحاديث وغيرها تجعلنا أمام إشارة من فعل المصطفى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وتنبهنا إلى التعرف على أسرار هذا الشهر الكريم وأسباب تكريمه واختصاصه بمزيد من العبادة والطاعة.

وإنما كان النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يفعل ذلك ليلفت أنظار المسلمين إلى العناية بهذا الشهر الكريم ، والإقبال على الله تعالى بالطاعات والمزيد من القربات ، ليكونوا على صلة دائمة بخالقهم عز وجل ، فإن العبد إذا تقرب إلى ربه شبرًا تقرب إليه ربه ذراعًا ، ففي صحيح البخاري ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً). والحق سبحانه وتعالى يقول: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}.

إذا ما نظرنا إلى فعل النبي (صلى الله عليه وسلم) وكثرة صيامه في شهر شعبان نجد أن السبب في ذلك يرجع إلى أمرين اثنين:

الأمر الأول : أن هذا الشهر يغفل الناس فيه عن عبادة الله عز وجل لأنه يقع بين شهرين عظيمين ، شهر رجب وهو من الأشهر الحرم التي يجتهد فيها الناس بالعبادة ، ويكثرون فيها من الطاعة ، وشهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ويخصه الناس بمزيد من العبادة والتقرب إلى الله تعالى ، فيغفل الناس عن شعبان لوقوعه بين هذين الشهرين ، وتفتر الهمم عن العمل ، فيقَصِّرُون في العبادة والطاعة ، فأراد النبي (صلى الله عليه وسلم) أن ينبه الناس إلى منزلة هذا الشهر الكريم ، وأن أفضل الذكر عندما يكون الناس في غفلة عن ربهم عز وجل ، وأعظم الطاعات عندما ينصرف الناس عن طاعة مولاهم ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ إِذَا لَقِيَ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِهِ، يَقُولُ: تَعَالَ نُؤْمِنْ بِرَبِّنَا سَاعَةً، فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِرَجُلٍ، فَغَضِبَ الرَّجُلُ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَرَى إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ

يُرَغِّبُ عَنْ إِيمَانِكَ إِلَى إِيمَانِ سَاعَةٍ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ رَوَاحَةَ، إِنَّهُ يُحِبُّ الْمَجَالِسَ الَّتِي تَتَبَاهَى بِهَا الْمَلَائِكَةُ) .

فالعبادة في وقت الغفلة أبعد ما تكون عن الرياء ، وأقرب للإخلاص وأدعى للقبول، وأعظم للأجر والثواب ، وتأتي عبادة الصوم على رأس العبادات لأنها سر بين العبد وربه ، ويعظم فضلها وقت غفلة الناس عنها لذلك يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنْ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا) (صحيح البخاري). وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْه) قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّوْمِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: (صَوْمُ شَعْبَانَ تَعْظِيمًا لِرَمَضَانَ).

الأمر الثاني: أنه شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، كما أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله: (وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ) .

ومن المعلوم أن أعمال العباد تعرض على الله تعالى كل يوم وليلة ففي صحيح مسلم ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ ، فَقَالَ: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ – وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ– لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ).

ثم تعرض عليه في كل اثنين وخميس ، كما في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

قَالَ: (تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا) ، ثم تعرض عليه سبحانه وتعالى أعمال السنة كلها عرضًا سنويًّا في شعبان ، كما في حديث أسامة بن زيد (رضي الله عنهما).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين. **إخوة الإسلام** :

لعلَّ الحكمة من رفع الأعمال في هذا الشهر خاصة ، أن شهر شعبان هو نهاية العام التشريعي من كل عام ، إذ إن بدء نزول القرآن الكريم كان في شهر رمضان ، وبه كان التكليف ، وبآياته شرعت الأحكام وعن طريقه عرف الحلال والحرام ، وبذلك يكون قد بدأ قلم التسجيل في رمضان وينتهي العام التشريعي في شعبان ، ومن ثمَّ ترفع الأعمال إلى الله رب العالمين ، فالسعيد من يرفع عمله وهو على طاعة وعبادة وعمل صالح لله عز وجل.

وإذا كان فعل النبي (صلى الله عليه وسلم) من كثرة صيامه وطاعته لله رب العالمين في شهر شعبان يحثنا على المزيد من العمل الصالح تقربًا إلى الله تعالى فإنه سبحانه وتعالى يأمرنا بالتقوى ويحثنا على مداومة طاعته ، ويدعو كل مؤمن إلى مراقبة نفسه ومراجعة حسناته

وسيئاته ، عسى أن يتزود المحسن من الطاعات ، ويتدارك المسيء ما مضى وفات ، فيقول سبحانه: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ}.

جدير بالذكر أن العمل الصالح هو البرهان على صدق إيمان العبد بربه ، لهذا كان مقترنًا به في كثير من الآيات الكريمة ، ولقد ساق لنا القرآن الكريم ، ألوانًا من البشارات التي بشر الله بها عباده الذين جمعوا بين الإيمان الصادق والعمل الصالح، فقال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا}. فتارة يبشرهم بالجنات التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيقول سبحانه:{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}، وقوله :{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} ، وقوله:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا}، إلى غير ذلك من الآيات.

وتارةً يبشرهم بالزيادة من فضل الله عز وجل ، فيقول تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ} . كما بشرهم القرآن بالهداية التي تجعل صاحبها يعيش في أمان

واطمئنان وسعادة، فيقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}.
فالعمل الصالح هو زاد الآخرة ، وهو سفينة النجاة ، وصاحبه من أفضل الناس عند الله تعالى ، يقول سبحانه : {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ} ، ونبينا (صلى الله عليه وسلم) حين سئل : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ ؟ قَالَ: مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ قِيلَ : فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ ؟ قَالَ: مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ).

فالإيمان بالله عز وجل والعمل الصالح هما سبب الفلاح في الدنيا والآخرة ، وبهما تنزل الرحمات ، وتحل البركات وترفع الدعوات وبهما تفرج الهموم والكربات ، قال تعالى : {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ، ويؤكد ذلك حديث الثلاثة الذين احتبسوا في الغار ، وما نجوا من هذا الموقف إلا بعد أن دعوا الله تعالى بصالح أعمالهم ، ففرج الله عنهم ما هم فيه.

فليسارع كل مسلم إلى الأعمال الصالحة وخاصة في أيام شهر شعبان ، وهي كثيرة ومتنوعة وأبوابها واسعة ، فمنها التوبة إلى الله عز وجل من الذنوب والآثام ، ومنها كثرة الصوم ، وصلة الرحم ، والعطف على اليتامى والمساكين ، والمحافظة على أموال الناس ودمائهم وأعراضهم ، وحسن الظن بالناس والثقة فيهم ، وغيرها من أعمال الخير والصلاح التي لا يقوم بها إلا أهل الخشية من الله الذين يؤمنون بآيات

الله وكلامه ، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}.

ولنعلم جميعا أن العمل الصالح كما يشمل العمل الديني من صلاة وصيام وزكاة وحج وغير ذلك من العبادات ، فإنه أيضًا يشمل العمل الدنيوي من زراعة وتجارة وصناعة وكل عمل نافع أحله الله عز وجل لعمارة الكون.

وبذلك يعد شهر شعبان مدرسة يمارس فيها المسلمون ألوان الطاعة علمًا وفقهًا وسلوكًا وخصوصًا ما يتعلق منها بالصيام والقيام ، حتى يكونوا مؤهلين للدخول في رمضان الذي يعد جامعة كبرى لألوان الطاعات كلها ، من صيام وقيام وصدقة وتسبيح وذكر وقرآن ، وحتى يستغلوا هذا الشهر في محو سيئاتهم وغفران ذنوبهم ليلقى المؤمن ربه بصحيفة بيضاء نقية.

شهر بهذا الخير والبركة حري على كل مسلم أن يسارع فيه بالأعمال الصالحة تقربا إلى الله (عز وجل) ، وأن يبادر فيه باغتنام أيامه الفاضلة ، وأن يقتدي بهدي النبي (صلى الله عليه وسلم) في شهر شعبان وليعلم أن العبادة في وقت غفلة الناس يحبها الله تعالى ويثيب عليها أكثر من غيرها.

* * *

استقبال شهر رمضان بالتكافل والتراحم

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

ففى هذه الأيام المباركة تستقبل الأمة الإسلامية شهرًا عظيمًا ، هو شهر رمضان المبارك ، شهر الخير والرحمة، واليمن والبركة ، شهر الجود والكرم ، شهر الصلة والبر ، شهر ألقى الله عز وجل محبته فى قلوب المؤمنين جميعًا ، شهر جعله الله تعالى موسمًا لمضاعفة الحسنات ، ورفع الدرجات ، ومحو الذنوب والسيئات ، يتزين الكون كله فرحا لمقدمه وتتهيأ فيه الجنة لاستقبال الصائمين ، وتتفتح فيه أبواب الجنان ، وتغلق فيه أبواب النيران ، شهر جعل الله صيام نهاره فريضة ، وقيام ليله سنة وتطوعًا ، قال سبحانه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنْ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.

إنه منحة ربانية تُسر به قلوب المؤمنين ، وتسعد به نفوس المتقين فضَّله الله (سبحانه وتعالى) على سائر الشهور ، وعظَّم أيامه ولياليه وتجلى فيه على الصائمين القائمين بالمنن والعطايا وغفران الذنوب ، فعن أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)، ومَنَحَهُم فيه من الأجر والفضل العظيم ما لم يمنحه في غيرهِ من الشُّهُور ، فأَوْكلَ عطاء الصائمين إلى نفسه ، فعن أبي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): (قَالَ اللَّهُ : كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إلاَّ الصِّيَامَ ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِى بِهِ ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْم أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إني امْرُؤٌ صَائِمٌ. والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَم الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيح الْمِسْكِ ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا ، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ ، وَإِذَا لقي رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ).

وقد أعطى الله عز وجل فيه للأمة المحمدية ما لم يعطه لنبي من الأنبياء ولا رسول من الرسل تفضلا منه سبحانه وتعالى وتكرما على الأمة المحمدية ، فعَنْ أَبِي نَضْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ (رضي الله عنهما) يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أُعْطِيَتْ أُمَّتِي فِي شَهْرِ رَمَضَانَ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي، أَمَّا وَاحِدَةٌ : فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ نَظَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ ، وَمَنْ نَظَرَ اللهُ إِلَيْهِ لَمْ يُعَذِّبْهُ أَبَدًا، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ : فَإِنَّ خُلُوفَ أَفْوَاهِهِمْ حِينَ يُمْسُونَ

أُطَيِّبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ : فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، وَأَمَّا الرَّابِعَةُ : فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُ جَنَّتَهُ فَيَقُولُ لَهَا : اسْتَعِدِّي وَتَزَيَّنِي لِعِبَادِي أَوْشَكَ أَنْ يَسْتَرِيحُوا مِنْ تَعَبِ الدُّنْيَا إِلَى دَارِي وَكَرَامَتِي ، وَأَمَّا الْخَامِسَةُ : فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ آخِرُ لَيْلَةٍ غَفَرَ لَهُمْ جَمِيعًا) فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟ فَقَالَ: (لَا ، أَلَمْ تَرَ إِلَى الْعُمَّالِ يَعْمَلُونَ فَإِذَا فَرَغُوا مِنْ أَعْمَالِهِمْ وُفُّوا أُجُورَهُمْ).

وهو شهر اختصه الله تعالى بفريضة الصيام ، تخليدًا لذكرى نزول القرآن الكريم فيه، يقول تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ..}.

وهو شهر يضم بين لياليه ليلة القدر ، ثواب العمل فيها خير من ألف شهر ، يقول تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}، فهي ليلة بركةٌ كلُّها ، يكثر نزول الملائكة فيها لكثرة بركتها وخيرها.

وَصَفَهُ النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) بالبركة ، فقَالَ مبشرًا أصحابه بما فيه من الخير : (قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ ، افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ).

ولقد حرص الرسول الكريم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على تهيئة أصحابه

نفسيًّا لاستقبال هذا الشهر الكريم ليجتهدوا في الطاعة ويسارعوا إلى الخيرات في كل لحظة من لحظاته ، فعَن سَلْمَانَ الْفَارسِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ شَعْبَانَ ، فَقَالَ: (أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ ، شَهْرٌ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، جَعَلَ اللَّهُ صِيَامَهُ فَرِيضَةً ، وَقِيَامَ لَيْلِهِ تَطَوُّعًا ، مَنْ تَقَرَّبَ فِيهِ بِخَصْلَةٍ مِنَ الْخَيْرِ كَانَ كَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَمَنْ أَدَّى فِيهِ فَرِيضَةً كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ ، وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ وَالصَّبْرُ ثَوَابُهُ الْجَنَّةُ ... الحديث)، فكان الصحابة (رضوان الله تعالى عليهم) أسرع الناس استجابة وامتثالاً وعملاً بتوجيهات النبي الكريم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فكانوا يدعون الله تعالى ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ، فإذا ما انتهى رمضان سألوا الله تعالى ستة أشهر أخرى أن يتقبله منهم ، فكانت حياتهم طوال العام في رحاب رمضان ، يستقبلونه بالذكر والقرآن ، والدعاء والعبادة ، ويتهيأون لاغتنامه ، ويودعونه بالقرآن والدعاء والعبادة ، قال يحيى بن أبي كثير (رضي الله عنه): كان من دعائهم: " اللهم سلمني إلى رمضان ، وسلم لي رمضان ، وتسلمه مني متقبلاً ".

ونحن نستقبل هذا الضيف الكريم علينا أن نستشعر منزلته ومكانته ونتأهب لاستقباله ، وأن نغتنم أيامه ولياليه بالمسارعة إلى الخيرات وطلب المغفرة والرحمات من رب الأرض والسموات ، فإن فضل الله تعالى وعطاءه فيه للصائمين عظيم ، وقد أشار النبيُّ (صلى الله عليه

وسلم) إلى هذا الفضل ، بقوله: (لَوْ يَعْلَمُ الْعِبَادُ مَا فِي رَمَضَانَ ، لَتَمَنَّتْ أُمَّتِي أَنْ يَكُونَ السَّنَةَ كُلَّهَا).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن استقبال رمضان يكون بالتخلق بأخلاق القرآن الكريم ، ومراقبة الله تعالى في القول والعمل ، والحفاظ على الدين والوطن ، والأخذ بأسباب الرحمة والمغفرة ، وترك مظاهر المعصية وأسبابها ووسائلها والحفاظ على الصلاة في أوقاتها ، وتجديد النية بالتوبة النصوح التي تطهر القلوب ، وتصلح النفوس وتمحو الذنوب ، وتؤهل التائب لاستقبال كل خير في رمضان ، وتمنعه من كل شرٍّ ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} ، وليكن نصب أعيننا أن الله يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار كما في صحيح الإمام مسلم ، عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النبيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مسيء النَّهَارِ

وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مسيء اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا). والتوبة الصادقة إلى الله عز وجل لا تتحقق إلا بإقلاع العبد عن ذنوبه والندم على ما بدر منه من معاصي ، والعزمِ على ألا يعود إليها في حاضره ومستقبله ، وإن كانت عنده مظلمة لأحد ردّها إليه ، وطلب منه العفو والصفح ابتغاء وجه الله تعالى.

كذلك يكون استقبال رمضان بتجنب ما يمنع نزول الرحمة والمغفرة والمنح والعطاءات الربانية ، وتجنب ما حرم الله عز وجل ورسوله (صلى الله عليه وسلم) في الليل والنهار ، من الغيبة والنميمة ومجالسة أهل السوء، قال تعالى:{وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ..} ، ويقول سبحانه: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ..} ، ويقول عز وجل : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}، وكذلك تجنب مجالسة أهل الباطل والكذب والزور وأقوالهم فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ).

كذلك يجب تجنب المشاحنات وأسبابها، فصاحبها محروم ومحجوب عن رحمة الله (عز وجل) ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قَالَ:(تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ

الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا ، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا) ، وكذلك علينا أن نتجنب قطع الأرحام ، فقد أوجب القرآن الكريم اللعنة والطرد من رحمة الله (عز وجل) لمن يقطعون أرحامهم ، قال تعالى:{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ}. وقد أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) أن قاطع الرحم محجوب عن الجنة ، محروم من نعيمها ، فعَن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ).

كذلك ينبغي أن يكون استقبال شهر رمضان بالتكافل والتراحم بين أبناء المجتمع ، حتى يشعر الأغنياء بإخوانهم الفقراء ، فتسود بينهم المحبة والمودة ، ويعيش المجتمع حياة آمنة هادئة ينعم فيها بالأمن والرخاء، قال تعالى:{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}. فشريعة الإسلام تفرض على أتباعها أن يَسُود بينهم التكافل والتراحم ، حتى يكون المسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، فعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ

وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى).

فرمضان هو شهر التكافل والتراحم ، شهر يتجسد فيه معنى الرحمة والرأفة بالفقراء والمساكين ، والعطف على اليتامى والأرامل والمحتاجين ، والعملِ على إطعام الجائعين ، وإفطار الصائمين ، وقد حثَّنا ديننا الحنيف على التضحية والبذل والعطاء في سبيل إسعاد الآخرين وإدخال السرور على قلوبهم ومساعدتهم ، يقول نبينا (صلّى الله عليه وسلم) حين سئل : أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ، وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ؟ فَقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلَئِنْ أَمْشِي مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا- فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ- ... وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يُثَبِّتَهَا لَهُ ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ).

لذا أكد النبي (صلى الله عليه وسلم) على تجسيد معاني التراحم والتكافل بين أبناء المجتمع ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ قَالَ فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ قَالَ فَذَكَرَ مِنْ

أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ) ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ) .

جدير بالذكر أن التكافل والتراحم في الإسلام ليس موقوفًا على النفقة فحسب ، بل معناه أوسع من ذلك فيشمل التعاون والتراحم والبر والصلة والتعاطف والتواد ورعاية الحقوق والواجبات المعنوية.

فلنستقبل هذا الشهر الكريم بقلوب عامرة ونفوس طاهرة ، وتوبة صادقة خالصة ، ولنغتنم أيامه ولياليه في تقديم وجوه الخير وأعمال البرّ ، ونسعى إلى مرضات الله (عز وجل) بالتكافل والتعاون والتراحم ، فهو موسم الصدقات والقربات ، وموسم المسارعة إلى الجود والعطاء، وصدق الله العظيم حيث يقول : {وَمَا تُقَدِّمُوا لأنفُسِكُم مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيرًا وَأعظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.

* * *

منهاج المسلم وسلوكه في رمضان

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز :{ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فكلما أقبل شهر رمضان المبارك استقبله المسلمون بالفرح والسرور يرجون فيه رحمة الله (عز وجل) ، فهو منحة ربانية ، وعطية إلهية تُضاعف فيه الحسنات ويعظم الثواب ، ويغدق الله على عباده النفحات ، ويفتح لهم أبوابًا من الخير ومن المغفرة ، و تفتح فيه أبواب الجنة فلا يغلق منها باب ، وتغلق فيه أبواب النار فلا يفتح منها باب ، وتغل فيه الشياطين وينادي منادٍ : يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر ، فيقبل أهل الإيمان على ربهم.

ورمضان هو شهر الصبر والرحمة والمغفرة والعتق من النار ، وهو شهر نزول القرآن الكريم هدية الله لخلقه ، قال تعالى:{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}. فرض الله (عز وجل) فيه عبادة من أعظم العبادات وهي عبادة الصوم ، التي تعلم الإنسان الكثير من الأخلاقيات التي تجلب له الخير والسعادة في الدارين ، فالصوم يعلم الإنسان الصبر والحلم وسعة الصدر والمراقبة والإخلاص لله (عز وجل) وتقواه ، قال

تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون} .

ولقد أعد الله سبحانه وتعالى للصائمين فضلاً كبيرًا وأجرًا عظيمًا قال تعالى :{ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}، ومن ذلك:

أن الله عز وجل أضاف الصوم لنفسه إضافة تشريف وتعظيم ، لما للصوم من مكانة وشرف بين العبادات ، فعن أبي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (قَالَ اللَّهُ : كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ، وَلاَ يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ : إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ) .

فالصوم سر بين العبد وربه ، فإن الصائمَ قد يكون في موضعٍ خالٍ من الناس وبإمكانه أن يتناول ما حرَّم الله عليه بالصيام فلا يفعل لأنه يعلم علم اليقين أن له ربًّا يطَّلع عليه في أمره كله ، فيترُكُه لله خوفًا من عقابه ، ورغبةً في ثوابه ، فشكر اللهُ له هذا الإخلاصَ ، فهو سبحانه أكرَمُ

الأكرمين وأجوَدُ الأجودين ، وفضله واسع ، وكرمه غير محدود والعطيَّةُ بقدر مُعْطيها.

ومنها : أن الله تعالى أعطى الصائمين من أمة النبي (صلى الله عليه وسلم) مالم يعطه أحدًا قبلها ، فعن أَبِي نَضْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما) يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أُعْطِيَتْ أُمَّتِي فِي شَهْرِ رَمَضَانَ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي، أَمَّا وَاحِدَةٌ: فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ نَظَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ، وَمَنْ نَظَرَ اللهُ إِلَيْهِ لَمْ يُعَذِّبْهُ أَبَدًا، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ: فَإِنَّ خُلُوفَ أَفْوَاهِهِمْ حِينَ يُمْسُونَ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ: فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَأَمَّا الرَّابِعَةُ: فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُ جَنَّتَهُ فَيَقُولُ لَهَا: اسْتَعِدِّي وَتَزَيَّنِي لِعِبَادِي أَوْشَكَ أَنْ يَسْتَرِيحُوا مِنْ تَعَبِ الدُّنْيَا إِلَى دَارِي وَكَرَامَتِي، وَأَمَّا الْخَامِسَةُ: فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ آخِرُ لَيْلَةٍ غَفَرَ لَهُمْ جَمِيعًا) فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟ فَقَالَ: (لَا ، أَلَمْ تَرَ إِلَى الْعُمَّالِ يَعْمَلُونَ فَإِذَا فَرَغُوا مِنْ أَعْمَالِهِمْ وُفُّوا أُجُورَهُمْ) .

ومنها : أن الصوم أحد أبواب الجنة ، فعن معَاذِ بْنِ جَبَلٍ(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي سَفَرٍ ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ: (لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ) ثُمَّ قَالَ: (أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ) .

ومنها: **أن الصوم يشفع لصاحبه يوم القيامة** مع القرآن الكريم ويقبل الله شفاعتهما فيدخله الجنة ، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ) قَالَ:(فَيُشَفَّعَانِ).

ومنها: **تخصيص باب في الجنة للصائمين** دون غيرهم يسمى باب الريان ، فعن سهل (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال: (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَقُومُون لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ) ، وغير ذلك الكثير والكثير من عطاء الله عز وجل للصائمين في رمضان مما يعجز اللسان عن وصفه ، فالصيام عبادة لا مثيل لها ، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقُلْتُ: مُرْنِي بِأَمْرٍ آخُذُهُ عَنْكَ، قَالَ: (عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ).

والصوم الصحيح الذي يلتزم فيه صاحبه بالآداب الشرعية هو في الأصل مدرسة لتهذيب السلوك وتقويمه ، وتزكية النفس والسمو بها للوصول إلى الكمال ، وتطهير الجوارح من كل ما يغضب الله عز وجل قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، فالصوم يؤصل في الناس خلق التقوى فيضبط سلوكيات المسلم وتصرفاته.

ولهذا أرشد النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) الشاب الذي لا يقدر على الزواج إلى الصوم ، لما يحققه الصوم من تهذيب النفس ليصل بها إلى العفاف ، فعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ) ، والمراد أن الصوم قامع للشهوة، وكاسر لحدتها.

ولكي يؤتي الصوم ثمرته المرجوة لابد وأن نتلمس فيه هدي النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) ونسير على خطاه ، فالخير كله في هديه (صلى الله عليه وسلم) ، فعلى كل مسلم أن يبذل وسعه وطاقته في الاقتداء برسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قال تعالى: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرا}.

وقد كان من هديه الشريف (صلى الله عليه وسلم) في هذا الشهر الكريم: **تناول السحور** : فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً) ، والبركة المقصودة هنا مادية ومعنوية ، أما المادية فإن طعام السحور يكون سببًا لعون المسلم على الصوم ، وأما المعنوية فهي الاستجابة لأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وفيها من البركة ما فيها ، لذلك حرص النبي (صلى الله عليه وسلم) على السحور ورغب فيه ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) :

(السَّحُورُ أَكْلُهُ بَرَكَةٌ، فَلَا تَدَعُوهُ ، وَلَوْ أَنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُمْ جُرْعَةً مِنْ مَاءٍ ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ) ، والسنة فيه التأخير ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ، حَدَّثَهُ : " أَنَّهُمْ تَسَحَّرُوا مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ثُمَّ قَامُوا إِلَى الصَّلاَةِ، قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ: قَدْرُ خَمْسِينَ أَوْ سِتِّينَ"، يَعْنِي آيَةً .

ومنه: تعجيل الفطر والدعاء عنده: فهو أمارة على بقاء الخير في الأمة ، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْد (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ) (متفق عليه)، وقد كَانَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: (ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ) .

ومنه: **الجود والكرم** ، فعن ابْنِ عَبّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما) قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ).

ومنه: **قيام الليل بالصلاة وقراءة القرآن الكريم** ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْه): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) . ولقد سنَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) صلاة القيام (التراويح) في رمضان ، فعَنْ أم

المؤمنين عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) صَلَّى ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي المَسْجِدِ، فَصَلَّى بِصَلاَتِهِ نَاسٌ، ثُمَّ صَلَّى مِنَ القَابِلَةِ فَكَثُرَ النَّاسُ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: (قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ وَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ) وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ) .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن المسلم الحقيقي هو الذي يسعى بكل ما أوتي من قوة إلى الكمال في عباداته ليكون عمله مقبولاً وذنبه مغفورًا وعيبه مستورًا وكل عمله وسعيه مشكورًا ، فيتجنب كل ما يؤدي إلى بطلان عمله استجابة لأمر الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ } ، فينبغي على المسلم تجنب الأعمال المذمومة على مدار العام عامة وفي رمضان خاصة حتى لا يحبط عمله ويأتي يوم القيامة بصورة الرجل الذي أفلس وهو يظن أن معه من المال ما يحقق له ما

يتمناه ، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟) قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، فَقَالَ: (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ).

ومن ثمَّ فليحذر المسلم من الأمور التي تتنافى مع آداب الصوم وأهدافه ، ومنها:

قول الزور وشهادته أو العمل به ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ) ، فمن صام ولم يترك الكذب والعمل به فلا قيمة لصيامه ، قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما) : (إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ، وَبَصَرُكَ، وَلِسَانُكَ عَنِ الْكَذِبِ وَالْمَحَارِمِ، وَدَعْ أَذَى الْخَادِمِ ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ يَوْمَ صِيَامِكَ).

ارتكاب ما يتنافى مع الصوم من قبيح الأقوال والأفعال ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قَالَ: " إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ يَوْمًا صَائِمًا فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ، فَإِنِ امْرُؤٌ شَاتَمَهُ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ) ،فالمسلم الحق يعلم أن الله رقيب عليه في كل أحواله وسيحاسبه على كل أقواله وتصرفاته ، قال تعالى:{مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} .

الإسراف والتبذير في المأكل والمشرب والملبس ، فلقد نهى الله عز وجل عن ذلك على وجه العموم فقال تعالى : {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}، وقال سبحانه: { وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا} فرمضان شهر تهذيب وتقويم للسلوك ، وليس شهر إسراف وتبذير في الطعام والشراب .

إن شهر رمضان فرصة عظيمة لتجديد العهد مع الله (عز وجل) بالحفاظ على الدين ، واستثمار الأوقات في طاعة الله – تعالى– ورسوله (صلى الله عليه وسلم) ، فلنتخذ منه سبيلاً للعمل ، ووسيلة لدفع مسيرة الأمة نحو مزيد من التقدم والإنتاج .

* * *

العشر الأواخر من رمضان
وأثر الإيمان في استقرارِ الفردِ والمجتمعِ

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : { الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ }، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فشهر رمضان هو شهر الطاعات والعبادات ، ولشرف هذا الشهر الكريم وما فيه من خير وبركة كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يجتهد ويكثر من أعمال الخير في هذا الشهر الفضيل ما لا يجتهد في غيره من بقية الشهور وكان النبيّ (صلى الله عليه وسلم) يخص العشر الأواخر من رمضان بمزيد من الطاعة والعبادة والإقبال على الله عز وجل ، فهذه الأيام فرصة لمن أحسن في أول الشهر أن يزيد في إحسانه ، ولمن أساء وأخطأ أن يستدرك ما فات ويعود إلى رشده ، ويغتنم هذه الأيام العشر في الطاعات وما يقربه من الله تعالى ، فعن أمّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: (كَانَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَجْتَهِدُ في رَمَضَانَ مَا لا يَجْتَهِدُ في غَيْرِهِ ، وَفِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْهُ مَا لا يَجْتَهِدُ في غَيْرِهِ) .

ولعل الحكمة من ذلك أنها تحوي بين لياليها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، والتي يتجلى فيها أعلى مظاهر العطاء الرباني والكرم الإلهي على الخلق ، قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا

لَيْلَةُ القَدْرِ * لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ المَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ}، أو أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يكثر من العبادة في العشر الأواخر من رمضان لقرب انتهاء الشهر المبارك ، والأعمال بخواتيمها ، فمن ختم له بخير فقد أفلح ونجح ، ومن ختم له بشر فقد خاب وخسر.

فليحرص العبد على أن يختم شهره بطاعة الله تعالى والتقرب إليه بأنواع القربات، وإحسان الصلة به ، وصدق العبد في الرغبة فيما عنده جلّ في علاه ، فمن كان مقصرًا فيما مضى فليحفظ ما بقي من هذا الشهر بالطاعة والإحسان ، ومن كان محسنًا فيما مضى فليحرص على سلامة القصد وصحة النية.

وقد كان النبيّ الكريم (صلى الله عليه وسلم) يُحيي العشر الأواخر من رمضان بالعديد من أمور الطاعة والعبادة ، فعن أمّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت : (كَانَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ).

فمن ذلك: إحياء الليل بالعبادة والطاعة ، بالصلاة ، وقراءة القرآن والذكر ، والاستغفار ، والسعي في قضاء الحوائج ، والتعاون على البرّ والتقوى ... وغير ذلك من أعمال الخير والصلة.

وإحياء الليل على تلك الصفة من صفات المتقين ، وطريق موصل إلى جنة الخلد، قال تعالى:{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا

يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}.

ومنها: **إيقاظ الأهل**: للمشاركة في قيام الليل ، وتلمس ليلة القدر ، وقد كان النبيّ (صلى الله عليه وسلم) كثيرًا ما يوقظ أمهات المؤمنين للعبادة والطاعة ، فعن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: استيقظ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليلة فزعًا ، يقول: (سُبْحَانَ اللَّهِ ، مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الخَزَائِنِ ، وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الفِتَنِ ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ - يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ لِكَيْ يُصَلِّين - رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ)، وعن زينب ابنة أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: (...وكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا بَقِيَ مِنَ الشَّهْرِ عَشَرَةُ أَيَّامٍ لَمْ يَذَرْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهِ يُطِيقُ الْقِيَامَ إِلَّا أَقَامَهُ) .

فحري بربّ كل أسرة أن يقتدي بفعل النبيّ (صلى الله عليه وسلم) مع أهله ، تحقيقًا لقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}.

فإيقاظ الأهل للتعبد والطاعة سبب من أسباب رحمة الله عزّ وجلّ التي نتلمسها في هذا الشهر الكريم ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ).

ومنها: **الاجتهاد في الطاعة بقدر المستطاع** شكرًا لله تعالى على

نعمه ، وقدوتنا في ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فعن أمّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها): كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه ، قالت عائشة : يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟. فقال: (يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا)، فإذا كان ذلك هو حال النبيّ (صلى الله عليه وسلم) في غير رمضان فكيف كان حاله في شهر الجدّ والاجتهاد ، شهر العبادة والطاعة؟!

ومنها: **شدّ المئزر**: وهو كناية عن شدة جدّه واجتهاده (صلى الله عليه وسلم) في العبادة زيادة على عادته في غير رمضان، والمراد به: التشمير في العبادة ، فعن أنس (رضي الله عنه) قال: (كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا جَاءَتِ الْعَشْرُ الْأَوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ طَوَى فِرَاشَهُ، وَشَدَّ مِئْزَرَهُ وَاجْتَنَبَ النِّسَاءَ، وَجَعَلَ عَشَاءَهُ سَحُورًا) .

ومنها: **الاعتكاف**: ومعناه: المكث في المسجد بنية مخصوصة، على وجه مخصوص، للانشغال بالعبادة والطاعة، بعيدًا عن ملذات الدنيا وشهواتها والإقبال على الله عز وجل وحده ، قال تعالى:{وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ} ، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَان عَشَرَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ العَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا) ، وعن أمّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها): (أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ) .

والاعتكاف المطلوب شرعًا ليس معناه تعطيل مصالح البلاد والعباد ،

وإنما المقصود منه الزيادة في التقوى ، فإن تعارض الاعتكاف مع مصالح البلاد والعباد فتسيير مصالح البلاد والعباد أحق بالتقديم لكون ذلك فرضًا وواجبًا ، أما الاعتكاف فهو سنة عن النبيّ (صلى الله عليه وسلم) والفرض مقدم على السنة ، كما أن العمل وتسيير مصالح البلاد والعباد عبادة وقربة لله عزّ وجلّ كالاعتكاف تمامًا ، ففي الحديث القدسي: (..وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ...) وفي الحديث أيضا عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (كُلُّكُمْ رَاعٍ ومسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالإِمَامُ رَاعٍ ومسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ...) وكل من ولي أمرًا من أمور البلاد والعباد، وتحت يده مصلحة من مصالحهم يدخل في هذا التوجيه النبوي الكريم ، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكَشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ – يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا – وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ).

ومنها: **الدعاء**: وقد أرشدنا إلى ذلك قول الله تعالى في ثنايا آيات الصيام:{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}، وأرشد إلى ذلك أيضًا ما رواه أبو هريرة (رضي الله عنه): أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (ثَلاَثٌ لاَ تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الإِمَامُ العَادِلُ، وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الغَمَامِ، وَتُفَتَّحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ)، والدعاء في العشر الأواخر من رمضان أشدُّ استحبابًا لعله يقع في ليلة القدر، فعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا قَالَ: (قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّى) .

إن إحياء العشر الأواخر من رمضان بهذه الكيفية وبهذا الهدي النبوي الكريم لهو ترجمة للإيمان الحقيقي الصادق على الجوارح والأعضاء ، فالإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل، وهو أسمى علاقة جاء بها الرسل (عليهم السلام)، ومعناه: استقرار العقيدة في القلب بالإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره وعلى المؤمنين أن يؤدوا مطلوب الإيمان، وهو تنفيذ التكاليف التي يأتي بها المنهج الإلهي، والمبلِّغ عنه سيدنا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في الأوامر والنواهي.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن الإيمان الصادق النابع من القلب المطمئن له ثمرات عظيمة وفوائد جليلة تعود على الفرد والمجتمع ، منها:

يورث الفرد الأمن والطمأنينة والهدوء النفسي وضبط سلوكياته

فالسعادة الحقيقية، والطمأنينة النفسية لا تتحققان إلا في الإيمان بالله عزّ وجلّ وبذكره ، قال تعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام) وهو يجادل عبّاد الكواكب :{وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} وقال تعالى:{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}، وقال تعالى:{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}، فاستقرار الفرد، واطمئنان نفسه يعود بالنتيجة الحسنة في تعامله مع مجتمعه على السواء.

الإيمان يزرع في الإنسان الصبر عند النوازل، ويجعله متوازنا في جميع ظروفه وأحواله: قال تعالى:{ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ*الَّذِينَ إِذَا

أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}، وقال تعالى على لسان يعقوب (عليه السلام) حينما أخبروه أن الذئب أكل يوسف (عليه السلام) قال:{بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}، وقال تعالى:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}، وعن صهيب الرومي (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) .

يحقق استقرار الأسرة، **ويحافظ على تماسكها** فالإيمان يدعونا إلى برّ الوالدين والإحسان إليهما، قال تعالى:{وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}، والإيمان يأمر الزوجة أن تطيع زوجها، فعن عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ) ، والإيمان يأمر الزوج أن يتقي الله في أسرته وزوجه وأولاده ، بالقيام على عنايتهم ورعايتهم وتربيتهم وقضاء حوائجهم فعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ) فلو قام كل واحد في الأسرة بدوره الذي حدده له الإيمان لاستقرت الأسرة المسلمة

ولذهبت أسباب المشاحنات والخلافات بين أفرادها وأخرجت للمجتمع والوطن والعروبة والإسلام أفردا صالحين مصلحين.

يحقق استقرار المجتمعات، **ويحقق الأمن والأمان للبشرية**.فالإسلام أرسى قواعد السلم والأمن ، وليس من تعاليم الإيمان السلب والنهب وترويع الآمنين والإغارة عليهم حتى ولو كانوا غير مسلمين، قال تعالى:{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ*إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ)، وعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ)، وعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما): أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا).

والناس أمام الله سواسية كأسنان المشط قال تعالى:{يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}، ويقول أيضا:{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا

الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}، و عن أبي نضرة (رضي الله عنه) أن النبيّ (صلى الله عليه وسلم) قال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى...)

يرسخ القيم الخلقية والإنسانية ومكارم الأخلاق التي تنظم سلوك الإنسان، وتجعله مستقيما في كلّ شئون حياته، في العقيدة، والآداب ومعاملة الناس، حيث تُعد هذه الأخلاق سر سعادة الأمم ونهضتها وازدهارها.

إن الصوم يهذب النفس ويسمو بإيمان الصائم حتى يكون الله تعالى مقصوده وحده دون سواه في كل أحواله وفي كل أموره ، ويتحقق فيه قول الله عز وجل: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}

وختامًا: **نؤكد أن الإيمان رحمة** ، **ورمضان رحمة** ، وفي فتح مكة تجلت بعض مظاهر هذه الرحمة ، حيث قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : " اليوم يوم المرحمة" ، وحيث قال (صلى الله عليه وسلم) لمن آذوه وأخرجوه : (يا أهل مكة : مَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟ قالوا : أَخٌ كَرِيمٌ ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ) ، **في لمسة تسامح لم يشهد التاريخ الإنساني مثلها**.

* * *

ليلة القدر ليلة الرحمة والمغفرة والكرم الإلهي

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز:{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ* تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ* سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فلقد خصّ الله عز وجل الأمة المحمديةَ بخصائصَ عظيمةٍ وجليلةٍ ، وإنّ المتأمل في هذه الخصائص يجد العَجَبَ العُجَابَ ؛ لما حباه اللهُ لهذه الأمة عن غيرِها ، فرسولها أفضل الرُّسلِ بل أفضل الخلق على الإطلاق ، وهي أفضل الأُممِ ، قال تعالى:{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ}، وشريعتها تتميز بالسماحة واليسر والرحمة ، وعملها وإن كان قليلاً إلا أن ثوابه وأجره أعظم من ثواب وأجر غيرها من الأمم ، وأعمارها وإن كانت قصيرة إلا أن فيها خيرًا كثيرًا ، فعوضها ربنا بليال وأزمنة وأمكنة ومناسبات تتضاعف فيها الأجور ، فهي أمةٌ مخصوصةٌ ومصطفاة ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومن الفضل الإلهي والعطاء الرباني الذي اختص الله (عز وجل) به الأمة المحمدية عن سائر الأمم أن تفضل عليها بليلة واحدة في العام وضعت عبادتها في كفة ، وعبادة ألف شهر ، أي ما يساوي ثلاثًا وثمانين سنة وأربعة أشهر من عمر الإنسان في كفة أخرى ، فرجحت كفة عبادة

ليلة القدر ، من قامها مبتغيًا بقيامه وجه الله محتسبًا الأجر والثواب من الله وحده غفر الله ذنبه وستر عيبه وأعلى قدره وفتح له أبواب رحمته ورضوانه ، إنها ليلة القدر التي يتجلى فيها أعلى مظاهر الفيض والكرم الإلهي، قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ القَدْرِ* لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ* تَنَزَّلُ المَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ* سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ} ، والقدر هو الشرف والعز والكرامة يقال: فلان ذو قدر أي: ذو شرف ومكانة ، وهي كذلك ليلة القدر لما لها من الشرف والمكانة بين بقية الليالي ، فقد أنزل الله فيها كتابًا ذا قدر على نبي ذي قدر بواسطة ملك ذي قدر ليكون منهجا لأمة ذات قدر .

وليلة القدر من التقدير ، يقدِّر الله فيها أعمال العباد في السنة من الليلة إلى مثلها من العام القادم من حياة وموت ،ورزق، وسعادة، وشقاء وغير ذلك ، قال تعالى:{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ}.

وقد خص الله (عز وجل) هذه الليلة المباركة بمزيد فضله وعظيم كرمه بعدة خصائص منها:

نزول القرآن الكريم فيها: قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} وكانت بداية هذا النزول في هذه الليلة المباركة ، قال ابن عباس (رضي الله عنهما): أُنْزِل الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) نُجُومًا فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ

سَنَةً) ، وأول ما نزل الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان في رمضان حيث التقت الأرض بالسماء وتلقت الأرض أنوار السماء وبركاتها في هذه الليلة المباركة ليلة القدر ، فعَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ – وَهُوَ التَّعَبُّدُ – اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: (مَا أَنَا بِقَارِئٍ)، قَالَ: (فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ فَقُلْتُ: (مَا أَنَا بِقَارِئٍ)، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ} فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)، فَقَالَ: (زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي) فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: (لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي) فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ....).

ومنها: **وصفها أنها ليلة مباركة**: قال تعالى:{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ

مُبَارَكَةٍ}، ومن مظاهر بركتها أن الله (عز وجل) يغفر لمن قامها إيمانا واحتسابًا ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أن النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)، ومن حرم بركتها فهو المحروم، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ(رضي الله عنه) قَالَ دَخَلَ رَمَضَانُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ).

ومنها: أن عبادتها أفضل من عبادة ألف شهر ، فعن مُجَاهِدٍ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَبِسَ السِّلَاحَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَلْفَ شَهْرٍ قَالَ: فَعَجِبَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ}، فعبادة ليلة بإخلاص تفوق على حمل السلاح ألف شهر ، والعدد هنا لا يقصد منه التحديد بل المقصود منه الكثرة حتى يجتهد الناس في طلب هذه الليلة.

ومنها: **نزول الملائكة ومعهم جبريل** (**عليه السلام**): فيملؤون الأرض نورًا وجمالاً وسكينة في هذه الليلة المباركة ، قال تعالى: {تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ}أَي: تتنزل فيها الملائكة من كل سماءٍ إِلى الأَرض ، أَو إِلى السماء الدنيا ، مع البركة والرحمة. وينزل معها الروح وهو جبريل (عليه السلام) كما قال الجمهور ، وخص بالذكر لزيادة

شرفه ، وعلو قدره فضلاً على أنه النازل بالذكر .

ومنها: **أنها ليلة أمن وأمان ، وسلامة وسلام من بدايتها حتى مطلع الفجر**، قال تعالى: {سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} وجاءت لفظة (سَلامٌ) منكرة لتفيد العموم ، وقدمها على اسمها (هِيَ) لتفيد الاختصاص أَيْ: مَا هِيَ إِلَّا سَلَامٌ ، وفي ذلك دعوة لنشر السلام في الأرض في هذه الليلة المباركة وغيرها من الليالي ، فنشر السلام يعم الخير ، والبعد عنه يجلب كل شر ويمحق البركات ، وبسبب البعد عن السلام والإقبال على النزاع والخلاف حُرِم المسلمون بركة تحديدها ، فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خَرَجَ يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ القَدْرِ فَتَلاَحَى رَجُلاَنِ مِنَ المُسْلِمِينَ فَقَالَ: (إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْرِ وَإِنَّهُ تَلاَحَى فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ ، فَرُفِعَتْ ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، التَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ وَالتِّسْعِ وَالخَمْسِ) ، ومعنى تلاحى: أي: تخاصما، فبسبب هذه الخصومة والخلاف حُرمت الأمة الخير الكثير، ولكن لعل في إخفائها الخير كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ) وذلك حتى يداوم العبد على الاجتهاد طوال العشر دون الاقتصار على ليلة واحدة فقط .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين. إخوة الإسلام :

ليلة بهذا الفضل وبهذه الكرامة حري بكل مسلم أن يلتمسها فهي كالجوهرة الثمينة التي يسعى في طلبها من يريد الخير لنفسه ، وهذا ما أكده النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ومع هذا تحراها بحثًا عن بركتها ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ، ثُمَّ اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ، فِي قُبَّةٍ تُرْكِيَّةٍ عَلَى سُدَّتِهَا حَصِيرٌ قَالَ: فَأَخَذَ الْحَصِيرَ بِيَدِهِ فَنَحَّاهَا فِي نَاحِيَةِ الْقُبَّةِ ، ثُمَّ أَطْلَعَ رَأْسَهُ فَكَلَّمَ النَّاسَ ، فَدَنَوْا مِنْهُ ، فَقَالَ:(إِنِّي اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ، أَلْتَمِسُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ثُمَّ اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ، ثُمَّ أُتِيتُ، فَقِيلَ لِي: إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْتَكِفَ فَلْيَعْتَكِفْ)، فَاعْتَكَفَ النَّاسُ مَعَهُ، قَالَ: (وَإِنِّي أُرِيتُهَا لَيْلَةَ وِتْرٍ ، وَإِنِّي أَسْجُدُ صَبِيحَتَهَا فِي طِينٍ وَمَاءٍ) فَأَصْبَحَ مِنْ لَيْلَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ ، وَقَدْ قَامَ إِلَى الصُّبْحِ، فَمَطَرَتِ السَّمَاءُ، فَوَكَفَ الْمَسْجِدُ فَأَبْصَرْتُ الطِّينَ وَالْمَاءَ، فَخَرَجَ حِينَ فَرَغَ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَجَبِينُهُ وَرَوْثَةُ أَنْفِهِ فِيهِمَا الطِّينُ وَالْمَاءُ، وَإِذَا هِيَ لَيْلَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ).

بل إن النبي (صلى الله عليه وسلم) أمر الأمة أن تتحرى هذه الليلة لما فيها من العطاء والكرم الالهي ، فعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُجَاوِرُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ وَيَقُولُ: (تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِن رَمَضَانَ)، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ:

(التَمِسُوهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ لَيْلَةَ القَدْرِ، فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى).

فأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بتحري هذه الليلة في العشر الأواخر ثم خص من العشر الليالي الوتر منها ، ولم يحددها بليلة محددة ليجتهد العباد في طلبها ، ويجدّوا في العبادة ، وحتى يظل الأمل موجودا عند العباد في فضل الله وكرمه وعفوه ومنته.

ولقد فطن الصحابة (رضوان الله عليهم) لعظم مكانة هذه الليلة فتسابقوا بالخيرات طمعًا في ثوابها ، وتوجهوا إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالسؤال عن الدعاء المستحب في هذه الليلة ، فعن أم المؤمنين عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، مَا أَدْعُو؟ قَالَ: (تَقُولِينَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي)، فهي ليلة يغفر الحق سبحانه فيها الذنوب.

فليتسابق المسلمون إلى الرحمة والعفو في هذه الليلة المباركة ويتخذوا منها عهدا جديدا لتجديد التوبة ولزوم الاستغفار والعمل الجاد المثمر ، وإعادة بناء النفس وتقويمها من جديد على الطاعة والإخلاص وحسن الصلة بالله عز وجل ، قال تعالى{..فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ..}، وقال جل شأنه: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}، ولنتاجر مع الله عز وجل بكل عمل صالح كصلة الأرحام والمحافظة على أعراض الناس وأموالهم ودمائهم

والحرص على تحقيق السلام والأمان بما يعود بالنفع على الفرد والوطن.

ومن كان قد أسرف على نفسه بالمعاصي والذنوب فليتب إلى البر التواب جل جلاله ، وليعلم أن الله عز وجل بابه مفتوح ، ينادي على عباده المؤمنين بقوله : {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا}، فالمؤمن الفطن يعلم أن أنفاسه معدودة وساعات إقامته في الدنيا محدودة ، ويعلم علم اليقين أن الحياة فرص من اغتنمها فاز وسعد ، ومن ضيعها خاب وخسر ، ولا توجد فرصة في العمر كفرصة ليلة القدر فلنغتنمها حتى ننال بركتها.

وإذا كنا نتعرض لرحمة الله تعالى بحق فعلينا أن نتراحم فيما بيننا ، فمن لا يرحم لا يرحم ، والراحمون يرحمهم الرحمن ، وليس التراحم بمجرد كلمة أو سلام ، إنما التراحم سلوك ، إذ إن التراحم يستوجب التعاون والتكافل ، وأن يأخذ قوينا بيد ضعيفنا ، وغنينا بيد فقيرنا ، وها نحن مقبلون على عيد مبارك ينبغي أن نوسع فيه على الفقراء وأن نغنيهم عن السؤال في هذا اليوم ، وأن نخرج صدقة الفطر إلى مستحقيها ، ومن كان ذا سعة زاد في الصدقة والبر والصلة ، موقنًا بأن ما أنفق من خير فإن الله (عز وجل) سيخلفه ويضاعفه ، حيث يقول الحق سبحانه : {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}.

*   *   *

الحج بين الرحمة والتيسير
وبيان أن قضاء حوائج الناس أولى من تكرار الحج والعمرة

الحَمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، القَائِلِ في كِتَابهِ الكريمِ:{وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ}وأشهدُ أن لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدهُ لا شَريكَ لهُ ، شرع الدينَ ويسَّرهُ فقال سبحانه:{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}. وأشهدُ أنَّ سيِّدَنَا ونَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُهُ ورسُولُهُ ، القائِلُ في الحديث الشريف : (مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)، فاللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ ، ومَنِ اهْتَدَى بِهَدْيِهِ وَسَلَكَ طَرِيقَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أما بعد :

فَمِن نعَمِ الله (عز وجل) على عبادِهِ المؤمنينَ أنْ جعَلَ لَهُم مواسِمَ للخيراتِ والرَّحَماتِ ، ومن هذِهِ المواسِمِ العظيمَةِ ما نحن مُقبلونَ عليه من أيام مباركةٍ يستعدُّ فيها الحجيجُ لزيارةِ بيت الله الحرام لأداء فريضَةِ الحجِّ ، حيث تتنزَّلُ الرحماتُ والبركاتُ ، وتتآلفُ القلُوبُ ، وتصفُو النفوسُ ، وتَقْوىَ الصِّلةُ بينَ الإنسانِ وربِّه ، قال تعالى:{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ}، ويتجلى تكريمُ اللهِ تعالى للحجيجِ بأنْ جعَلهُم ضيفَهُ وزُوارَهُ ، إن دَعَوهُ أجابَهُم ، وإن سألُوهُ أعطَاهُم ، وحقٌّ على المزُورِ أن

يُكرِمَ زائرَهُ، يقول النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ وَفْدُ اللَّهِ ، دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ ، وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ).

والحج بابٌ واسعٌ من أبوابِ الرَّحْمةِ والمغفِرةِ ، وفيهِ من التَّيسِيرِ والسّعَةِ ما لا يوجَدُ في غيرِهِ من العباداتِ ، وإذا كان الإسلامُ كلُّه قائمًا على التَّيسِيرِ ورَفعِ الحَرجِ ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}، ويقول:{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}، فإنَّ هذا التيْسِيرَ في الحجِّ أولى وألزَمُ ، فمَا يَسَّرَ نَبِيُّنَا (صلى الله عليه وسلم) في شيء أكْثرَ من تيْسِيرهِ على حُجَّاجِ بيتِ اللهِ (عزَّ وجلَّ) في قَولَتهِ المشْهُورَةِ : (افْعَلْ ولا حَرَجَ).

وتتَمَثَّلُ مظاهِرُ رحمَةِ اللهِ ـ تعالى ـ وتَيْسِيرِهِ في الحجِّ في أمورٍ كثيرَةٍ، منها: **أنَّ الله تعالى فرضَهُ في العُمْر مرَّةً واحِدَةً** ، حيث قَالَ نبيُّنا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا) فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَوْ قُلْتُ : نَعَمْ لَوَجَبَتْ ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ) ، وفي رواية : (الْحَجُّ مَرَّة ، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ).

ومنها: أن الحجّ لم يُفرَض إلا على المستَطِيع ، والاستطاعَةُ هنا تعْني القُدْرةُ الماليَّةُ والبدنِيَّةُ معًا ، لأنَّ دواعِيَ المَشَقَّةِ في مناسِكِ الحجِّ مُتَيَقَّنَةٌ ، فوَجَبَ التأكِيدُ على شَرْطِ الاستِطاعَةِ ، فهو فرضٌ على المستطيعِ فَقَط ، حيثُ يقولُ الحقُّ سبحانَهُ وتعالى :{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً}.

ومنها: أن الحجّ يغفرُ ما قبلَهُ منَ الذنوبِ والسّيئاتِ ، ويَفتَحُ صفْحةً جَدِيدَةً بَيضاءَ نقِيَّةً لِصَاحِبِهِ ليبْدأ عَهدًا جَدِيدًا مع خالِقِهِ ، فعَنْ عمرِو بنِ العاصِ (رضي الله عنه)قال: قَالَ لي رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): (أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟)، والحجُّ المبرُورُ ثوابُهُ الجنَّةُ، يقُولُ نبيُّنا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ).

كذلك من مظاهِرِ الرّحمَةِ والتّيْسِيرِ في الحَجِّ : أنْ أذِنَ للضُّعَفاءِ بالنزولِ من مزدلِفَة إلى مِنًى قَبلَ الناسِ حتى لا يُزاحِمَهُمُ الأقْوِياءُ أثناءَ دفعِهِم إلى مِنًى ، فالضعيفُ أميرُ الرَّكْبِ ، وكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) يُقَدِّمُ ضَعَفَةَ أَهْلِهِ فَيَقِفُونَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ بِالْمُزْدَلِفَةِ بِلَيْلٍ فَيَذْكُرُونَ اللهَ مَا بَدَا لَهُمْ ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ قَبْلَ أَنْ يَقِفَ الْإِمَامُ وَقَبْلَ أَنْ يَدْفَعَ ...).

ومنها: جوازُ النّيـابَةِ في الحجِّ عن الغـير بشرْطِ أن يكونَ قد حجَّ عن نفسِهِ، **وكذلك النّيابَةِ في رميِ الجَمَراتِ** تَيْسِيرًا على ذَوِي الأعذارِ من المرضَى وكِبارِ السنِّ والنِّساءِ ، وتخفيفًا للزِّحامِ عن الجميعِ، فالمَشَقَّةُ قائمةٌ للضَّعيفِ والقـوِيِّ ، واقعةٌ عليهِـمَا معًا ، غير أن القَـويَّ يحتمِلُ منهَا ما لا يحتَمِلُه الضَّعِيفُ .

ومن مظاهِرِ التّيْسِيرِ في الحجِّ : رَفْعُ الحَرَجِ في ترتيبِ أعمَالِ يَومِ النّحْرِ، فالهَدْيُ النَّبَوِيُّ العَمَلِيُّ أن يأتِيَ الحاجُّ بأعمالِ الحجِّ في يومِ النَّحْرِ على الترتيبِ : فيرْمِي الجمَرَاتِ ، ثم ينْحَرُ الهَدْيَ ، ثم يحْلِقُ أو

يُقَصِّرُ، ثم يطوفُ بالبيتِ ، ويَسْعَى بين الصَّفَا والمَرْوةِ ، غيرَ أنَّ اجتِمَاعَ الحَجِيجِ على عمَلٍ واحِدٍ في يَومٍ واحِدٍ وسَاعَةٍ واحِدَةٍ فيهِ منَ المَشَقَّةِ والعنَتِ ما فيهِ ، فَرفَعَ اللهُ عنهمُ الحرَجَ والضِّيقَ، وبيَّنَ على لسانِ رسُولِهِ (صلى الله عليه وسلم) أنّ مَن قَدَّمَ بعضَ هذهِ الأعْمَالِ على بَعْضٍ فلا حَرجَ عليه ولاَ إِثْمَ ، فَمَا سُئِلَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ وَلاَ أُخِّرَ إِلاَّ قَالَ : (افْعَلْ ، وَلاَ حَرَجَ). وهذا ما أكَّد عليه نبيُّنا (صلى الله عليه وسلم) من ضرورَةِ التَّيْسِيرِ ، واستنكَارِ كُلِّ أشْكالِ التَّشدُّدِ في الحجِّ فعنْ أنسٍ (رَضِي الله عَنهُ) أنَّ النبيَّ (صلى الله عَلَيْهِ وَسلم) رأى شَيْخًا يُهَادَى بَيْنَ ابْنَيْهِ ـ يعتمد عليهما ـ قَالَ: (مَا بالُ هَذا؟) قالُوا: نَذَر أنْ يَمْشِي ، قَالَ: (إنَّ الله عَنْ تَعْذِيبِ هَذا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ ، وأَمَرَهُ أنْ يَرْكَبَ) فحَرِيٌّ بكلِّ من قَصَدَ البيْتَ الحَرامَ أن يأخُذَ بالأيْسرِ لنَفْسِهِ ولحَالِه في الحجِّ ، وليجعَلَ منَ اليُسْرِ منهَجَ حياةٍ لهُ في الحجِّ وغيرِهِ ، فاليُسْرُ دائمًا وأبَدًا لا يأتِي لصَاحِبِهِ إلا بكلِّ خَيْرٍ .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، والعاقبةُ للمتقينَ ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشهدُ أنَّ سيِّدَنَا مُحَمَّدًا عبدُهُ ورسُولُه ، الصَّادِقُ الوعْدُ الأمينُ ، اللَّهُمَّ صلِّ وسَلِّمْ وباركْ عليهِ وعلَى آلِه وصحْبِهِ ومنْ تبعَهُم بإحسَان إلى يوم الدِّين ، أما بَعْدُ ،،،،

فَمَعَ ما لِلْحَجِّ منْ فَضْل وخَيْر وَبَرَكَةٍ إلاَّ أنَّ الأمُورَ تُقدَّرُ بِقَدْرِهَا فَفِي أحْوالِ الرَّغَدِ المَعِيشِيِّ لا بأسَ بِتِكْرَارِ الحجِّ والعُمْرَةِ ، بَلْ هُو خَيرٌ

وأَمْرٌ مسْتَحَبٌّ ، غيْرَ أنَّه لا يعْدُو كَوْنهُ نافِلَةً وتَطَوُّعًا لا يتَقَدَّمُ علَى فروض الكِفايَاتِ ، فإِنَّ قضاءَ حوائِجِ النَّاس والقيامَ بفُروض الكفاياتِ أَوْلَى من حَجِّ النَّافِلَةِ والتطَوُّع ، فمَنْ رزقَهُ اللهُ (عزَّ وجَلَّ) حجَّ بيْتِهِ الحَرام ، وتَيَسَّرَ لَهُ الحجُّ مرةً أُخْرَى ، فالأَوْلَى أن يُوَجِّهَ نفقَاتِ الحجِّ لمساعَدَةِ الفقَرَاءِ والمَسَاكين ، وتَوْفِير ما يُحَقِّقُ للنَّاس حَياةً آدَمِيَّةً كريمَةً منَ المطْعم والملْبَس والمَسْكَن والدَّواءِ والتعْليم ، وغير ذَلكَ ممَّا يحفظُ لهُم كرامَتَهُم ويوَفِّرُ لهُم سُبُلَ الرُّقِيِّ والتَّقَدُّم ، فذلك أولى من تكرار الحجِّ والعُمرةِ ومُقَدَّمٌ عليهمَا ، فقَد قَدَّمَ النبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) قضاءَ حوائج الناس على الاعتكافِ فى مسجدِهِ ، حيثُ قالَ : (أَحَبُّ النَّاس إلى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاس، وَأَحَبُّ الأَعْمَال إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِم ، أَوْ تَكَشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ ـ يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِـ شَهْرًا).

وأخيرًا نؤكدُ أنَّ قضاءَ حوائجِ الناسِ والقِيامَ بِمُتَطَلَّبَاتِ حياتِهِم لَيْسَ مُجَرَّدَ نافِلَةٍ ، إنَّمَا هُو واجِبٌ شَرْعِيٌّ ووَطَنِيٌّ.

* * *

الحج مدرسة أخلاقية

الحَمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، القَائِلِ في كِتَابهِ الكريمِ:{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ}. وأشهدُ أن لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدهُ لا شَريكَ لهُ ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كلِّ شيء قدير، وأشهدُ أنَّ سيِّدَنَا ونَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُهُ ورسُولُهُ ، القائِلُ في الحديث الشريف : (مَنْ حَجَّ ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ ، ومَنِ اهْتَدَى بِهَدْيِهِ وَسَلَكَ طَرِيقَهُ إلَى يَوْمِ الدِّينِ.
أما بعد :

فإن جميع العبادات تحمل في مضامينها قيمًا ومعانيَ أخلاقية سامية ، ذلك لأن الإسلام قد ربطها جميعها بمكارم الأخلاق ، فما من عبادة شرعها الإسلام من صلاة ، وصيام ، وزكاة ، وحج ، إلا ولها أثر يظهر على سلوك الفرد في السمو الأخلاقي، بل إن هذا الأثر يتعدى الفرد إلى المجتمع ، فالإسلام ليس طقوسًا جوفاء لا علاقة لها بالواقع، ولا أثر لها في السلوك ، إذ لا يعقل أن يخرج العابد من عبادته ليغُشَّ أو يحتكر ، أو يؤذي جاره ، أو يكذب ، أو يخون ، أو يخلف العهد أو الوعد ، إنما شرعت العبادات في جميع الأديان لترتقي بسلوكيات الإنسان ، وتسمو بأخلاقه.

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، حيث يقول الحق سبحانه: {اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ}. فالصلاة إن لم تؤثر في

صاحبها وتمنعه عن الفحشاء والمنكر فلا أثر لها ولا ثمرة ، بل إنها قد تكون وبالاً على صاحبها ، لأن صلاته وسوء سلوكه تكون عامل صدٍّ عن الدين لا دعوة إليه ، يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا).

وكذلك سائر العبادات ، تسمو بتزكية النفس ، والارتقاء بها إلى مكارم الأخلاق ، فالزكاة طهرة لنفس الغني من البخل والشح والأنانية ولنفس الفقير من الحقد والبغض والحسد ، حيث يقول الحق سبحانه: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.

كذلك يعمل الصيام على تهذيب الأخلاق والسلوك ، فمن خلاله يتعود المسلم على ضبط أخلاقه وغرائزه ، فرب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ، فالصوم الحقيقي لابد وأن يترك أثرًا في سلوك المسلم وأخلاقه ، وهذا ما أكد عليه نبينا (صلى الله عليه وسلم) حين قال: (... وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ ...).

وأما الحج الذي نحن بصدد الحديث عنه فهو مدرسة لتعليم الفضائل والأخلاق الإسلامية ، وتهذيب السلوك الإنساني القويم ؛ يتربى فيها المسلم على تقوى الله ، والطهر ، والعفاف ، والتحكم في غرائز النفس وشهواتها ، والتحلي بمكارم الأخلاق من الإيثار لا الأثرة والاستغناء والتعفف لا السؤال والابتذال ، وأن يوسع على نفسه وعلى

أهله وعلى الفقراء والمحتاجين لا أن يكون بخيلاً شحيحًا، كما أنه يربي في المسلم الدقة في الأقوال والأفعال ، والالتزام والانضباط ، فالحاج من خِلال حَجِّه يتوجب عليه أن يُطبِّق عمليًّا ما ربَّاه عليه الإسلام من القيم والأخلاق ، منها الحِلم ، والصبر ، والعمل ، والكرم ، والبذل والتضحية ، والإيثار ، والبِر ، والرحمة ، ومساعدة الضعفاء ، ونشر السلام والتواضع ، وغير ذلك من أخلاق الإسلام التي تغرسها فريضة الحج في نفوس المسلمين ؛ ليخرج الحاج من مدرسة الحج وقد تحققت له مضامينه الأخلاقية والسلوكية؛ لأجل ذلك ربط القرآن بين أداء الحج واستقامة السلوك الإنساني؛ فقال سبحانه:{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ حَجَّ ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ).

والحج سلام كله ، فالحاج لا يخاصم ، ولا يجادل ، ولا يهيج صيدًا ولا ينفره أو يقتله ، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ} . ولا تقتصر المسالمة على الإنسان والحيوان فحسب ، بل تمتد إلى النباتات ، فالحاج مأمورٌ حتى بمسالمة النبات ، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (إن هذا البلد حرّمه الله لا يُعْضَدُ شوْكُه ـ أي: لا يُقطع ـ ، ولا يُنفَّرُ صَيدُه ، ولا يَلتقط لُقطتَه إلا مَن عَرَّفها).

إنه تدريب للمسلم على أن يَسْلَمَ من أذاه البشرُ والشجرُ والحجرُ وقد أخبرنا (صلى الله عليه وسلم) بأن المسلم هو (مَن سلم الناس من

لسانه ويده). فلا يكون الحج مبرورًا يعود الحاج منه كيوم ولدته أمه إلا إذا اجتنب صاحبه الرفث والفسوق والجدال .

فعلى الحاج أن يتجنب الغيبة والنميمة والرفث والفسوق والعصيان والجدل ، وكلَّ ما من شأنه أن ينال من حجه ، وليحرص على اغتنام هذه الفرصة التي قد لا تواتيه مرة أخرى ، وقد لا يعوضها إن ضيعها ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا ؛ لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يُصِيبَهُ مِنْهَا نَفْحَةٌ لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا). فليتحلَّ الحاج بمكارم الأخلاق قبل الحج، وأثناء الحج ، وبعد الحج ، وليدرك أن قبول حجِّه مرهون بمدى تخليه عن مساوئ الأخلاق وتحليه بمكارمها .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله وكفى ، والصلاةُ والسلامُ على النبيِّ المصطفى ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى .

إخوة الإسلام : من علامات قبول الطاعة والعبادة أن تترك أثرًا بيِّنًا في أخلاق وسلوك صاحبها ، يقول الحق سبحانه : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} .

والمتأمل في مقاصد العبادات يجد أن الغاية المنشودة منها: تقوية الصلة بين العبد وربه ، وتزكية النفس البشرية ، وتهذيب السلوك والارتقاء بالخلق الإنساني ، فإذا لم تؤثر العبادة في خلق الإنسان

وتهذب من سلوكه فلا قيمة لها ولا ثمرة لها في الآخرة ، فنبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يقول : (أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ)؟ قَالُوا: المُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (المُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) ، ولما سئل (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا ، وَصِيَامِهَا ، وَصَدَقَتِهَا ، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا ، قَالَ: (هِيَ فِي النَّارِ).

ولكي ينهل الحاج من مدرسة الحج فتتحقق هذه السلوكيات الطيبة وينعم بالقبول فلابد له من أن يتحرى المال الحلال لنفقات الحج ، فقد ذَكَرَ النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ، يَا رَبِّ ، يَا رَبِّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟.

* * *

فضائل العشر الأول من ذي الحجة
وأهمية اغتنامها

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ}. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ، ورضي لنا الإسلام دينًا، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله القائل: (مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ) يَعْنِي الْعَشْرَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: (وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ)، فاللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه ومن اهتدى بهديه وسلك طريقه إلى يوم الدين. أما بعد :

فمن فضل الله تعالى وكرمه على عباده أن جعل لهم مواسم للخيرات تضاعف فيها الحسنات ، وتكثر فيها الخيرات ، وتتنوع فيها الطاعات ، ومن هذه الأيام العشر الأول من شهر ذي الحجة ، حيث يجتمع فيها حجاج بيت الله الحرام في أطهر بقعة من الأرض ، عند بيته المحرم ، يتسابقون في الطاعات ، ويتنافسون في الخيرات ، ويلبون نداء أبيهم إبراهيم (عليه السلام) حيث يقول الحق سبحانه : {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}.

تلك الأيام المباركة عرف المسلمون قدرها ومكانتها ، فسارعوا فيها إلى الخيرات رغبة في التقرب إلى الله عز وجل الذي يجزى الحسنة بعشر أمثالها، قال سبحانه: {مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا}.

ومن فضائل هذه الأيام : أن الله عز وجل أقسم بها في كتابه الكريم: والله سبحانه لا يقسم إلا بعظيم ، فالقَسَم بها يدلُ على عظمتها ورفعة مكانتها وتعظيم الله تعالى لها ، وتنويهًا بشأنها وفضلها، وإرشادًا لأهميتها ومكانتها ومنزلتها، قال سبحانه:{وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * والشفع والوتر} وما عليه جمهور المفسرين أن الليالي العشر هنا هي عشر ذي الحجة حيث ورد عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أنه قال في تفسير هذه الآيات (العشر: عَشْرُ النَّحْرِ، وَالْوَتْرُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّفْعُ يَوْمُ النَّحْرِ).

ومنها : أنَّ الله (تعالى) أمر عباده بكثرة ذكره فيها ، وذلك إعلامًا بفضلها وإظهارًا لشعائرها ، حيث سماها في القرآن الكريم بالأيام المعلومات فقال :{وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ}، قال ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله تعالى (فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ): (هي أيام العشر).

ومنها : أن العمل الصالح فيها أحبّ إلى الله (عز وجل) من العمل في سواها ، كما قال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حيث قال: (مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ) يَعْنِي الْعَشْر، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: (وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ).

ومنها: أن فيها يوم عرفة ، يوم تُجاب فيه الدَّعوات ، وتُقال فيه العَثَرات ويباهي اللهُ فيه الملائكة بأهل عرفات، وهو يومٌ أكمل الله فيه الدِّين وأتم فيه النِّعمة ، فعنْ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : أنَّ رجُلاً منَ اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا – معشرَ اليهود – نزلَتْ، لاتَّخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: أي آية؟ قال: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} قال عمر: (قد عَرَفنا ذلك اليوم ، والمكان الذي نزلتْ فيه على النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو قائم بِعَرَفة يوم الجمعة). وهو يوم مغفرة الذُّنوب، والعِتق منَ النار، والمباهَاة بأهل الموقف ، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِم الْمَلَائِكَةَ).

ومن فضائل العشر أيضا : أن فيها يوم النَّحر ، وهو العاشر من ذي الحجّة، وفيه أغلب أعمال النُسُك: من رمي الجمرة الكبرى ، وحَلْق الرّأس، وذبح الهَدْي، والطَّواف، والسّعي ، وصلاة العيد، وذبح الأُضحية واجتماع المسلمين في صلاة العيد ، وتهنئة بعضهم بعضًا ، ونبذ ما كان من شحناء أو بغضاء ، إذ ينبغي أن نستقبل العيد بقلوب صافية ونفوس مؤمنة راضية ، محبة للخير ، مع صلة الرحم ، ووصل ما انقطع ، ففي الحديث القدسي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (أَنَا اللَّهُ، وَأَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنَ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِىء ، وَلكِنَّ الوَاصِلَ

الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا) أيام بهذا الفضل حريّ بكل مسلم أن يغتنمها ، فهي أيام العمل والمسارعة إلى الخيرات ، وهي أيام الفوز والسعادة والفلاح ، فالسعيد من اغتنم هذه الأيام واستثمرها في طاعة الله ، وتقرب فيها إلى مولاه، عسى أن تصيبه نفحة من النفحات فلا يشقى بعدها أبدًا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله وكفى ، والصلاةُ والسلامُ على النبيِّ المصطفى ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى ، إخوة الإسلام :

إن الأعمال المشروعة في هذه الأيام المباركة (أيام العشر من ذي الحجة) كثيرة ومتنوعة ، منها:

الصــوم : فهو من أفضل الأعمال ، وقد أضافه الله (عز وجل) إلى نفسه لعظم شأنه وعلو قدره، فقال سبحانه في الحديث القدسي (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) ، وقد صح في الحديث (مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا) ، ومن ثمَّ فيسن للمسلم أن يصوم التسع من ذي الحجة، فصومها من الأعمال المحببة إلى الله تعالى ، وخاصة صيام يوم عرفة لغير الحاج: فقد خص النبي (صلى الله عليه وسلم) صيامه من بين أيام العشر، حيث قال (صلى الله عليه وسلم) : (صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ).

ومنها: كثرة التكبير والتحميد والتهليل والذكر : لقوله سبحانه: {وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ} ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ).

ومنها: الإكثار من الصدقة ، لإدخال الفرح والسرور على الفقراء والمحتاجين، حتى ينعم الجميع بالسعادة في هذه الأيام ، وقد حث عليها ربنا حيث قال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ}، وفي الحديث : (ما نقصت صدقة من مال)، ولا سيما في هذه الأيام التي تضاعف فيها الحسنات ، فما أحوجنا إلى التكافل والتراحم ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فِي الدُّنْيَا سَتَرَهُ اللهُ فِي الْآخِرَةِ وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ، مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ).

ومن الأعمال المشروعة أيضًا : الأضحية ، فهي شعيرةٌ من شعائر الله قال تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ}، وسنة من سنن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ينبغي الالتزام بها للمستطيع فحين سئل (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الْأَضَاحِيُّ؟ قَالَ: (سُنَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ)، وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ يَوْمَ النَّحْرِ عَمَلًا أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هِرَاقَةِ دَمٍ، وَإِنَّهُ لَتَأْتِي

يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَظْلَافِهَا وَأَشْعَارِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنْ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) بِمَكَانٍ ، قَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ، فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا). فهي قربة يتقرب بها العبد إلى الله (عز وجل) ، والله طيب لا يقبل إلا طيِّبًا.

* * *

الحقوق المتكافئة في خطبة الوداع

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، نصح الأمة ، وكشف الله به الغمة ، وأخرجنا به من الظلمات إلى النور صلوات ربي وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد:

ففي العام العاشر من الهجرة خرج النبي (صلى الله عليه وسلم) في جمع من الصحابة لأداء فريضة الحج ، وفي صعيدِ عرفات قام النبي (صلى الله عليه وسلم) خطيبًا بخطبته الجامعةِ، والتي تعد ببلاغة كلماتها وفصاحة ألفاظها وما تضمنته من معان من جوامع كلمه (صلى الله عليه وسلم).

وإذا تأملنا خطبة الوداع بكل ما فيها من معانٍ وقيم ، وأمعنا فيها النظر وجدنا أنها قد تطرقت إلى جوانب دقيقة من حياة الإنسان ، فهي تعد أعظم وثيقة تاريخية في مجال حقوق الإنسان- بغض النظر عن دينه أو معتقده أو لونه أو جنسه- ، ويأتي في مقدمة هذه الحقوق حق الحياة والحفاظ على المال والعرض ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وأعراضكم عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ) ، فلاَ يحلُّ لإنسان أَنْ يعتدِيَ علَى أخيهِ بأي نوع من أنواع الاعتداء ، أو أن يتعرضَ لهُ بأي لون من ألوان الإيذاءِ ، لقوله

(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):(كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ)، فقد حرم الإسلام الدماء كل الدماء والأموال كل الأموال والأعراض كل الأعراض دون استثناء أو انتقاء، فعندما حرم الإسلام قتل النفس لم يحرم قتل النفس المؤمنة فحسب أو المسلمة فحسب أو الموحدة فحسب ، إنما حرم قتل النفس كل النفس وأي نفس فقال سبحانه وتعالى :{ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} .

فمن شدة عناية الإسلام بحفظ الدماء جعل الاعتداء على نفسٍ واحدةٍ اعتداءً على أنفس الناس جميعًا، قال تعالى:{فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا}، وقد توعد الحق سبحانه وتعالى على ذلك بأشد أنواع العقاب في الدنيا والآخرة ، فقال سبحانه :{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}، بل إن الإسلام نهى عن مجرد التخويف والترويع للآمنين ، يقولُ نبيُّنَا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):(لا يَحِلُّ لمسلمٍ أنْ يُرَوِّعَ مسلمًا)، كما حرَّم الإسلام الاعتداء على غير المسلمين ممن لهم عهد وذمة وشدد على ذلك تأسيسًا لمبدأ التعايش السلمي بين البشر ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا) .

وكما دعا النبي (صلى الله عليه وسلم) في خطبة حجة الوداع إلى حماية الدماء دعا أيضا إلى **حماية الأموال وصيانتها** ، **وحرّم**

الاعتداء عليها ، فَقَالَ: (إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ) ولقد حذر القرآن الكريم من الاعتداء على الأموال غصبًا ، أو سرقةً ، أو احتيالا ، فقال تعالى:{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}.

ومن المبادئ الإنسانية العظيمة التي أرست قواعدها خطبة الوداع **حرمة انتهاك الأعراض واستباحتها بالقيل والقال والغيبة والنميمة والظن والبهتان**، لذا جمع الرسول (صلى الله عليه وسلم) بين حرمة المال وحرمة الدم والعرض في سياق واحد حين أعلن (صلى الله عليه وسلم) هذا المبدأ بقوله: (إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ).

ولقد عُني الإسلام بالأعراض فصانها وحرم الاعتداء عليها ، بالإيذاء أو النظر أو القذف ، ومن أجل الحفاظ على الأعراض : حرم الله (عز وجل) الزنا ، ونهى عن القرب من الوسائل المؤدية إليه ، فقال سبحانه:{وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً}.

كما نهى الإسلام عن مجرد إيذاء الآخرين باللسان ، فحرم الله (عز وجل) السخرية ، والهمز واللمز ، وأن يعيب المسلم أخاه أو ينتقصه وحرم الغيبة والنميمة ، وحرم القذف بالفاحشة، ولو تدبَّر الناس هذه المبادئ التي جمعتها خطبة الوداع لَمَا اعتدى أحد على أحد ، ولَمَا

سُفِكَت الدماء، ونُهبت الأموال ، وسُرقَت ، و لَعاشَ الناس عيشةً هنيئةً فيها سعادتهم الدُّنيوية قبل الأُخرويَّة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه ومن اهتدى .

من المبادئ الإنسانية التي دعا إليها نبينا (صلى الله عليه وسلم) في خطبة الوداع مبدأ المساواة بين جميع أفراد الأمة ، حين قال : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِي ٍّ عَلَى عَجَمِي ٍّ ، وَلاَ لِعَجَمِي ٍّ عَلَى عَرَبِي ٍّ ، وَلاَ أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ ، إِلاَّ بِالتَّقْوَى)، ويقول سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ... } .

وقد رسَّخ النبي (صلى الله عليه وسلم) لمبدأ المساواة عمليًّا بين جميع أفراد الأمة في قصة المرأة المخزومية ، فعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ ، فَقَالُوا : وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا).

إن مبدأ المساواة مبدأ شرعي أصيل وقيمة إنسانية راقية تحقق التوازن في المجتمع ، فإذا انتهك هذا المبدأ بين أفراد الأمة عمَّت الفوضى وحل الهلاك كما حل بالأمم السابقة.

ومن الأمور التي أسس لها النبيّ (صلى الله عليه وسلم) أيضًا في حجة الوداع: **الحقوق المتبادلة بين الزوجين**، مبينًا ما للمرأة من حقوق وما عليها من واجبات ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ....، إِنَّ لَكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ حَقًّا ، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ ، فَلاَ يُوَطِّئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ ، وَلاَ يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلاَ وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ).

فالحقوق المتبادلة بين الزوجين مضبوطة بالأمر بحسن العشرة وتحقيق المودة والرحمة بينهما: قَالَ تَعَالَى: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} .

فبالحقوق المتكافئة وإرساء مبدأ الحق والواجب يستقيم أمر الفرد والمجتمع ،فلو أن كل إنسان أدى الذي عليه على الوجه الذي يريد أن يحصل به على حقه لاستقام الأمر بين الزوجين ، بين المعلم والطالب بين العامل وصاحب العمل ، بين الفرد وأسرته ، وبينه وبين المجتمع مما يؤدي إلى الراحة والطمأنينة والاستقرار والتقدم والرقي.

وأخيرًا نؤكد على فضل صيام يوم عرفة حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم):(صَوْمُ يَوْمِ عَرَفَةَ يُكَفِّرُ سَنَتَيْنِ مَاضِيَةً وَمُسْتَقْبَلَةً، وَصَوْمُ عَاشُورَاءَ يُكَفِّرُ سَنَةً مَاضِيَةً)، وعلى شعيرة الأضحية، حيث يقول نبينا (صلى

الله عليه وسلم): عندما سئل عن الْأَضَاحِيِّ؟ قَالَ : (سُنَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ) ويقول (صلى الله عليه وسلم): (مَا تُقُرِّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ النَّحْرِ بِشَيْءٍ هُوَ أَحَبُّ إِلَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ، وَأَنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلَافِهَا ، وَأَنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ فَيَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا).

* * *

فضائل الصحابة (رضي الله عنهم)
ونماذج من سيرتهم العطرة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فلقد اختار الله سبحانه وتعالى لنبيه (صلى الله عليه وسلم) رجالاً أصفياء، وصحابةً أخيارًا صالحين، آمنوا به وأيدوه ونصروه، تخرجوا من مدرسته (صلى الله عليه وسلم) وتربوا على يديه، ونهلوا من المنبع الصافي الذي يفيض إيمانًا وقوة ، فكانوا أصدق الناس إيمانًا ، وأكثرهم علمًا ، وأدقهم فهمًا، وأحسنهم عملاً ، حملوا راية الدين إلى أرجاء الدنيا، لا يخشون في الله لومة لا ئم ، ففازوا برضوان الله (عز وجل) ومدحهم الحق سبحانه وتعالى في قرآنه الحكيم بقوله: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}. أولئك هم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذين اختارهم الله لصحبة رسوله الخاتم إلى العالمين.

جيل كان له السبق في تغيير وجه الحياة ، فقد حمل النور الذي جاء به سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله وسلم) للعالم أجمع، ومهما حاولنا

اللحاق بهم فلن نستطيع مهما فعلنا، ويكفى أن نعلم أننا لو تصدقنا كل يوم بمثل جبل أحد ذهباً ما بلغنا مد أحدهم ولا نصيفه ، كما أشار إلى ذلك الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال: (... فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ). وذلك لأنهم تحملوا أعباء نشر هذا الدين ولاقوا ما لاقوا من أجله، قدموا أنفسهم وأرواحهم وأموالهم في سبيل نصرة دين الله (عز وجل)، ونصرة رسوله (صلى الله عليه وسلم)، قال سبحانه وتعالى: { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

وإذا كان من حق سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) علينا أن نقرأ سيرته وسنته لنتأسى به ونقتدي بهديه، ونعمل بشريعته، فإن من حق أصحابه (رضي الله عنهم) علينا أن نعرف فضائلهم ومكانتهم ونقرأ تاريخهم؛ لنتشبه بهم في مكارم أخلاقهم ، وفي طاعتهم وعبادتهم لله رب العالمين، ولنأخذ العبرة والعظة من حياتهم ، فهم الذين اختارهم الله تعالى وانتقاهم لصحبة نبيه (صلى الله عليه وسلم)، ونشر رسالته من بعده لأنهم أفضل هذه الأمة، وصفهم الله تعالى بأوصاف الكمال ، عدَّلهم وزكاهم ، فلم تعرف البشرية لهم مثيلاً في التقوى والورع والإخلاص أثنى الله - تعالى- عليهم ، وبين ما أعده لهم من الجزاء العظيم بقوله:

{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ}.

ولبيان مكانتهم وعلو منزلتهم ذكر الله شرف صحبتهم ببعض صفاتهم في قرآنه الحكيم ، بل أثنى عليهم في التوراة والإنجيل، فقال سبحانه: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً}. فوصفهم الحق سبحانه بأنهم أشداء على الكفار في غير ظلم، رحماء بينهم ، عابدون لله وحده لا يشركون به شيئاً، راكعون ساجدون، لا يبتغون الفضل والرضوان إلا منه، قد أثرت فيهم العبادة حتى ظهر أثر ذلك على جوارحهم، فإذا رأيت الواحد منهم علمت أنه ممن يحب الله ويخشاه؛ ولذلك (رضي الله تعالى عنهم)، وهي أعظم منة يمن الله بها على عباده، قال تعالى:{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا}.

وإذا ما تصفحنا سنة الحبيب المصطفى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وجدناها مليئة بالأحاديث التي تدل على عظيم فضلهم ، وسمو مكانتهم وعلو منزلتهم وشأنهم ، ومن ذلك: شهادته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بأنهم أفضل القرون وخير الأمم ، فعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) أن

النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ) ، وإنما صاروا خير القرون؛ لأنهم آمنوا به (صلى الله عليه وسلم) حين كفر به الناس، وصدقوه حين كذبه الناس، وعزروه، ونصروه، وآووه وواسوه بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله. وفي مسند الإمام أحمد ، عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: (إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّئٌ) .

ومنها: ما أشار إليه النبي (صلى الله عليه وسلم) بأنهم أمنة للأمة ، يقول (صلى الله عليه وسلم): (النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ) ، فكان وجود الصحابة (رضي الله عنهم) أمان للأمة من ظهور البدع ، بل إن بركتهم (رضي الله عنهم) امتدت لتشمل جيلين بعدهم، فعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه)أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ فَيَقُولُونَ: فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)؟. فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ

لَهُمْ. ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ). والفئام: الجماعة الكثيرة.

ومنها: **أن الله** (**عزّ وجلّ**) **شهد لهم بالبذل والعطاء والجود والمجاهدة فى سبيله وابتغاء مرضاته**، ووعدهم على هذا بالنعيم المقيم في جنات الخلد ، قال تعالى:{لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}. يقول عمر بن الخطاب (رضى الله عنه): (أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟) ، قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟) قَالَ: (أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أبدًا)).

وإذا كانت هذه هي مكانة صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فإن حبهم (رضي الله عنهم) والإقرار بأفضليتهم على غيرهم من الإيمان الواجب على كلِّ مسلمٍ ، لأنه دليل على حب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي أحبهم واختارهم أصحابًا له، فالمؤمن يحب كل

من يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، وعلى رأسهم الصحابة (رضي الله عنهم)، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (اللَّهَ اللَّهَ فِى أَصْحَابِى، اللَّهَ اللَّهَ فِى أَصْحَابِى، لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِى، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّى أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِى أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِى، وَمَنْ آذَانِى فَقَدْ آذَى اللَّهَ وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ)، وفي الصحيحين أيضًا عن البراء بن عازب عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال في الأنصار: (لا يُحبُّهم إلا مؤمنٌ، ولا يُبغضهم إلا منافقٌ، مَن أَحبهم أحبَّه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله) ، فحبهم دليل على الإيمان والطاعة لله رب العالمين، وبغضهم دليل على النفاق والعصيان ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ) .

وقد حرمت الشريعة الإسلامية الطعن فى الصحابة (رضي الله عنهم)، لأن الذي اختارهم لصحبة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وأثنى عليهم، وترضى عنهم هو الحق سبحانه ، ثم كان الثناء والمدح لهم من النبى (صلى الله عليه وسلم)، كما نهانا المصطفى (صلى الله عليه وسلم) عن سبهم، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (لاَ تَسُبُّوا أصحابي لاَ تَسُبُّوا أصحابي فَوَ الَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ) وعن عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ

فَلَمَقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ أَحَدِكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً)، ومن ثمَّ فيجب علينا أن نحفظ لهم قدرهم، ونعرف لهم منزلتهم ومكانتهم.

والناظر في حياة الصحابة (رضي الله عنهم) يجد قدرا عاليا من الإيمان، والامتثال والحب لله ولرسوله (صلى الله عليه وسلم)، ويجد ترجمة حقيقية للتحلي بمكارم الأخلاق ، فكانوا خير قادة وأفضل سادة ضربوا أروع الأمثلة في البذل والعطاء ، والعلم والعمل ، والتضحية والفداء من أجل نصرة دين الله (عز وجل)، حتى نزل فيهم قول الله تعالى:{لِلْفُقَرَاءِ المُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}.

وأبرز مثال على ذلك: **سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)** حيث نام في فراش رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليلة الهجرة ليفديه بنفسه وروحه ، وهو يعلم أن المشركين يقفون له بسيوفهم ليقتلوه.

وكذلك صهيب الرومي يضحي بماله لنصرة دين الله عز وجل ونصرة نبيه (صلى الله عليه وسلم)، فحِينَ أَرَادَ الْهِجْرَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ لَهُ كُفَّارُ قُرَيْشٍ: أَتَيْتَنَا صُعْلُوكًا، فَكَثُرَ مَالُكَ عِنْدَنَا، وَبَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ ثُمَّ تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ بِنَفْسِكَ وَمَالِكَ، وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَعْطَيْتُكُمْ مَالِي أَتُخَلُّونَ سَبِيلِي؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَكُمْ مَالِي، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: (رَبِحَ صُهَيْبٌ، رَبِحَ صُهَيْبٌ)، وفيه نزل قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ}.

وها هو أبو بكر الصديق (**رضي الله عنه**) يضرب أروع الأمثلة في الأخلاق الحميدة، والصفات النبيلة حتى صار قدوة في الخير ، وأسوة في مكارم الأخلاق ، حتى شهد له النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بالجنة فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟) قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: (فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟) قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: (فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟) قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: (فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟) قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ).

وهذا عمر بن الخطاب (**رضي الله عنه**) يطوفَ ذات لَيْلَةٍ ، فَإِذَا هُوَ بِامْرَأَةٍ مَعَهَا صِبْيَانٌ صِغَارٌ وَقِدْرٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى نَارٍ وَصِبْيَانُهَا يَتَضَاغَوْنَ فَقَالَ عُمَرُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَصْحَابَ الضَّوْءِ، وَكَرِهَ أَنْ يَقُولَ: يَا أَصْحَابَ النَّارِ، فَقَالَتْ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، فَقَالَ: أَدْنُو؟، فَقَالَتِ: ادْنُ بِخَيْرٍ أَوْ دَعْ، فَدَنَا فَقَالَ: مَا بَالُكُمْ؟ قَالَتْ: قَصَّرَ بِنَا اللَّيْلُ وَالْبَرْدُ، قَالَ: فَمَا بَالُ هَؤُلَاءِ الصِّبْيَةِ يَتَضَاغَوْنَ؟ قَالَتِ: الْجُوعُ، قَالَ: فَأَيُّ شَيْءٍ فِي هَذِهِ الْقِدْرِ؟ قَالَتْ: مَا أُسْكِتُهُمْ بِهِ حَتَّى يَنَامُوا، وَاللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيْ رَحِمَكِ اللَّهُ، وَمَا يُدْرِي عُمَرَ بِكُمْ؟ قَالَتْ: يَتَوَلَّى عُمَرُ أَمْرَنَا ثُمَّ يَغْفُلُ عَنَّا. قَالَ زَيْد بْن أَسْلَم– راوي الحديث– : فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: انْطَلِقْ بِنَا، فَخَرَجْنَا نُهَرْوِلُ حَتَّى أَتَيْنَا دَارَ الدَّقِيقِ، فَأَخْرَجَ عِدْلًا مِنْ دَقِيقٍ وَكَبَّةً مِنْ شَحْمٍ، فَقَالَ: احْمِلْهُ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: أَنَا أَحْمِلُهُ عَنْكَ، قَالَ: أَنْتَ تَحْمِلُ عَنِّي وِزْرِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا

أُمَّ لَكَ؟ فَحَمَلْتُهُ عَلَيْهِ فَانْطَلَقَ، وَانْطَلَقْتُ مَعَهُ إِلَيْهَا، نُهَرْوِلُ، فَأَلْقَى ذَلِكَ عِنْدَهَا وَأَخْرَجَ مِنَ الدَّقِيقِ شَيْئًا، فَجَعَلَ يَقُولُ لَهَا: ذُرِّي عَلَيَّ، وَأَنَا أُحَرِّكُ لَكِ، وَجَعَلَ يَنْفُخُ تَحْتَ الْقِدْرِ ثُمَّ أَنْزَلَهَا، فَقَالَ: أَبْغِينِي شَيْئًا، فَأَتَتْهُ بِصَحْفَةٍ فَأَفْرَغَهَا فِيهَا ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ لَهَا: أَطْعِمِيهِمْ وَأَنَا أُسَطِّحُ لَهُمْ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى شَبِعُوا، وَتَرَكَ عِنْدَهَا فَضْلَ ذَلِكَ، وَقَامَ وَقُمْتُ مَعَهُ، فَجَعَلَتْ تَقُولُ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، كُنْتَ أَوْلَى بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَقُولُ: قُولِي خَيْرًا إِذَا جِئْتِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَدِّثِينِي هُنَاكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ تَنَحَّى نَاحِيَةً عَنْهَا ثُمَّ اسْتَقْبَلَهَا فَرَبَضَ مَرْبَضًا، فَقُلْنَا لَهُ: إِنَّ لَنَا شَأْنًا غَيْرَ هَذَا، وَلَا يُكَلِّمُنِي حَتَّى رَأَيْتُ الصِّبْيَةَ يَصْطَرِعُونَ ثُمَّ نَامُوا وَهَدَأُوا، فَقَالَ: يَا أَسْلَمُ، إِنَّ الْجُوعَ أَسْهَرَهُمْ وَأَبْكَاهُمْ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ لَا أَنْصَرِفَ حَتَّى أَرَى مَا رَأَيْتُ.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام : كما كان للصحابيات (**رضوان الله تعالى عليهن أجمعين**) مواقف عظيمة في البذل والعطاء ، والتضحية والفداء من أجل نصرة دين الله (عز وجل)، نذكر منها :

موقف أم المؤمنين خديجة بنت خويلد (**رضي الله تعالى عنها**) التي قامت بدور عظيم في نشر دين الله عز وجل ، حيث وقفت مع زوجها النبي (صلى الله عليه وسلم) وضحت بمالها ونفسها، وهدأت من روعه

(صلى الله عليه وسلم) حين نزل عليه الوحي في غار حراء ، وقالت له بكل ثبات وثقة ، بلا خوف ولا فزع : (وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ) (رواه البخاري)، فكانت نعم الزوج الوفية التي تعرف لزوجها حقه ، ولذلك كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يكثر من ذكرها ويحسن الثناء عليها وفاءً لها، فعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ قَالَتْ: فَغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ (عَزَّ وَجَلَّ) بِهَا خَيْرًا مِنْهَا، قَالَ: (مَا أَبْدَلَنِي اللهُ (عَزَّ وَجَلَّ) خَيْرًا مِنْهَا قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ (عَزَّ وَجَلَّ) وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ)

كذلك من النماذج الطيبة والقدوة الصالحة من **الصحابيات السيدة أم عمارة نسيبة بنت كعب الأنصارية** التي قال عنها الرسول (صلى الله عليه وسلم): (إنني في غزوة أحد مَا الْتَفَتّ يَمِينًا وَلَا شمالا إلا ورأيت أم عمارة تقاتل دوني) حتى جاء من يريد أن يقتل الرسول (صلى الله عليه وسلم) كلما أراد أن يطعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يجد أم عمارة أمامه، وأخذ يضربها بالسيف حتى غارت عظام كتفها من شدة ضرب السيف عليه، فقال لها الرسول (صلى الله عليه وسلم): (ما أشد ما تطيقين يا أم عمارة) قالت: بل أطيق وأطيق وأطيق يا رسول الله، فقال لها النبي (صلى الله عليه وسلم): (سليني يا أم

عمارة)، قالت: أسألك مرافقتك في الجنة يا رسول الله، فقال (صلى الله عليه وسلم): (لست وحدك يا أم عمارة، بل أنت وأهل بيتك) فقالت (رضوان الله عليها): مَا أُبَالِي مَا أَصَابَنِي مِنَ الدُّنْيَا (سير أعلام النبلاء).

فإذا أردنا أن نرتقي ونتقدم وننجو من المهالك ، ونفوز برضوان الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة، فلابد من أن نستضيء بنور صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ونسير على خطاهم، ونتخلق بأخلاقهم فهم قدوة للمؤمنين وأسوة للمسلمين ، أمرنا النبي (صلى الله عليه وسلم) أن نقتدي بهم، وأن نتمسك بسنتهم، فعن العرباض بن سارية أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ).

علينا أن نعلم أنفسنا، وأبناءنا، ونساءنا، أخلاق الصحابة الكرام وكيف كان اتباعهم لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وتضحيتهم في سبيل نصرته ودينه ، حيث باعوا أنفسهم بصدقٍ ويقين لله (عزّ وجلّ).

* * *

الهجرة تحول إيجابي نحو البناء والتعمير وكريم الأخلاق ولا مجال للهجرة غير الشرعية في الإسلام .

الحمد لله ربّ العالمين ،القائل في كتابه :{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.... أما بعد

فإن من الأحداث العظيمة الفارقة التي وقعت في تاريخ الإسلام والمسلمين حادث الهجرة ، الذي ظل وسيظل محفورًا في أعماق التاريخ يؤكد على اقتران الإيمان بالعمل ، وعلى أهمية الأخذ بالأسباب مع حسن التوكل على الله عز وجل .

لقد كان للهجرة النبوية الشريفة دور كبير وأثر بارز في تغيير مسار الدعوة الإسلامية وانتشارها ؛ إذ بالهجرة تحقق موطن حقيقي للإسلام ينطلق منه إلى شتى بقاع الأرض ، يحمل راية التوحيد والأمن والأمان والسعادة للبشرية كلها ، فلم تكن الهجرة حدثًا عابرًا في تاريخ الدعوة الإسلامية أو حتى في تاريخ البشرية كلها ، ولم تكن حدثا شخصيا يرتبط بحياة النبي (صلى الله عليه وسلم) فقط ؛ بل كانت الهجرة حدًّا فاصلا بين عهد الضعف والانكسار ، وعهد العزة والكرامة والانتصار .

إننا اليوم في حاجة أن نأخذ من ماضينا لحاضرنا ، ونعتبر بمرور الأيام والأحداث ، ونتدبر أحداث الهجرة النبوية ونتائجها ، ونستلهم منها الدروس والعبر التي أكدت على انتظام سنن الله الكونية في انتصار الحق

على الباطل ، والبناء على الهدم ، وأسست لبناء دولة الإسلام على العدل والعلم والعمل ، والحرية والإخاء والمساواة ، ورعاية الحقوق والواجبات والتعايش السلمي بين البشر جميعًا على اختلاف أعراقهم وأديانهم ؛ مما ينبغي أن نأخذ منه العبرة والقوة في تعايشنا السلمي والتحام نسيجنا الوطني دون إقصاء أو تمييز في الحقوق والواجبات على أساس الدين أو اللون أو العرق ، غير أن الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان انتهت بعد فتح مكة ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لا هِجْرَةَ بعدَ الفَتْحِ؛ ولكنْ جِهاد ونِيَّة) ، ولما أسلم صفوان بن أُمَيَّة جاء مهاجرًا إلى المدينة، فقال له النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):(مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا وَهْبٍ؟). قَالَ: قِيلَ: إِنَّهُ لاَ دِينَ لِمَنْ لَمْ يُهَاجِرْ، فَقَالَ النبي (صلى الله عليه وسلم) : (ارْجِعْ أَبَا وَهْبٍ إِلَى أَبَاطِحِ مَكَّةَ... فَقَدِ انْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ).

إننا اليوم في أمسّ الحاجة إلى هجرة حقيقية إلى الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) دون تركٍ للأوطان ؛ بل بالحفاظ على الأوطان وفدائها بالنفس والنفيس، نحتاج إلى هجرة الذنوب والمعاصي والمنكرات خوفا من الله (عزّ وجلّ) ، وحياء منه ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ) ، وسئل النبي (صلى الله عليه وسلم) : أي الأعمال أفضل؟ قال: (طُولُ الْقِيَامِ). قيل: فأي الصدقة أفضل؟ قال: (جَهْدُ الْمُقِلِّ). قيل: فأي الهجرة أفضل؟ قال: (مَنْ هَجَرَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ..) وسألت أُمُّ سُلَيْمٍ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ،

أَوْصِنِي. قَالَ: (اهْجُرِي الْمَعَاصِي ، فَإِنَّهَا أَفْضَلُ الْهِجْرَةِ وحافِظِي عَلَى الْفَرَائِضِ ، فَإِنَّهَا أَفْضَلُ الْجِهَادِ ، وَأَكْثِرِي ذَكَرَ اللَّهِ ، فَإِنَّكِ لَا تَأْتِينَ اللَّهَ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِهِ) .

كما أننا في حاجة إلى أن نهجر الغش ، والاحتكار ، والكذب وأن نهجر الفساد ، والهدم والتخريب ، إلى الأمانة والصدق في سائر المعاملات ، وإلى التكافل والتراحم ، فقد نهانا النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الغش بكل أنواعه ، كما نهانا عن الاحتكار أو أن نشق على الناس في أي من أمور حياتهم، فقال (صلى الله عليه وسلم): (لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ) ، وقال(صلى الله عليه وسلم) : (اللهُمَّ ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ).

كما أننا في حاجة إلى هجرة البطالة والكسل بكل أنواعهما وأسبابهما ، إلى العمل والإنتاج ، والجد والاجتهاد ، وأن نغزو الصحراء لنعمرها ، وأن نستثمر الطاقات ، ونقتحم العقبات والمصاعب ، فقد بيّن القرآن الكريم أهمية العمل في الحياة تحقيقًا للاستقرار ، فقال الحق سبحانه وتعالى :{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }، وأعلى النبي (صلى الله عليه وسلم) من قدر العامل المنتج فقال : (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ(عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ) ، وقوله (صلى الله عليه وسلم) : (لَأَنْ

يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا ، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ)، وبين النبي (صلى الله عليه وسلم) ثمرة العامل المجد في عمله بقوله : (مَنْ أَمْسَى كالًّا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ أَمْسَى مَغْفُورًا لَهُ).

كما أننا في حاجة إلى هجرة توقظ الضمائر ، وتحيي القلوب ، هجرة من سيئ الأخلاق والعادات إلى كريمها وصالحها ، ومن آفات اليد واللسان وحمل السلاح وترويع الآمنين ، وظلم النفس والغير ، والاعتداء على المال العام والخاص، وأكل الأموال بغير حق ، والإفساد في الأرض وغيرها إلى مراقبة الله(عز وجل) في العبادات والمعاملات ، في البيع والشراء ، في القول والعمل ، فمفهوم الهجرة بعد الفتح يعني أن نهجر السوء بكل أشكاله ، وأن نهاجر إلى الله بقلوبنا وأجسادنا ، وأن لا نسيئ إلى الإسلام بأفعالنا وتصرفاتنا الخاطئة ؛ بل أن يعمل كل منا على أن يكون صورة مشرقة مشرفة للإسلام والمسلمين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أكدنا أن الهجرة الحقيقية تعني التحول من المعاصي إلى تقوى الله(عز وجل)، ومن سيئ الأخلاق إلى كريمها وصالحها ، ومن الإفساد والتخريب إلى البناء والإصلاح والتعمير، ومن البطالة والكسل إلى الإنتاج والعمل ، غير أن هناك نوعين من الهجرة غير المشروعة وغير

الشرعية ، وكلاهما ذهاب إلى الهلكة ، أما الأولى: فهي الذهاب إلى الجماعات الإرهابية الضالة المضلة تحت وهم الجهاد الكاذب ، وهذه الجماعات لا علاقة لها لا بالجهاد ، ولا بالهجرة ، ولا بالإسلام على الإطلاق ؛ بل كل ذلك منهم براء .

أما النوع الثاني الذي يؤدي إلى الهلاك في الدنيا والآخرة : فهو خرق القوانين والتشريعات المنظمة لعلاقات الدول ، حيث يعمد بعض الناس إلى الهجرة والتسلل عبر البحار والمحيطات والصحراء والجبال ، مع ما في ذلك من انتهاك للقوانين التي تنظم التعامل والعلاقات بين الدول ، وتحافظ على الحقوق والواجبات ، كما أن هذه الهجرة فيها إهلاك للنفس وربما قتلها ، والله (عز وجل)حرم ذلك بقوله تعالى:{وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ..}.

فالإسلام أمرنا بالحياة الكريمة ، ونهانا عن الحياة الذليلة ، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ). قالوا: وكيف يذل نفسه؟ قال: (يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ) ، ذلك أن المهاجرين غير الشرعيين يعرضون أنفسهم لأمرين : الأول : هو الهلاك والثاني: هو المهانة إن نجوا من الهلاك ، وأشد منهم جرما هؤلاء المتاجرون بمعاناتهم في عملية أشبه ما تكون بتجارة البشر ؛ مما يتطلب جهودًا وطنية ودولية للعمل معًا على إزالة الأسباب المؤدية إلى هذه الهجرة من خلال العمل على توفير فرص العمل والحياة الكريمة المستقرة للناس في أوطانهم ، والضرب بيد من حديد على يد كل من

يُعرِّض حياة الناس للخطر أو يتاجر بمعاناتهم وآمالهم وأمانيهم ، ويجب أن نعمل جميعًا على تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى شبابنا عن الهجرة وأن نؤكد لهم بأن هذه الهجرة التي يمكن أن تؤدي إلى الهلكة ليست من الإسلام في شيء ، وإن أردتم هجرة حقيقية فلتكن هجرة إلى العمل الجاد بالطرق المشروعة ، إلى عمارة الصحراء والمناطق النائية لاستخراج كنوزها وإعمارها ، فمصر في حاجة إلى عقول أبنائها وسواعدهم ، وجهدهم وخبراتهم للبناء ، وبما يحقق لهم ولذويهم الحياة الكريمة مع التأكيد على أن الإيمان بالقضاء والقدر لا يعني أبدًا إلقاء النفس إلى التهلكة .

* * *

حسن الخاتمة والمداومة على الأعمال الصالحة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز :{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فإن المتأمل لسنة الله (عز وجل) في خلقه يرى سرعة انقضاء الأيام والشهور والسنين ، أيام تمرُّ وأعوام تكرُّ ، وما الحياة الدنيا إلا أنفاس معدودة، وآجال محدودة، وفي ذلك عبر لمن دقق النظر وأحكم الفكر ، وفي تغير الأحوال مدّكر ، يقول سبحانه:{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} .

لقد ودعنا شهر رمضان بلياليه وأيامه المباركة ، وودعه المسلمون وما زالت قلوبهم آسفة لفراقه ورحيله ، كيف لا ؟ وهو شهر عُمرت فيه القلوب بالإيمان، وصفت فيه النفوس ، وهذبت فيه الأخلاق ، وحُكمت فيه الجوارح بمنهج الله ورسوله، وأخلص العباد فيه العمل لله (عز وجل).

انقضى رمضان ، وربح فيه من ربح ، وخسر فيه من خسر ، فهنيئًا لمن صامه وقامه إيمانًا واحتسابًا ، ويا حسرةَ مَنْ ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، وليس له من قيامه إلا السهر والتعب. والمتأمل في حال كثيرٍ من المسلمين بعد مضي شهر رمضان ، يجد أنهم قد انقسموا إلى فريقين:

الأول: المؤمن الحق الذي أثر الصيام في أخلاقه وسلوكه ، فيعلم علم اليقين أن ربَّ رمضان هو رب جميع الشهور والأعوام ، فتجده دائم الصلة بربه (عز وجل)، فهو عبد رباني وليس عبدًا رمضانيًّا ، فيستمر على عبادته بعد رمضان ، والمحافظة على الصلوات وسائر العبادات ، والبعد عن المحرمات.

والثاني: حال العصاة والمذنبين فعادوا إلى أحضان الذنوب والآثام وقطعوا العبادة وانغمسوا في الشهوات والأهواء ، وعادوا إلى سيرتهم الأولى وكأن قلوبهم لم تتذوق حلاوة الإيمان ، وكأن جوارحهم لم تخشع لهيبة الملك الديان ، فبعد أن كانوا في رمضان أبرارًا أتقياء صاروا بعد رمضان جبابرة أشقياء ، تعدوا حدود الله ، وهتكوا حرمات الله وصدق فيهم قول الله (عز وجل): {وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ}، فهل يليق بالمؤمن الموحد بربه أن يعود خائبًا خاسرًا بعد هذا التوفيق العظيم في العبادة والطاعة في رمضان؟.

إن المؤمن الحق مطالب بالمداومة على الطاعات والعبادات

فالطاعة ليس لها موسمٌ معينٌ ، حتى إذا ما انقضى هذا الموسم عاد الإنسان إلى المعاصي مرة أخرى ، بل إنها مستمرة دائمة بدوام حياة العبد وتحقق شروط تكليفه بها ، وهذا ما كان يفعله النبي الكريم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فلقد سئلت أم المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها): (يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ كيف كان عَمَلُ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هَلْ كَانَ يَخُصُّ شَيْئًا مِنْ الْأَيَّامِ؟ قَالَتْ: لاَ، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً) ، وقيل لبشر الحافي – رحمه الله –: إن قوماً يتعبدون ويجتهدون في رمضان ، فقال: (بئس

القوم قوم لا يعرفون لله حقًّا إلا في شهر رمضان ، إن الصالح الذي يتعبد ويجتهد السنة كلها).

إن المداومة والمواظبة على الطاعات والعبادات هو امتثال لقول الله تعالى:{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}، وامتثال لقوله تعالى:{فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ*وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ}. أي: إذا انتهيت من عبادة وطاعة فتلبس بطاعة وعبادة أخرى قاصدا بها وجه الله (عزّ وجلّ).

ومن الأمور التي يجب أن يحرص عليها العبد حسن الخاتمة وحقيقتها: أن يُوفق الله عزّ وجلّ العبد قبل وفاته للابتعاد عما يغضبه سبحانه وتعالى، ويوفقه للتوبة من الذنوب والمعاصي ، والإقبال على الطاعات وأعمال الخير ، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة.

ولقد دعانا ربنا تبارك وتعالى إلى السعي الجاد لحسن الخاتمة فقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}.

ودعا إليها الأنبياء والمرسلون أتباعهم ، فالله (عزّ وجلّ) يقول عن إبراهيم ويعقوب (عليهما السلام) :{وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ*أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}، ويقول على لسان يوسف (عليه السلام):{رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما): أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول:(إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ) ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ) ، وعن بسر بن أبي أرطأة القرشي قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يدعو: (اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ) .

وحسن الخاتمة رجاء الصالحين ، فقد كان الصحابة (رضوان الله تعالى عليهم) يخافون من مكر الله تعالى ، ويسألونه حسن الخاتمة ويستعيذونه من سوء الخاتمة. فمن دعائهم ومناجاتهم لله قوله تعالى:{رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ}.

وحسن الخاتمة من إرادة الخير بالعبد ، فعن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ). فقيل كيف يستعمله يا رسول الله؟. قال: (يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ) ، والعبرة بالخواتيم ، فعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُكْتَبُ

عَمَلُهُ، وَأَجَلُهُ، وَرِزْقُهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الجَنَّةَ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، فَيَدْخُلُ النَّارَ) .

هذا : ولحسن الخاتمة أمور تعين عليها ، منها:

الإيمان بالله عزّ وجلّ ، والاستقامة على منهجه وصراطه : قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ * وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}، وهذه البشارة تكون للمؤمنين عند الاحتضار ، وفي القبور، وعند البعث منها

ومنها: **الصدق في النية والعزيمة مع الله عز وجل** ، فعن البراء بن عازب (رضي الله عنه) قال أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) رجل مقنع بالحديد فقال: يا رسول الله أقاتل وأُسلم؟ قال: (أَسْلِمْ ثُمَّ قَاتِلْ) فأسلم ثم قاتل فقتل، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (عَمِلَ قَلِيلاً وَأُجِرَ كَثِيرًا) .

ومنها: **حسن الظنّ بالله عزّ وجلّ** ، فإن الله (عز وجل) عند ظن عبده به فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال النبي (صلى الله عليه وسلم):

(يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي....) ، وعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) قبل وفاته بثلاث يقول: (لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ) ، فعلى العبد أن يحذر من القنوط من رحمة الله (عزّ وجلّ) وينبغي أن يكون قلبه معلقا بالرجاء في الله.

ومنها : **التوبة** ، **والإنابة لله عزّ وجلّ** ، قال تعالى:{ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ*وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ* أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ}، وقال تعالى:{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين. إخوة الإسلام :

وكما أن لحسن الخاتمة أسبابًا تعين عليها فإن لها علامات تعرف بها:

منها: **النطق بكلمة التوحيد والإخلاص عند الموت**: فعن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ)، وعن يحيى بن طلحة، عن أبيه (رضي الله عنه) قال: (رأى عمر طلحة بن عبيد الله ثقيلا. فقال: ما لك يا أبا فلان؟ لعلك ساءتك إمرة ابن عمك يا أبا فلان؟ قال: لا. إلا أني سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حديثا ، ما منعني أن أسأله عنه إلا القدرة عليه حتى مات، سمعته يقول: (إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ عِنْدَ مَوْتِهِ، إلا أَشْرَقَ لَهَا لَوْنُهُ وَنَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَتَهُ) قال: فقال عمر : إني لأعلم ما هي ، قال: وما هي؟ قال: تعلم كلمة أعظم من كلمة أمر بها عمه عند الموت: لا إله إلا الله. قال طلحة: صدقت هي والله هي) .

ومنها: **الموت على عمل صالح يخدم به وطنه وأمته** ، وذلك كمن يموت وهو يؤدي واجب حماية أبناء وطنه ويرابط في سبيل الله عز وجل، فعن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّانَ) .

ومنها: **الموت بعد ختام عمل الطاعة** ، فعن حذيفة بن اليمان (رضي الله

عنه) قال : أسندت النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى صدري فقال: (مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ).

هذا وينبغي التنبيه إلى أن ظهور شيء من هذه العلامات ، أو وقوعها للمتوفى ، لا يلزم منه الجزم بأن صاحبها من أهل الجنة ، ولكن من باب حسن الظن بحال العبد ، كما أن عدم وقوع شيء منها للميت لا يلزم منه الحكم بأنه غير صالح أو نحو ذلك ، فهذا كله من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله

وهناك نماذج كثيرة لمن حسنت خاتمتهم فيها من العبر والدروس ما يشجع المؤمن ويدفعه للعمل من أجل حسن الخاتمة ، من هذه النماذج قصة الرجل الذي قتل مائة نفس الذي أخبر عنه النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) :فعن أبى سعيد الخدري (رضي الله عنه) أن نبي الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ ، فَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنَ تَوْبَةٍ فَقَالَ لاَ. فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ. فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ

الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ : جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ. وَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ : إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدمي فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ . فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِى أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ) .

ألا فليحرص كل مسلم عاقل على حسن الخاتمة لكل أعماله الدنيوية والأخروية ، الدنيوية لعمارة الكون ، والأخروية لتحقيق السعادة الأبدية وهي الفوز بجنة فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أعدها الله (عز وجل) لتكون دار الكرامة لمن حسنت خاتمتهم وأجهدوا أنفسهم من أجل الوصول إلى محبة الحق جل جلاله.

مع التأكيد أن من علامات حسن الخاتمة المداومة على الأعمال الصالحة ، ولمَّا سُئِلَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: (أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ)، فالواجب على كل مسلم أن يداوم على الطاعات في كل وقت وحين ، وأن يستمر على ما تعوده من الأعمال الصالحة ، ويحذر من المخالفات والمعاصي ، وينتهي عما حرم الله عليه ، قال الحسن البصري: إن من جزاء الحسنة الحسنة بعدها ، ومن عقوبة السيئة السيئةُ بعدها، فإذا قبل الله العبد فإنه يوفقه إلى الطاعة ، ويصرفه عن المعصية ، ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (أَحَبُّ العَمَلِ إِلى اللهِ مَا دَاوَمَ عَلَيهِ صَاحِبُهُ وَإِنْ قَلَّ) .

* * *

فهرس الموضوعات